أصل الحكاية

(الجزء الثالث)

كما كنت

(الطبعة الأولى)

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم العمل : كما كنت

اسم المؤلف : وجدى عبد الهادى

الإخراج الفني والغلاف : إكرام عيد

رقم الإيداع : ٢٠١٩/١٤٣٨٤

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٦٨ -٣٢-٤

المدير العام : ياسر حسني

٠١٠١٤٥٥٥٧٨٤ / ٠١٠٠٦١٤١٦٤٥

الإهـداء

إلى من قرأ (انتباه)، و(صفا) الجزئين الأول والثاني من أصل الحكاية، أهديه، الجزء الثالث (كما كنت)

وإلى كل قارئ يقرأ من أجل أن يحيا..

أهدي هذا العمل

وجدي عبد الهادي

الفصل الأول

".. ؛ وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشاءُ.." تلا مجاهد الآية وقال: ونَزَعَ الشيءِ؛ جذبه من مَقَرِّهِ؛ كَنَزْعِ القَوْسِ عن كَبِدِه. ويُستَعْمَلُ ذلكَ في الأعراضُ؛ ومنْهُ نَزْعُ الَعَدَاوَةِ من الَقَلْبِ؛ قال تعالى "ونَزعنا ما في صُدُرِوهم مِّنْ غِلٍّ تجْري من تحتِهِمُ الأنْهارُ في جنَّات النَّعيم.." فذكر تعالى، فيما يُنعم على أهل الجَنّة، نَزْع الغِلِّ من صدورهم. فالنزْعُ؛ الاستخراجُ. والغِلُّ؛ الحقُد. والمعنى؛ أذهبنا في الجنَّةِ ما كان في قلوبهم في الدنيا من الحقد، فلا يَحْسِدُ بَعْضُهم بعضاً في تفاضل منازلهم في الجنَّة. وسعى حثيثاً في حجته في أعضاء إدارته، بما فيهم الزميل مخيول، والآنسة التي أخواها إخوانٌ؛ والوسيلة، الشرابُ "وسقاهم ربهم شراباً طَهوراً" أي يخلق الله لهم مِّن الكرامة ما به يَحْصُلُ لكل واحد منهم من الغِبْطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. بهذا يأْمنون من التحاسد والتباغض لأنه فُقِدتْ أسبابُهُ "فصاحت في تأثر بصفاء أهل الجنة الزميلة المنقسمة أسرتها في شأن ٣٠يونيه: الله؟ ربنا يوعدنا يا شيخ. قال: آمين! وأغفل تأثرها حتى لا تذهب جَدَّةُ الموضوع؛ وربط لحديثه: انْتُزِعَ تعالى من مرسي وجماعته سُّلْطَانَهم بما أنزل في قلوب الناس من بغضهم لاعتداءاتهم وللخيانة والكذب؛ وفشل مرسي في إدارة البلاد؛ وكان لزاماً أن يرحل كما رحل مبارك، ونزع سعرة التمكين؛ كما نزع من الحزب الوطني ائتلاف المصالح* إن أردنا العدالة. فاستفز مخيول هذا التدليل، فصاح:

- يا مولانا، المتظاهرون في ٣٠يونيه، فلول الحزب الوطني، جاءتهم الفرصة فنزلوا ضد الشرعية والمشروع الإُسلامي، أسقطتهم ثورة ٢٥ يناير. وسقط نظامهم المستبد الفاسد
- يا مولانا؟ الرئيس مرسي جاء بانتخابات حُرَّةٍ نزيهة ولم يعط الفرصة، عكس مبارك المستبد الذي ظل يحكم ثلاثين سنة؛ وسعى للتوريث.
- يا مولانا؟ ما حدث في٣٠ يونيو انقلاب دبره "عبد الفتاح السِّيسي" من كان رئيساً للمخابرات الحربية في نظام مبارك، وكان المفروض أن يترك الجيش التدخل في الحكم ويظل على الحياد، ويترك الشأن العام للقوى السياسية المدنية، ويُكْمِلُ الرئيس مدة الأربع سنوات ليأتي بعده رئيس آخرٌ عبر الصندوق. أنت اليوم تُشرع للفوضى، ولعودة حكم العسكر. ممارسة الديمقراطية لا تكون إلا عبر الصندوق. وأخذ يتلجلج، ليكرر نفسه فاستوقفه:
- هل انتهيت يا مخيول من حجتك في شأن عزل مرسي وخروج أكثر من ثلاثين مليوناً ضده في ٣٠ يونيه؟. فرجع يصيح كأنه يتشاجر:
- هذا انقلاب؛ هذا عودة لحكم العسكر. ما حدث في ٣٠يونيه انقلاب على الشرعية بكل المعاني. وحتى لا يعود للتصايح قال في رزانة:
- قد علمنا؛ فهل انتهيت؟؟.
- انتهيت؛ تفضل يا مولانا؟. قال:
- أرجو ألا تقاطع؟. تركتك تتحدث للنِّهاية. فرجع يصيح:
- يا مولانا ؟ الدكتور مرسي جاء بانتخابات حرة نزيهة. ليكمل مدته. ولا تدخلُ للجيش في شئون الحكم. بل يظل على الحياد؛ ويترك الصراع للقوى المدنية. فلم تملك الزميلة الأكبر سناً نفسها، قالت:
- كيف ندعه يحكم لأربع سنوات يا أستاذ فلان؟ هِه؟ قل ّلي؟. واحد فشل في إدارة البلاد؛ فلزاماً أن يمشي. وضربت له مثلاً لطيفاً؛ هب أني نزلت السوق،

واشتريت علبة فول مدمس مكتوب عليها صالحة لمدة ستة أشهر. ولمَّا فتحتها وجدتها فاسدة. أكان لزاماً عليَّ أن آكلها فأهلك؟ هه؟. بل يلزم تنحيتها؛ وأن أجِيء بغيرها صالحة. تكلمت بجِدةٍ ربة بيت مهمومة؛ كأن مرسي علبة فول مدمس ابتاعتها فلمّا فتحتها ألْفتها فاسدة !! فَانفجر الجميعِ يضحكونَ؛ بما فيهم مخيول والآنسة التي أخواها إخواناً.

- كادت البلاد أن تضيع؛ كنا على شفا حرب أهلية. الجيش أنقذ الموقف. تدخل لأن الناس نزلت الشارع؛ أيكون قد أخطأ؟!. واستدل على تدخل الجيش؛ كما تدخل في ٢٥ يناير. فسدد لها مجاهد:

- إنصافا؛ مبارك هو من أمر الجيش بنزول الشارع؛ بعد زوال الشرطة. ومرسي وجماعته من ظلوا يوهمون الناس أن الجيش لن تدخل، ويطلبان منه الانحياز للشرعية. وطلب استكمال حديثه، وطمأن الجميع أن كلاً سيدلي بدلوه في موضوع عزل مرسي، وأحداث ٣٠ يونيه. فواصلت الزميلة تسأل الزميل بحميمة، وتبتسم:

- قل لي، بالله، يا أستاذ فلان؟ ماذا فعل مرسي خلال عام؟. قل لي إنجازاً واحداً؟. وبكتته؛ مشروع النهضة، طلع سد أثيوبيا الذي سيمنع عنّا الماء، لنموتٌّ عطشاً أن لم نمت من الحر بانقطاع الكهرباء!. كانت من الميسورات، وممتلئة الجسم، لا تطيق الحر، وتستخدم في برج لهم التكييف والمصعد الكهربائي، فأصبح من الخطورة الاعتماد عليه خشية انقطاع التيار فجأة وهي فيه. فاضْطُرت العودة إلى السلم. ولأن ظهرها يؤلمها بشدة من آفة الغضروف، على الرغم من إجرائها عملية جراحية، فاشتدت على مرسي غضباً على غضب، للانقطاع المستمر للكهرباء. فسألها مخيول في خنوع:

- يا مدام سوزان عام واحد لا يكفي. الرئيس حصل على تركة ثقيلة؛ تحمل فساد ثلاثين عاماً. يا مدام الفلول والدولة العميقة هما من عرقلا سعي الدكتور مرسي للنهضة وعملوا لإفشاله. فردت:
- طلب من الشعب مئة يوم؛ فتركه الشعب عاما كاملاً؛ فلم يُر منه شيئاً. وذممته؛ بذمتك، هل أنت راض عن أداء مرسي؟. فسكت. فعلمت أنها حاجته فضحكت. وعلم مجاهد أن محاولة منعهم من التداخل، وأن لا يقاطع بعضهم في بعض مستحيلاً. فسألها:
- يا حاجة سوزان، هل انتهيت من حجتك؟. فضحكت راضية:
- نعم . ولأنها لم تستطع الرد على إرث مرسي لتركة ثقيلة خَلَّفها له مبارك، ولا في موضوع الدولة العميقة، وسعيهما في عرقلة مرسي. استأنف حواره من ذلك. قال:
- أولا؛ إذا كانت التركة ثقيلة على مرسي؛ فهو من عَرِّضَ نفسه لها. ثانيا. وإذا كان النظام القديم قادر على إدارة مصر من وراء القطبان؛ ومرسي وجماعته الطلقاء، وقد أعطوا مقاليد السلطة، لم يستطيعوا ذلك؛ فحقيق علينا أن نخرج مبارك من السجن ونظامه السابق ليتوليا المهمة؛ ويحل مرسي وجماعته محلهما. فبهت الزميل:
- أتريد أن تدخل رئيس منتخب السجن!. فتوجه بحديثه إلى الزميلة التي أخواها إخواناً:
- نسمع رأي الأستاذة نادية؛ في٣٠ /٦؛ ونزول أكثر من ٣٠ مليونا قائلين لمرسي: ارحل. ألم يكن لزاما عليه أن يرحل كما رحل مبارك؟. على الأقل ليثبت للناس أن الإسلاميين ليسوا طلاب سلطة، ولا يكون التنازع. قالت:
- أنا لا أحب أن أتحدث في هذا الموضوع، ولا أفهم كثيراً في السياسة. لم أنزل في ٣٠يونيه، ولم أر الملايين التي ذكرت، لم أشاهد. ما أعلمه أن الدكتور

مرسي جاء بالصندوق بإرادة الناس؛ فالواجب أن يترك ليكمل فترة الأربع سنوات. قال:

- و"مبارك" أيضاً جاء بالصندوق؟. قالت:
- كيف يا أستاذ مجاهد؟!. علمتنا الصدق؛ فكيف تقول ذلك؟ .أنت تعلم أن انتخابات مبارك كانت مزورة؟. أجاب:
- انتخاب مرسي أيضاً كانت مزوراً. ألم تسمعي بموضوع المطابع الأميرية وتسويد نحو مليون بطاقة لصالح مرسي، ولم يحقق فيها حتى الآن؟. ألا تعتبرين ذلك تزويرا شبيهاً بتزوير مبارك؟. وحتى مع القول بنزاهة الانتخابات التي جاءت بمرسي، مرسي حصل على ١٣ مليون صوتاً تقريبا؛ فنزل ضده أكثر من ٣٠ مليوناً وهتفوا: ارحل!! فكان لزاماً أن يرحل. فالصندوق والديمقراطية في جوهرهما تحكيم إرادة الأغلبية. قالت:
- أنا لم أشاهد الثلاثين مليونا ذلكم. ما أعلمه أن الرئيس جاء بالصندوق ليحكم أربع سنوات فالواجب أن يستكمل مدته. فصاح مخيول يعضدها، وكان كلما هم بالتدخل قال: دع الأستاذة تدلي برأيها. فتجاذب طرف الحديث ضاحكاً:
- بمناسبة الإرادة يا مولانا؛ ليس كل من نزل في ٣٠يونيه كان ضد الرئيس مرسي! أنا نزلت مثلاً لأتفسح، ورأيت أطفالاً مع ذويهم؛ فهل لهؤلاء الأطفال إرادة؟. وأفهمني كيف عدّدت الثلاثين مِليونا؟ من حقي أن أعرف يا مولانا. فخضع له:
- حتى لو قلنا أن من نزل ٢٢مليوناً كما أعلنت حملة تمرد، فإن وكالات الأنباء العالمية وصفت مظاهرات٣٠يونيه بأنها أكبر وجود بشري في الشوارع من أجل التظاهر في تاريخ البشرية المعاصر، وجاءت أقل أرقام الوكالات العالمية على أنها ١٧مليون متظاهر معترض على نظام الحكم. ووصلت أعلى التقديرات ٣٣مليوناً؛ والصور الفضائية لموقع جوجل والتصوير

بالأقمار الصناعية تدعم ذلك. كان هذا الحوار في ختام يوم عمل، ولمّا حانت ساعة انصراف النساء نفضن عنهن الحديث، وقمن فجأة. فانزعجت واحدة منهنَّ لفوات حظها، وكانت من المتحمسات لعزل مرسي؛ تكره كره العمى الإخوان، قالت:

- يا أستاذ مجاهد أنا لم أتحدث. عندي كلام أريد أن أقوله في عزل مرسي. وكانت من اللائي يعرفنَّ كيف يسترضي لطلبه، فابتسمت بدلال. فطمأنها:
- غداً تستكمل هذا الحوار في عزل مرسي، ونبدأ برأي أم كريم. فقالت في سعادة:
- ربنا يبارك لنا في عمرك! . ثمّ وقع في جدال حاد مع مخيول الغاضب لعزل مرسي، بعد انصرافهن، فاحتد عليه:
- يا فلان. زعمت أن من نزل في ٣٠يونيه هم البلطجية، وفلول الحزب الوطني، وأنا شاهد عيان للميدان منذ يوم ٢٦يونيه. من نزل شبابٌ وفتيات، وتذكَّر المرأة المُسِنَّة التي كانت مُحزمَة وسطها تتمايل في سعادة!، وعجائز، وكهول وأطفال، وشيوخ. شاهدت رجالا ونساءً لجميع أطياف الشعب دون قيادة من نُّخب أو أحزاب سياسية، جاءوا إلى الميدان من أعماق الريف على نفقتهم الخاصة، دون حشد في سيارات مدفوعة الأجر مع الطعام والشراب، أو بأجر، كما كانت جماعتك وحلفاؤها تفعل. فصاح:
- أنا لست إخواناً، يا مولانا . قال:
- لست مُصدقك، فحتى الإخوان لا يبْدون في استماتت الدفاع، مثلك!. فالتقط مصحفاً فوق المكتب وأقسم عليه:
- وحق هذا الكتاب الكريم؛ لست إخواناً. وهدأ قليلاً، وأنبأ أنه ليبرالي.
- أنا لا أدري كيف أجيبك، ومضطراً لتصديقك- بعد اليمين - وأعلم أن من أدبيات الإخوان، أن من اضْطُر لليمين كي لا يكشف عن هويته، مسموح له؛

بل مأمور بالمداورةً، ويعتبرونها من المعارض، ورأيي أنه كذبً صُراحٌ وتدليسٌ، لأنه لا يتعامل مع كفارٍ. فأخذته العزة بالإثم فلعن:

- الله يلعن مرسي، واللي جابوا مرسي!!. أنا أدافع عن مبدأ. فأمعن في مطاردته:
- ربما ينفعونك بمال؟ . فضحك فجأة كمن فُرِّجَ عنه:
- يا ليت، يا مولانا؟ لو عُرِضَ عليَّ قبضٌ لقبضته. ورجع لقوله: شرف لا أدعيه، أني إخوانٌ.
- شرفٌ لك أنت!
- نعم شرفٌ لي يا مولانا، فأنبه:
- شرف وأنت لا تعرف كيف تقرأ آية واحدة صحيحة؛ ولا تحافظ على الصلاة في جماعة وتنام عن صلاة الفجر؟! قال:
- هذا قَدْري، وأعترف أني لا أجاريك في طاعة، واعترف بالتقصير. فَرَقَّ له، وكفَّ عن توبيخه، فأراد استمالته بالحكمة والموعظة الحسنة، قال:
- والله؛ يا مخيول لقد سمعت مرسي بأذني هاتين في حملته الانتخابية للرئاسة إذ سُئل: إذا نجحت وجئت رئيساً لمصر فحرج عليك الناس يوماً، وقالوا: ارحل.. أترحل؟. قال: ولو خرج علي بضع عشرات وقالوا: ارحل. فلسوف؛ ولابد لي من أن احترم إرادة الشعب. فأغرب فقالَ:
- هذه سياسة يا مولانا؛ ليس للصدق فيها مجال. فيئس منه. ولم يجمع بينهما اتفاق في النهاية. وتدخل الزميل عبد الحي، الذي يفْرق من المسؤولية، فأخذ بعضده، وقاده في عناية خارج الحجرة. ثم مال يسر إليه: وهل أنت تائه عن فلان. انهض يحرضه على الانصراف: تأخرت على ميعاد نومك؛ لن ينتهي جداله. كان منذ لحظة انصراف النساء واقفاً، وعلى عاتقه حقيبة الكتب التي لم يعد يجد مجالاً لفتحها ليعد درساً؛ لِمَا يقع من الجدل المستمر مع مخيول حول

أحداث ٢٥يناير، وحكم المجلس العسكري؛ ثم حكم الإخوان، والأمريكان، ومخطط الشرق الأوسط الكبير الذي بدأ بالعراق ثم تونس، فمصر، فاليمن التي قسمت أقاليم، فليبيا التي ضاعت دولتها، فسوريا والحرب الدروس التي دمرتها ونزوح الكثيرون إلى دول الجوار، والمعارضة والجماعات المسمّاة بالإسلام السياسي والجماعات الجهادية والتكفيرية والصراع بينهم وبين نظام "بشار" وكان كلما وصل معه إلى اتفاق في شأن، عاد فنقضه كأنما يبيت مع الشياطين. ويعود للإرجاف على الجيش والدولة والنظام الحاكم بعد الإخوان، يجادل الشباب من مندوبي شركات إلحاق العمالة ليقنعهم برأيه، وإحداث ما يسمَّى بالفوضى الخلاقة؛ فيزجره:

- يا مخيول، هنا محل عمل؛ لا حديث للسياسة، وترديد شائعاتك الإخوانية؟ فيضحك:

- حاضر يا مولانا . فإذا خرج في شأن؛ تركه، عاد لحديث السياسة وإرجافه وصياحه. فطلبت الزميلة التي هي أكبر منه سناً؛ وتناوبه على الإدارة أن يصطحبه معه إذا خرج، لأنهن لا ينعمن بعد خروجه بلحظة هدوء واحدة؟. ففكر في نقله من الإدارة، إذ لم يعد لتحقيق الصفا معه مجالاً، أبداً بعد ذهاب الإخوان!. أما الزميل عبد الحي؛ فكان يعلم أن وراء سعيه لحثه على الانصراف حين انصراف النساء أنه لو ظل، فسيظل حابسهم حتى نهاية وقت العمل؛ وهو يريد الانصراف لخدمة ولده متى انصرف هو؛ فسينصرف في عقبه. فيضطر للانصراف، وهو يعلم ذلك، لقلة نومه، ولحاجة لإعداد لدرس المسجد، الذي بلا مقابل؛ ويطمئن نفسه: هذا ضربٌ من الجهاد بالكلمة في زمن الفتن، وذلك أيام الأحد والاثنين والثلاثاء، والأربعاء لدرس النساء في منزل الوالدة، فيضطر للخروج قبل انتهاء الوقت وهو آسف، ويؤكد أن لا ينصرفا كلاهما في عقبه: برجاء المناوبة؛ يبقى واحد يجيب المديرية إن اتصلت في شأن، ولينصرف الآخر

معي. ولولا درس كذا، ما انصرفت. لا تغلقوا الأبواب قبل الثالثة؟. لا نحتاج لمن يفتش علينا؟ هذه مصر بلدنا ؟. ففي العادة ويكون العامل المكلف بالمكان قد صعد لديوان المديرية في العاشرة بالمكاتبات لإمضائها ثم يُولي متى عاد، وكان أخرس ويعمل نجاراً بجانب الوظيفة، من المعاقين، نسبة الـ ٥% طبقاً لإلزام قانون العمل، جميع المنشآت، بما فيها الحكومية..

وكانت صحف الرابع من يوليو ٢٠١٣ كقائد مجيد لفريق، قد أظهرت فرحاً: وحشتني يا مصر! لافتة لسيدة مصرية وجيهة انفطرت تبكي في صمت، تمسح الدمع بيد، وبالأخرى ترفع اللافتة، حولها صويحبات مبتهجات باسمات يرفعن العلم. وأخريات تَوِّجنَ رؤوسهن بعصابة مكتوبٌ عليها: ارحل! وأخريات شارعات أذرعهنَّ بلافتات: ارحل يا مرسي بأمر الشعب!. وقالت جريدة الوطن في صدرها: صوت المرأة ثورة. اسمحي لي سيدتي أن أنحني لأقبل يدك. اسمحي لي أن أجلس تحت قدميك لأتعلم أكثر في مدرستك. الآن وأنا أجلس تحت قدميك لم أعد أخاف على وطني. وكيف أخاف على وطن خرجت نساؤه بالحجاب والنقاب والسفور ليقدن أعظم ثورة في التاريخ. جسدي يقْشَعِرُّ وأنا اسمع هتافك الذي زلزل الأرض في الميادين في ٣٠يونيه. وأنبأت الصحيفة: مرسي "تحت الإقامة الجبرية، والتحفظ على "بديع" و"الشاطر".. الجيش يحاصر"رابعة" و"النهضة".. والشعب يحتفل. أما جريدة المساء الحكومية فقالت بهذا العنوان الموجِز: انتهى الكلام. وسقط النظام. وبعرض الصفحة صورة نَمْنَم لرؤوس حشدية بهيجة وأعلام مصر. وبالنصف الثاني من الصفحة سطر هذا الكلام: الفريق أول عبد الفتاح السيسي قدم خارطة المستقبل: انتخابات رئاسية مبكرة.. رئيس المحكمة الدستورية يتولى إدارة شئون البلاد.. وتعطيل الدستور مؤقت.. حكومة كفاءات وطنية.. ولجنة تضم كافة الأطياف لإدخال التعديلات الدستورية.. وصورة لوزير الدفاع يتحدث، وعن يمينه هذا الكلام: ميثاق شرف إعلامي

يضمن الحيدة والنزاهة. إجراءات تنفيذية لتمكين الشباب. لجنة عليا للمصالحة. وعن يساره: مناشدة المحكمة الدستورية لإقرار قانون الانتخابات البرلمانية. وأسفل هذا نبأ بهذا العنوان..القبض على الكتاتني، وبكينام، وأبو إسماعيل، وال بيومي، ورؤساء ومذيعي القنوات الدينية. ومنع قيادات الإخوان من السفر..!!

* * *

وكانت القوات المسلحة، في الأول من يوليو، قد أمهلت مؤسسة الرئاسة ثمانية وأربعين ساعة للاستجابة لمطالب ثورة ٣٠ يونيه؛ وقال المتحدث العسكري في بيانه على الهواء: إن العالم أجمع شهد خروج شعب مصر العظيم ليعبر عن رأيه وإرادته بشكل سلمي وحضاري غير مسبوق بعد أن عانى ولم يجد من يَرْفَقُ به أو يَحْنُو عليه. وإذا لم تتحقق مطالب الشعب خلال المدة المحددة سيكون لزاماً عليها استناداً لمسؤوليتها الوطنية والتاريخية، واحتراماً لمطالب شعب مصر العظيم أن تعلن عن خارطة مستقبل، وإجراءات تشرف على تنفيذها بمشاركة جميع الأطياف، والاتجاهات الوطنية المخلصة، والشباب الذي كان ولا يزال مُفجراً لثورته المجيدة .. وتابع المتحدث العسكري في لهجة قوية رخيمة: إن القوات المسلحة كطرف رئيس في معادلة المستقبل، وانطلاقاً من مسؤوليتها الوطنية والتاريخية في حماية أمن وسلامة هذا الوطن تؤكد، أنها لن تكون طرفاً في دائرة السياسة أو الحكم، ولا ترضى أن تخرج عن دورها المرسوم في الفكر الديمقراطي الأصيل..

وحلقت طائرات هليكوبتر حربية فوق سماء القاهرة رافعة العلم المصري. فأعلنت جماعة الإخوان أنها تدرس بيان الجيش. وقالت وزارة الدفاع الأمريكية أنها تدرس البيان ولا يمكنها التكهن بما سيحدث في الساعات الثمانية والأربعين المقبلة. وبالفرح الشديد والتصفيق الحاد استقبل عشرات الآلاف من متظاهر

التحرير، والمعتصمين أمام قصر الاتحادية الرئاسي البيان، وأطلقت الألعاب النارية والشماريخ تأييداً للبيان واستجابة القوات المسلحة لرغبة الشعب. ورحبت حركة تمرد بالبيان؛ وقال منسقوها: إن القوات المسلحة انحازت للشعب. الجيش بيت الوطنية المصرية، وملك الشعب ومؤسسة انحازت للمطالبة بتنحي " مرسي " كما رحبت القوى السياسية عامة؛ وجبهة الإنقاذ بالبيان؛ وأكدت أن القوات المسلحة انحازت للشعب.

ودعت جبهة ٣٠ يونيه إلى مليونية الإصرار٢ يوليو أمام قصر الاتحادية، وميدان التحرير، وكل ميادين محافظات مصر. وإلى مسيرات تخرج من نفس الأماكن التي خرجت منها في ٣٠ يونيه. وأن المليونية سيعقبها اعتصام مفتوح أمام قصر القبة الجمهوري وأمام مجلس الشورى حتى تتحقق المطالب التي خرجت من أجلها الجماهير في ٣٠ يونيه.

وفي المحافظات تواصلت حركة الغضب الشعبي ضد النظام. وأقدم المتظاهرون على تنفيذ العصيان المدني والاعتصام في الميادين، وأغلقوا مباني المحافظات بالجنازير، ومنعوا محافظي الإخوان من دخول مكاتبهم بالشرقية والدقهلية والغربية والإسكندرية والمنوفية. وقفز من السفينة حين خرقها وزراء؛ المجالس النيابية والاتصالات والبيئة والسياحة والمرافق. وقال " بجا توا " وزير الدولة للشئون القانونية والنيابية؛ ترزي القوانين: تقدمنا باستقالاتنا اليوم لرئيس الوزراء، ولكن لم يتم البت فيها. وقال وزير السياحة؛ زعزوع: لن أتراجع عن الاستقالة. وأوضح الوزراء أن الاستقالة جاءت تضامناً مع المظاهرات المليونية التي تنادي بإجراء انتخابات رئاسية مبكرة..

وباستقالة هؤلاء، والتهديد بالاستقالة من وزيرة البحث العلمي، والطيران المدني، والشئون الاجتماعية، ووزير العدل" مكي" الذي كان يعلن في غير مناسبة، قبل

خرق السفينة أن هواه إخوانيٌ؛ باستقالة هؤلاء وقع رئيس الوزراء " قنديل " في حَيْصِ بَيْصِ ..!!

واجتمع الرئيس برئيس وزرائه بمقر الحرس الجمهوري- نَقَلَ إليه اجتماعاته لمخاوف من حصار المتظاهرين لقصر القبة- وأكد مرسي لقنديل استمراره في رئاسة الحكومة، وعدم الدفع بأي شخصية لتولي رئاسة مجلس الوزراء في الوقت الحالي. وناقش ورئيس وزرائه الوضع الأمني، موجهه للعمل السريع على زيادة الكميات المطروحة من السلع التموينية والبترولية التي يرى أن أزمتها في الأيام السابقة ساهمت في زيادة المظاهرات ؟. وكان قنديل* قد أصابه ذهول من حجم المظاهرات التي خرجت أمس تطالب برحيل مرسي وإجراء انتخابات رئاسية مبكرة. وكالغريق يمسك بقشة، اتصل بالمحافظين الجدد لمعرفة حقيقة الأوضاع، واستاء كثيراً من عدم قدرتهم على السيطرة على محافظاتهم. والحشد للرئاسة والحكومة..

ومساء ٣٠يونيه، وبينما مئات الآلاف من المتظاهرين يصرخون بسقوط مرسي في التحرير، وحول قصر الاتحادية، قرر العشرات من أهالي حي المقطم والمناطق المجاورة التظاهر أمام المقر الرئيس للجماعة. بدأت المظاهرة بعشرات الشباب الذين تجمعوا بشكل غير منظم بالهتاف ضد محمد مرسي، جماعة الإخوان. وإذ الهتاف يتصاعد: ارحل!! تركز نحو من مائتي شاب من إخوان القاهرة داخل المقر بقيادة المدير الإداري، وزعهم على أدوار المبنى الست، تولى أربعة منهم -جري تدريبهم على إطلاق النار داخل قطاع غزة- إطلاق النار بأسلحة مخزنة داخل المقر قبل الأحداث بيومين، من المبنى المظلم عبر بعض شبابيكه بطلقات خرطوش، فسقط بعض المصابين، وهرب المتظاهرون إلى الشوارع الجانبية. وكانت البداية لحرب تشبه الأفلام الكلاسيكية.. إذ بدأ الشباب

الهارب في التجمع، والذهاب من جديد إلى المقر في محاولة لاقتحامه. وتقدمت مجموعات من ذوي الأقنعة السوداء إلى المقر، ووقف المتظاهرون بعيداً بعشرات الأمتار. وأطلقت تلك المجموعات "المولوتوف" على المقر، فقابله أعضاء التنظيم بإطلاق رصاص حي، وخرطوش وسكب مياه حارقة.. وبعد دقائق كان المبنى محاطاً بدائرة فارغة من الرعب!.. وتكررت محاولات المولوتوف اليائسة، وبتكرار فشلها، تشجع عدد من الشباب من الاقتراب من السور، فأشعلوا النار في كشك حراسة خشبي على سور المقر. ووسط صيحات التهليل بدأت الشبابيك المظلمة للمبنى الضخم بإطلاق النار؛ فسقط أول متظاهر برصاصة في الرأس.. حالة من الهستريا تصيب بعض المتظاهرين، حين سيارات الإسعاف التي تواصل الوصول والوقوف على ناصية الشارع المؤدي للمقر. فرجعت أعداد المتظاهرين في التزايد، لسقوط أول ضحية، ولأصوات سيارات الإسعاف وأضوائها المميزة؛ والصرخات التي تنادى: إسعاف! واحد مات!. وقبل أن تمر دقائق، سقط ثان على سور المقر بطلق ناري حي في الصدر..

وبتناقل الأخبار عبر الشبكات الاجتماعية، ومع تصوير عدد من القنوات الفضائية لمسلحين داخل المقر يطلون من الشبابيك المظلمة، يطلقون الرصاص الحي والخرطوش على المتظاهرين، ونقلها للمشهد عبر الهواء مباشرة، أُجْتُذِب إلى مقر الجماعة أعدادٌ أكبر من الغاضبين، وجعل صفوف المتظاهرين الواقفة على ناصية الشارع المؤدي للمقر التفكير في جِدٍ في اقتحامه، وهو المحصن بسور ارتفاعه ثلاثة أمتار، وسهام مدببة من الحديد يزيد ارتفاعها عن المترٍ. .

* * *

منتصف الليل، وصل من سقط برصاص الإخوان خمسة قتلى بينهم ملازم أول بقسم شرطة البساتين كان موجوداً مع القوة الأمنية التي لم تتعد خمسة أشخاص

لحمايته، وطفل لابن أحد حراس العقارات بالمنطقة، وإصابة صحفية قناة النيل للأخبار. فبدأ المتظاهرون بجمع أموال من بعضهم البعض، وشراء أنبوبة بوتاجاز، قام أحدهم بحملهما إلى سور المبنى وفتحها قبل أن يبتعد ويشعل النار فيها، فانفجرت وأضاءت المكان، وبدا في الصورة، كأن المبنى بالكامل يحترق، فاشتعل المتظاهرون حماساً. وقبل أن تهدأ الأنبوبة، بدأت الشبابيك المظلمة في اصطياد رأسين جديدين متتاليين لشابين متظاهرين سلميين، فارتفع الغضب، ولكن المظاهرة بدأت في الخفوت، وبدأ الإحساس باليأس.. وبعد دقائق، في تمام الثانية بعد منتصف الليل يصل أربعةُ أشخاص ملثمين يرتدون سترات واقية ضد الرصاص ويحملون مجموعة من الأسلحة المتطورة، بدلوا ملابسهم بالقرب من مقر حزب الوسط، وارتدوا الملابس السوداء ذات الأقنعة، وتمركزوا خلف مقر مكتب الإرشاد، وواصلوا إطلاق النار عليه من الخلف حتى الخامسة صباحاً. بعدها؛ وصل عدد من الأفراد في سيارتين " شروقي " قادمين من جهة مساكن الزلزال، تركوا السيارتين بالقرب من مقر حزب الوسط، وارتدوا سترة للوجه وملابس سوداء، يحملون أسلحة آلية وخزائن متعددة للطلقات، تمركزوا بجوار مستشفى الرخاوي* وتبادوا إطلاق النار بكثافة مع شباب الإخوان الذين ترسوا داخل المقر وأغلقوا النوافذ ولم يظهر منهم أحد..

وطوال الليل وعشرات المصابين يتساقطون، وسيارات الإسعاف لا تتوقف عن الانطلاق من أمام المقر إلى مستشفى البنك الأهلي، والمقطم التخصصي الذي يرقد فيه جثمانان الشابين " عبد الله محمود السنا ري ٢٧ سنة مصاب بطلق نافذ في الرقبة " و " عبد الرحمن كارم ٢٦ سنة؛ طلق نافذ في الصدر". فتجمع أقارب الضحيتين، وتعالت الصرخات داخل المستشفى مع وصول وكيل النيابة لمعاينة الجثتين. ومع صدور قراره بنقلهما إلى المشرحة لبيان سبب الوفاة قرر أصدقاء الشهداء والأهالي الثأر.. انطلقوا جميعاً إلى المقطم في الخامسة فجراً، فتصاعدت

الاشتباكات..المتظاهرون يتحركون في حركة سريعة نحو المقر، ليلقوا بزجاجات المولوتوف في محاولة لإحراقه، وإجبار المسلحين المتواجدين بالداخل على الخروج. والعشرات من منطقة الزلزال يبدؤون في الظهور بين صفوف المتظاهرين ويبدؤون في إطلاق الخرطوش في مواجهة طلقات الرصاص الحي التي تأتيهم من الداخل، في معركة لم تكل ولم تمل حتى مع بداية شروق الشمس!؟.. ومع بداية السادسة والنصف تقترب سيارة مسرعة من المقر، ويخرج مسلح من سقف السيارة ويطلق من سلاحه الآلي نيراناً كثيفة. بعدها انطلقت السيارة مسرعة فتصاعدت الاشتباكات؛ وخرج مسلحو الجماعة من النوافذ وأخذوا في إطلاق الرصاص الحي بكثافة دون توقف، فتقهقر المتظاهرون للخلف ليقفوا على ناصية الشارع المؤدي للمقر، ولم يخطر ببالهم أبداً الرجوع إلا أن يأخذوا بالثأر للشهداء الثمانية؟.. وفي الثامنة صباحاً تظهر سيارة جيب، من خلفها مكروباص، ويخرج مسلح من السيارة الأولى ليطلق الرصاص بكثافة تجاه المتظاهرين، ليهرول الجميع بعيداً عن الشارع، ليختفي المقر عن أعينهم، هنالك بدأت العناصر المسلحة في الخروج سريعاً في طابور بعضهم ردف بعض يركبون، ليفروا هاربين في المنطقة الجبلية مخلفين المقر وراء ظهورهم؛ كأنه ما كان يعنيهم أبدا.؟؟..

تدريجياً؛ يبدأ المتظاهرون يرجعون في حظر إلى الشارع، يتربصون وقد شعورا بتوقف إطلاق النار من فوق سطح المقر.. حالة من الارتباك تصيب المقتحمين الذين لا يصدقون من المفاجأة أن المقر خضع تحت أيديهم، وإحساس اختلط فيه الفرح بالأسى لأن القاتلين هربوا دون الأخذ بالثأر. فهتف أحدهم وقد استيقظ من الدهشة: الأخوان فروا !!. وجعل الهتاف: " واحد، اثنان، شعب الإخوان فين ؟؟. انزل يا "سيسي" مرسي مش رئيسي؟ الشعب الصّبار أسقط ثاني النظام. بص، شوف الثورة يا خروف؟. وأزالوا لافتة المرشد " بديع " وانهال بعضهم عليها

دوساً بالأقدام، وتناول آخرون أكلاشيه دعائي للجماعة وصوراً للمرشدين السابقين فأشعلوا فيها النيران. كان العشرات قد اقتحموا الطابق الثاني وأفرغوه من كل محتوياته، وخزينة الجماعة من كل ما تحويه. وقاموا بالصعود إلى غرفة الاجتماعات فحطموا الباب، واقتحموا الغرفة وسرقوا كل محتوياتها، وتصدى لهم البعض إلا أن نفراً استطاع الفرار بحمله؛ اخذوا الكراسي والمناضد، حتى الأبواب لم يتركوها، وألقوا أوراق المكتب بالشارع، وملفات خاصة بقضايا مثل أزمة البنزين، خطة المائة يوم، وعدداً من التقارير الخاصة بالمعارضة. ولم يترك المكتب بطوابقه الخمسة إلا حوائط بعد أن أُشْعل النار فيه**!!**

و" الكَثرة تغلب الشجاعة" إذ تمكن الأهالي من القبض على شخص يدعى" مصطفى ٢٩ عاماً، موظف بالبريد، مدينة النور، منطقة الزاوية الحمراء، قبضوا عليه أثناء محاولة هروبه، فَحَمَّلوه كل أوزار الجماعة؛ انهالوا عليه ضرباً باليمين. وحاول البعض حمايته والإحاطة به، إلا أن البعض واخترق الإحاطة، ونفذ إليه أثناء اقتياده لقسم المقطم، فسالت الدماء من وجهه ومن رأسه من كل جانب؛ وكاد أن يقتل لولا استمرار الإحاطة. وصيح بالغاضبين: لا تقتلوه، الأولى حمايته وتسليمه، لمعرفة، عند استجوابه، الهاربين الذين قتلوا إخواننا المتظاهرين السِلْمِيين ؟. ورغم الحماية الشديدة والإحاطة والنداء استطاع البعض أثناء السير أن ينفذ إليه لضربه، انتقاماً من الجماعة المتكبرة، المُتَجَبِّرة الظالمة، شفاء للغليل. واستمرت الكثيرٌ من الضربات تقع على أذرع ومناكب المحيطين السلميين، الأكثر شفقة، وهم يقتادوه بعيداً عن محيط مكتب الإرشاد، حتى أسلموه إلى القسم؛ فأقيمت عليه إجراءات أمنية مشددة.. تابع مجاهد كل المشاهد عبر شاشة إحدى الفضائيات الشهيرة، ورأى إلى ذل الأسير وذهاب حوله وخضوعه تماماً لضربات النفر الأكثر غلظه دون أية مراوغة أو محاولة رفع يده للحماية من الرعب، وكأنه بهيأته تلك يثير الشفقة، وأنه لو سلك غيرها لفتك به؛ فرَّق له

كثيراً، وقال لزوجته: ما أبأس ابن آدم عندما تأخذه العزة بالإثم، ويقاد إلى مثل هذا المصير؟ وما أشقى هؤلاء عندما تذهب عنهم الرحمة، ويقع الأخ في أخيه، وليس هو بعدو له **!؟**. فردت الزوجة بإصرار:

- إنهم ظلمة، وما فعلوه بالناس ليس قليلا؟؟. قال:
- يقدم للمحاكمة، وليسوا قضاة.

* * *

قلعة الإرهاب؛ هذا هو الوصف الذي أطلقه "النُشطاء" على مكتب الإرشاد في مناقشاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، قال أحدهم يتندر: لم أسمع أحداً يقول إرشاد؛ اسمه؛ إرهاب. وما حصل البارحة أكبر دليل، كُنَّا سلميين، هم من بدأونا بالضرب. وقال سائق مكروباص يقطن المنطقة، كان في أحدى طوابير البنزين، وحين مل الانتظار قرر المشاركة في المظاهرات ضد الإخوان: كنا واقفين في ميدان النافورة في مظاهرة سلمية نطالب برحيل الرئيس، وقفنا على ناصية شارع ١٠ المؤدي إلى مقر الجماعة، ودخلنا الشارع لنقف أمام المقر بما أنه رمز الحكم ننادي: ارحل**!**. فابتدءوا يرشون علينا مياه غريبة ريحها نشادر كاوية، آذت بعض الشباب، فخرجت الناس عن شعورها، وبدأ ضرب المقر بالطّوب. ومع الوقت، بدأ ضرب النار منهم لدرجة أن ضابط شرطة من قسم المقطم، قدامي، أصيب. الدنيا هديت على صلاة العشاء، وبدأت الناس تتظاهر ثاني: ارحل**!**. دقائق وابتدأ ضرب النار من ناس كثير داخل المقر، هذا غير الـ٤ القناصة كانوا على السطح، رأيتهم بعيني. وقال: لا أشعر بالرضا لإشعال النار في المبنى. عاوزينه يرحل من غير تدمير؛ لكن بصراحة الناس كلها كرهتهم. وقالت سعاد فريد؛ من سكان العقار المجاور لمكتب الإرشاد تصف ما رأته عيناها: المتظاهرون بدؤوا التظاهر

مساء السادسة يوم ٣٠يونيه، وظلوا يهتفون لمدة ساعتين ضد المرشد والرئيس محمد مرسي، وبداية إطلاق النار كانت من جانب أعضاء جماعة الإخوان عندما قام المتظاهرون بتصويب الليزر على شرفات المكتب، فخرج الإخوان وأطلقوا وابلاً من النيران. استمرت الاشتباكات وإطلاق الأعيرة النارية لمدة ١٢ساعة. فَجَّرَ المتظاهرون خلال تلك الاشتباكات ٢أسطوانة غاز داخل المقر وأصاب الأهالي حالة من الذعر، فاختبؤوا داخل منازلهم. ووصفت تلك الليلة، أنها ليلة سوداء!. السكان استغاثوا بجميع المسئولين لحمايتهم دون جدوى. وفي السابعة و٥٠دقيقة سمعت دوي طلقات النار من أعلى المقر وأمامه ما أدى لاختباء المتظاهرين، فقام نحو ١٥٠شخصا بالخروج من المقر متجهين ناحية الجبل واستقلوا سيارات كانت تنتظرهم. بعد ذلك اقتحم المتظاهرون المقر؛ وأخرجوا منه سترات واقية من الرصاص وخوذ وزجاجات ماء النار. واختتمت. أعضاء مكتب الإرشاد كانوا قد استعدوا لهذا اليوم؛ وأغلقوا شرفات المقر منذ يومين بشكائر رمال للحماية، وإطلاق الأعيرة النارية على من يقترب منهم، واصطادوا المتظاهرين من أعلى بالسلاح الآلي والطبنجات والخرطوش. أما بدرية عبد ربه فوصفت خروج الإخوان من الشارع بأنه: غُمَّةٌ وانزاحت، منذ توليهم الحكم والبلد في النازل.

وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فمنذ نحو عامين ونصف العام- بعد عام واحد في الحكم- فيما يشبه حرق المقر الرئيسي للحزب الوطني، ما خلا اثنتي عشرة ساعة من المواجهات الدامية مع أعضاء التنظيم، بدا مشهد حرق المتظاهرين، وأصحاب الأقنعة السوداء لمقر المركز العام للإخوان بالمقطم أمس. بواجهته المسودة من أثر النيران، خاوياً على عرشه من كل شيء يخص الجماعة؛ الأوراق وأجهزة الكمبيوتر وأجهزة التكييف والأثاث؛ نُهِبت جميع محتوياتهً، وبدا بعد إشعال النيران في أجزاء كبيرة منه، كغلام أجتهد أبواه على تنظيفه وكسائه

حُلَّةٍ جديدة بهيجة، فذهب في نزق، في أول يومٍ يجري في مكان زَلَقٍ، فانقلب، فلطخ وجهه، وتلطخت حُلَّته الجديدة وفسدت، فرجع يقف بين يدي والديه مهزوما ينتظر العقاب ؟! هذا ما خطر لقلب مجاهد حين شاهد رمز الجماعة وقد دمرت النار أغلب أجزائه وسرقة جميع محتوياته، وتذكر مقر الحزب الوطني بكورنيش النيل وما حدث له في جمعة الغضب؛ الثامن والعشرين من يناير ٢٠١١ حين أشعل المتظاهرون النَّار فيه، فأقبلت عناصر من الشعب فاقتحمته، واستولت على جميع محتوياته، وتركته خاوياً على عرشه؛ وحيدا !؟ فوجد تلك الآية يتردد صداها في نفسه.. وتلك الأيام نداولها بين الناس.. ودهش؛ فكأن العجلة لم تمر؛ أو تقهقرت للوراء؛ إذ أضيف للمشهد هنا الكراهية الشديدة للجماعة بعد خلفها ثمانية قتلى وأكثر من سبعين جريحاً!؟.

ومن جديد خرجت الصحف العالمية، كلاعب كرة مجيد لتعلن: إن حجم المظاهرات المعارضة للرئيس تؤكد أن السياسة المصرية على أعتاب التغيير الحقيقي، وأن الشعب خرج في الذكرى الأولى لانتخاب مرسي لإرسال رسالةً واضحةً له مفادها أن " الوقت قد حان ليرحل عن السلطة؛ مجلة " فورين بوليسي " ورأت المجلة الأمريكية، أن مصر لم تشهد من قبل يوماً مثل الثلاثين من يونيو.

أما صحيفة " نيويورك تيمز " الأمريكية فعلقت تقول: حجم المظاهرات المعارضة لحكم مرسي بمثابة توبيخ حاد للجماعة ولحديثها عن انتصاراتها في الانتخابات.. واعتبرت صحيفة " إندبندنت " البريطانية أن مرسي تحول في ذهن الكثير من معارضيه من ثوري إلى مستبد: إن الرئيس الذي وقف في ميدان التحرير بعد انتخابه دون سترة واقية من الرصاص صار عدواً لدوداً لا يطاق بالنسبة لكثير من المصريين الذين يجدونه تجسيداً لدولة تسعى لتحقيق مصالح

الإخوان فقط. إن الرئيس يجد نفسه في مواجهة تمرد شعبي يذكره بذلك التمرد الذي أطاح بسلفه مبارك.

ووصفت صحيفة "لوفيجارو" وضع البلاد بأنها على حافة الهاوية.. وكتبت صحيفة "ليبراسيو" على غلافها عبارة "صحوة التحرير، إن مرسي دمَّر مصر في عام واحد فقط.. وأرجعت صحيفة "فرانكو فورت".. العام الأول من حكم مرسي، والفرص الضائعة إلى فرض مرسي دستوراً مثيراً للجدل، وتأثره الشديد بالسلوك السري لجماعة الإخوان المسلمين التي لديها خبرة ثمانين عاماً في العمل السري. أما صحيفة "تسابت" فقالت: غضب الناس القوي والكفاح لحريتهم يرجع إلى سوء الإدارة، خاصة أن الرئيس يقف ضد إرادة الشعب.. ووصفت صحيفة "ببلد" الألمانية مظاهرات أمس الأول؛ بأكبر مظاهرة في تاريخ مصر.. وخصصت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية صفحتها الأولى بالكامل لمتابعة المظاهرات العارمة التي تطالب بإقالة مرسي والتخلص من نظام الإخوان، وعنوان رئيس، رافقته صورة كبيرة للحشود المليونية في ميدان التحرير: الملايين يتظاهرون في مصر ومرسي يختبئ في منشأة عسكرية خوفاً على حياته. وصورة جانبية لوزير الدفاع وعنوان: الرجل الذي يملك مفتاح الحل.

* * *

الفصل الثاني

عرضت فضائية لفوضى النَّهب لمقر الجماعة بالمقطم.. زمرة من الصبية يظهرون في إحدى الشرفات يتعاونون رويداً رويدا على إنزال جهاز كمبيوتر آمنين تماماً- في مقدمتهم شخص محترف يقوم بتوجيه فتى بالشارع، يمُدُّ ذراعيه عن آخرهما، ويشب ليتلقف منهم الجهاز فور إنزاله من الشرفة!. وعلى مبعدة بالشارع يقف شخص ناضج يلبس كاب يخفضه على وجهه، ليخف به ملامحه يرنو للأمام، وإحدى يديه على جهاز تكييف كبير الحجم مضى به فأعياه حَمْلَهُ، فتوقف ويده الأخرى في خَصْره نافد الصبر، ينتظر شخصاً اتصل به ليجيئه بسيارة تُقِلُّهُ والجهاز، بينما جمهرة من الناس قد هرعت إلى المنطقة تطالع مكتب الإرشاد الذي تلطخت ألوانه الزاهية بالسواد؛ خاوياً على عرشه بعد النهب والحرق!. أعجب من ذلك؛ شخص يحمل كرسي المملكة الدوَّار، الجلد، ذو الأطر الخشبية الغليظة، قَلبه فوق رأسه فَدفِن رقبته، لم يمنعه حِمْلُهُ الثقيل وحاجته لمعاونة يده الأخرى، أن يجعلها لساعة حائط، ولا يعلم إلا الله مدى أهمية كرسي المرشد بالنسبة له وهو يرتدي جلباباً ريفياً بسيطا !!. ثمَّ بعض أهالي يحملون على ظهورهم سجاداً مطوياً، وموكيت!، وغير بعيد محررٌ جريدة يتفحَّص وثائق لمكتب الإرشاد ألقيت في نهر الشارع، وقريباً منه أحد الثوَّار يرفع في فخر جزءاً من لافتة مكتب الإرشاد بقي بعد تهشيمها شطر كلمة؛ لمسلمين. وزوج أصلع وزوجته من سكَّان العشوائيات يرفعان بينهما باباً ثقيلاً، يمشيان به، تمسك الزوجة بيدها الأخرى وفوق كتفها ثياباً وقمصاناً بِيضاً لم تزل تتفحَّصها، وتعيد النظر لتعلم مدى نجاح صيدها ؟ وهل ستنتفع بنيها بها ؟. فضحكت زوجة مجاهد وانطلقت تحدث: يذكرني هذا بفوضى ٢٨ يناير؛ ونهب مول الأجهزة الكهربائية،

والشخص الذي حمل جهازاً فقبض عليه الأهالي، وعلى آخرين وأسلموهم للقسم، والكاميرا التي عرضت لمضبوطاتهم، فظل الشخص يبكي مفطوراً، مستعطفاً مندوب الفضائية الذي قام يسأله: ألا تعلم أنها حاجة ناس؟. فأقسم ودموعه تسيل: والله ما أنا بحرامي، وجدتهم دخلوا وشالوا، فدخلت وشلت؟ تحروا عنِّي؟ أول مرة والله ؟. وقرناء السوء الصامتون، وجسارة نظرتهم، لأنهم معتاد الجريمة. وقالت تعظ: اعمل ما شئت، كما تدين تدان. يعود لجماعة الإخوان إحداث تلك الفوضى. قال: نعم هم من فتح السجون، وحرقوا الأقسام، وأشاعوا أن حبيب العدلي بإيعاز من مبارك من فعلها ليقولا للناس: نحن أم الفوضى؟ وهم يعلمون أنهم من فعها وعناصر من حماس وحزب الله؟! اعتقد أن زمن العفو ولى، وحل زمن العقاب.فـ. وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِثْلُها. ثُمَّ أوَّهَ، وزفر زفرة طويلة؛ فمرة أخرى وراح يفكر؛ وكان كلما مرَّ بلازمة، لمدام أمنية أو لزوجها ظن أن القدر قد يسيرهما له فيلقاهما عنده. وإذا سافر إلى القاهرة، يظل عقله يعمل؛ وبصره جوالاً في وجوه مُلاقيه؛ وكأن هؤلاء الملايين سيسفرون له فجأة عن وجهها، وستبدو له بينهم. وكذا حال الأحبة؛ يقوم الشوق في قلوبهم يلح إلحاحاً؛ لقد خطر له لو طاف حول مسكنها الذي لا يعرف سوى أنه في تلك المدينة الكبيرة، المترامية الأطراف، فقد يقع بصره عليها في إحدى الشرفات فيراها وتراه؛ ويرجع من السفر مهموماً جداً؛ طاوياً شوقه بين حناياه،ً يصرفه الحياء عن تلك الخاطرة.. وعاد للشأن العام؛ فمرسي لم يَعْتَبِر لمظاهرات ٣٠ يونيه؛ بل تسببت تغريده له على حسابه الشخصي على موقع التواصل الاجتماعي، قبل خطابه الأخير، يعلن فيها تمسكه بالشرعية ويطالب الجيش بسحب إنذاره ؟ فأشعل حَمِية المتظاهرين ضده. وقال أنصاره: إنها ثورة " الفوتوشوب" وقال العالم هي ثورة الملايين الغاضبة. وسجل " جوجل أيرث " باسم مصر رقماً جديداً في موسوعة جينيس؛ كصاحبة أكبر تجمع بشري في التاريخ. وهدد مرسي في خطابه بالشرعية أو الحرب الأهلية،

وأن دونهما حياته. وارتفع في قلوب المصريين سهم الفريق أول عبد الفتاح السيسي بعبارته الشهيرة: أشرف لنا أن نموت من أن يُروع هذا الشعب، نقسم بالله أن نفتَدي هذا الشعب بدمائنا ضد كل إرهابي أو متطرف أو جاهل. فقال لزوجته: فارق كبير بين مرسي ومبارك كرجل دولة؛ فخطاب الأخير- لولا حكاية الجَمَل، وإضرار أنصاره به، لكاد أن يصرف المتظاهرين؛ وهمَّ غالب الناس يومئذ، والرجوع إلى بيوتهم، وتعاطفت معه الفئة الكبيرة، فجاءت تلك الواقعة الغبية؟. أمّا مندوب الجماعة في قصر الاتحادية، مرسي - على رأي إبراهيم عيسى- فوَحَّدَ بخطابه الأخير الناس ضده.. فبالأمس؛ الثاني من يوليو تجمع العشرات من مؤيدي الرئيس وأعضاء الجماعة أمام جامعة القاهرة التاسعة صباحاً وأغلقوا شارع الجامعة المؤدي لميدان الجيزة، وأعاقوا حركة المرور، فنصب أهالي " بين السرايا " وأقاموا كميناً أمام مداخل ومخارج المنطقة منعاً لدخول أسلحة أو عناصر إرهابية لاعتصام الجماعات الإسلامية المؤيد لـ مرسي في ميدان النهضة، والشرطة غائبة تماماً. وفي السابعة مساءً حاولت سيارة مكروباص المرور والدخول للمعتصمين في محيط الجامعة من خلال "بين السرايا " فاعترضها الأهالي؛ لمعرفة ما بداخلها. وفي التاسعة والنصف مساءً قعد مجاهد وزوجته يشاهدان الحدث مباشرة عبر فضائية مشهورة* قبل ساعتين من خطاب مرسي، وهجوم متظاهري جامعة القاهرة على أهالي منطقة بين السرايا الذين استوقفوا السيارتين التابعتين لهم من قبل، هجموا عليهم بالأسلحة النارية والبيضاء؛ وأشعلوا النار في سيارات أهالي المنطقة. وعقب اقتحام مؤيدو مرسي للمنطقة، جمع الأهالي أنفسهم وبدءوا التصدي للمؤيدين. وفي الحادية والنصف مرسي يلقي كلمة للشعب فينصرف الجميع لسماعه لعلهم يرون جديداً فتنفرج الأزمة ؟. فقام يؤكد أنه لا بديل عن الشرعية، وأنه لا اختيار له سوى الاستمرار في تحمل المسئولية، باعتباره رئيساً منتخباً، وإذا رحل ستعم الدماء والفوضى.

فأشعلت كلماته واقعة بين السرايا، واستمرت حتى السادسة صباحاً. وكان مجاهد قد نهض لينام ساعتين؛ ثم يقوم لصلاة الفجر، ثم يقرأ جزءاً من ورده. وأبت الزوجة إلا استمرار الجلوس أمام التلفاز، ومتابعة الأحداث بشغف شديد حتى أغلقت جميع الفضائيات، فواصلت السهر بالصلاة حتى أذن الفجر، فصلت وجرت لتنام؛ وأبت قبل أن تنام إلا أن تخبره: منطقة بين السرايا تحولت بعد خطاب مرسي التحريضي إلى ساحة قتال بين أنصاره والأهالي. استخدم الطرفان الأسلحة النارية، وتحطمت محالا، واحترقت سيارات! أجهزة الأمن بالجيزة والأمن العام والأمن المركزي جاءت بمجموعات وفرق عمليات خاصة ومدرعات للفصل بين الطرفين. أنبأت في نشاط من يقرأ نشرة آخر الأنباء! مُفرَحَة أن شيئا من الأحداث لم يفتها، وأسرعت لتنام قبل أن يطلبها لتجلس لَتُسمِّع له جزءاً من ورده: ملتحون اقتحموا جامعة القاهرة من بوابة كلية التجارة إنجليزي، واعتلوا قبة الجامعة؛ وبدؤوا في إطلاق النار من أسلحة آلية؛ وجري نوف؛ ومتعدد الطلقات على الأهالي وقوات الأمن.

وتباينت الروايات حول نشوب تلك الأحداث، فقالت المحاضر الرسمية؛ أنصار مرسي حاولوا قطع الطريق في منطقة بين السرايا لإعداد لجنة تفتيش لإحكام السيطرة على ميدان النهضة، ما قوبل من الأهالي بالرفض، فوقعت اشتباكات سقط فيها قتيل من الأهالي على إثْرها تجمع عدد كبير من أهالي القتيل، وهاجموا المتظاهرين الذين ردوا بإطلاق الرصاص الحي من أسلحة متعددة الطلقات وواحد ونصف بوصة. وقال أنصار الرئيس: البلطجية هاجموا مسيرتنا السلمية وأطلقوا النار علينا من أعلى أسطح العمارات ورشقونا بالحجارة، فقال مجاهد لزوجته وهما يتابعان أحداث الأمس تعرض لها إحدى الفضائيات:

- لم تعد دولة!. المعتاد؛ أن الأهالي يخرجون ضد النظام، فأما أن يحتل هؤلاء الميدان ويقطعون طريق الناس، بدعوى نصرة الرئيس وإعداد لجنة تفتيش تعمل عمل الشرطة؛ فهذا ما لم يكن أبداً، ولا علاقة له بالدين. الإسلام دولة حضارة تؤدى فيها الحقوق والواجبات ويُحترم القانون، وإلا وقع الناس بعضهم في بعض؛ وكان الفساد. شاهدي الصورة.. كر وفر، وإطلاق نار عشوائي، وملوتوف، وإلقاء حجارة، وإحراق أشجار، وتدمير ممتلكات ومحال؛ مشاهد تعرضها الفضائية وتساءل: وأين الشرطة؟. ما الإسلام أن يأخذ كلٌ الحق بيده. هذه فوضى!. قالت: أنا خائفة على البلد؟. وسألته:
- أتكون حرباً أهلية؟!. قال:
- لم تشهد مصر طوال تاريخها حرباً أهلية؛ قال تعالى.. أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ولا خلاف في أن القصاص لا يقيمه إلا ولي الأمر، وهو هنا رئيس الدولة، لا كما يزعم هؤلاء أنه لا يكون- فقط- إلا لأمير عادل. ويناوب عن رئيس الدولة هنا القضاء. والداخلية تقوم على تنفذ الأحكام. وقال:
- لِمَ إقامة الحدود لا تكون إلا لولي الأمر ؟. ونظر إليها، لأنها ذكرت أن القضاء لا يحكم بالشريعة؛ وأن القصاص غير مطبق؛ وليس في مصر حدود تقام ؟. فسكت، ثُمَّ أجابها:
- تقصدين حد السرقة، وحد الزنا ؟. وتابع: لا خلاف بين العلماء أن القصاص لا يقيمه إلا ولي الأمر، لأنه تعالى خاطب جميع المؤمنين به فقال " يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى. ولم يتهيأ للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص؛ كما يفعل هؤلاء الذين أقاموا أنفسهم مقام السلطان. وأنبها، لأنها أغفلت هذا، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؟، وكانت قد دَرَّست للنساء في المسجد سورة البقرة وآل عمران، والنساء؛ وبلغت سورة

يوسف* الجزء الثاني عشر، رغم أن غالبهنَّ عواماً، لكنَّ المصيبة أنها لا تحافظ على وردها من القرآن؟؟. وأنبها فوقعت فيه:

- وأنت تقول، ولا تفعل؛ وكلَّك مخالفات. قال:
- حافظي أنت على وردك، واعملي بما تقولين؛ وَدَعَكِ مني، مادام شيطانك يُريني في عينيك كذلك؛ واقتدي بنبيك ؟. قالت:
- أنرجع لهذا !؟ الأفضل أن نسكت حتى لا نذهب إلى الشجار في النهاية؟، فأطاعها.. والغريب أنه كان يحب أن يستمع لدرسها إذا درست، ويثق في قدرتها العقلية، والأغرب أنها ترجع إليه في كل آية عَصِيِّة أو حديث لا تفهمه؛ ثُمَّ تحدث دائماً أنها لا تثق في سلوكه تجاه النساء، ولا تأمنه إذا خرجت وتركته في الشقة وحده؛ فيؤلمه هذاً؛ ويبتسم رغماً عنه. فتسرع قائله:
- ذا، أنت مطمئن على الآخر؟ أتأمن مكر الله ؟ أصبحت أشفق عليك من نفسك. حتماً سيأتي يوماً تظهر فيه بلاويك؟. فيضطر إلى الضحك، فتقول: أتهزأ!؟. فيصمت، وقد أوقعه في الضحك يقينها في فساده، لكن القلب يبكي !!.. وانتقل مراسل لجريدة المصري اليوم إلى موقع الحادث.. محال محترقة، بقايا زجاجات متناثرة، فوارغ طلقات نارية و٧ سيارات محترقة، وآثار دماء هنا وهناك؛ كان هذا هو المشهد الأخير لاشتباكات منطقة بين السرايا بالجيزة مساء أمس، بين أنصار الرئيس محمد مرسي وأهالي المنطقة؛ التي انتهت بسقوط قتلى بين الجانبين ومصابين كُثر؛ ثمان ساعات من الرعب عاشها أهالي المنطقة؛ الشيوخ والنساء والأطفال، عانوا جميعاً داخل منازلهم قسوة أصوات الأعيرة النارية التي لم تنقطع مدار الليل. وأغلقت أبوابها جميع المحال والمنازل، فيما تجمع أنصار الرئيس أمام جامعة القاهرة وأغلقوا مداخلها. وأغلق أهالي المنطقة شارع بين السريات ..

* * *

وفي المساء التالي؛ عقب بيان السيسي عزل مرسي، وإسناد رئاسة الدولة إلى رئيس المحكمة الدستورية، عمت الفرحة الطاغية المنازل والشوارع والميادين في العاصمة والمحافظات جميعاً، وتعانق المواطنون، ودوى هتاف الجماهير، وسط الألعاب النارية التي أضاءت السماء ابتهاجاً بعودة الروح إلى مصر. وفي ذات اللحظة عاش أنصار الرئيس المعزول* ليلة حزينة في ميدان رابعة العدوية، وانخرط الكثيرون في بكاء شديد، وسقط البعض مغشياً عليه، وجأر آخرون بالشكوى إلى الله، من عبد الفتاح السيسي، وقاموا بالدعاء عليه في الصلاة.. ورغم علم المعتصمين من قياداتهم عبر مكبرات الصوت؛ أن انقلاباً على الشرعية قد حدث، تَرَقَّبَ الجميع بيان السيسي، يحدوهم الأمل حَذْوا؛ كون هذه إشاعة أشاعها المتحزبون ضد الرئيس، ليفُتوا العضد، فيخضعوا للمداهنة، ويهرولون إلى التنازل. فإما الإطاحة بسلطتهم التامة فذلك عين المستحل، وأن الحفاظ عليها حتى الرمق الأخير، هو الهدف الأسمى، ولو بالنزول إلى بعض رغبات المتظاهرين. وطائفة أخرى راحت تفكر بعاطفةً: أن تتدخل السماء فتنقذهم، وابتهلوا إلى الله- فقلوب العباد بين يديه يقلبها كيف يشاء- لعله يفاجئهم بتغيير قلب هذا، السيسي، فيخرج على الناس، ليبرأ من ذنبه، ويعلن تأييده للشرعية، وبقائه في صف الرئيس د/ محمد مرسي، ولي نعمته، من ولاه وزيرا للدفاع.؟!. وبينما هم، في غير تصديقهم، باغتهم صوت وزير الدفاع* في حسمٍ وقوة معلناً ما مفاده؛ عزل الرئيس د/ مرسي! وتعيين رئيس المحكمة الدستورية العليا رئيساً للبلاد، وإيقاف العمل بالدستور. فبُهِتَ الجميع، وأصيبوا بالفزع، بما فيهم" البلتاجي " الذي كان قد أنبأ منذ قليل عبر مكبرات الصوت: أن انقلاباً على الشرعية قد حدث. ووقع العشرات في حالة من البكاء والصراخ الشديد، وسقط البعض مغشياً عليه !. وفجأة عادوا فتفوا في تَوَحُد: انس يا سيسي، أنت مش رئيسي؟. بالروح بالدم، نفديكي يا شرعية؟. مؤكدين عدم موافقتهم على البيان،

وأنهم لن يرحلوا من الميدان، ولن يتنازلوا عن الشرعية!!. وجأر البلتاجي، موجهاً حديثه إلى المعتصمين: لقد خسرنا جولة، ولم نخسر المعركة. وأضاف: إننا أمام مخطط واضح ومدبَّر، وعلينا بالصبر، وعدم الانحراف إلى العنف لأن ذلك هدفهم ؟. فصاح شاب في الخامسة والعشرين، يبكي: بل العنف هو الحل؛ سنعود إلى السجون بدون وجه حق؟ عاو زين يُرَجَّعُوا الحزب الوطني ثاني لينكل بنا، لن نسمح لهم، وسنحرق الأخضر واليابس؟. فطمأنه شيخٌ كبير: لا تقلق؛ لم يعد هناك مجال لعودتنا للسجون. سيحاولون إلصاقنا تُهماتهم الباطلة، وسنفلت منها، وسنجد من القوى السياسية من يساندنا. وحاولت المنصة إزكاء روح الحماس في المتواجدين؛ فتارة تعلن؛ أن قيادات الجيش الثالث الميداني رفضوا بيان السيسي؛ ودعوا الشعب للنزول دفاعاً عن الشرعية. وتارة تتحدث عن أهمية الاستمرار في الاعتصام وعدم اليأس، وأن هناك مليونية يتم التخطيط لها ستشهد أعداداً مهولة "٢٠مليوناً" من الأنصار من جميع المحافظات تأييداً للرئيس مرسي، وإعادته إلى الحكم، وستنتصر الشرعية على الانقلابيين العسكر، وأنهم مرابطون. وشددت اللجان الأمنية من إجراءات التأمين. فوصلت بالفعل عدة مسيرات تضم أنصاراً جدداً وهتافات: زى ما ترسي ترسي، رئيسنا هو مرسي؟. يسقط حكم العسكر؟. وأعلن أحد دعاتهم من أعلى المنصة: هناك من يحارب الإسلام في مصر، وسيتضح ذلك للجميع قريباً. ما حدث اليوم على أرض الواقع ليس ثورة، وليس بإرادة شعبية؟. وطالب الجميع بالصمود، فالمعركة لازالت مستمرة، والرئيس مرسي لم يسلم بعد. وسنخوض جميعاً معركته؟. وقال مقدم برامج بقناة مصر ٢٥ التابعة للجماعة: هناك من يحاول إعادة دولة الظلم والاستبداد؛ اقتحموا علينا كل القنوات الدينية ومنعوا بثها في عودة لسياسة تكميم الأفواه. وأضاف. النيابة لم تأت بعد، ومازالت اللعبة مستمرة..

وكان وزير الدفاع، عقب الاجتماع بالرموز الدينية والوطنية والشبابية الفاعلة في الأحداث، قد خرج فقرأ في لغة حسمٍ قوية: بسم الله الرحمن الرحيم. شعب مصر العظيم. إن القوات المسلحة لم يكن في مقدورها أن تصم آذانها أو تغض بصرها عن حركة ونداء جماهير الشعب التي استدعت دورها الوطني، وليس دورها السياسي. على أن القوات المسلحة كانت هي بنفسها أول من أعلن، ولا تزال، وسوف تظل بعيدة عن العمل السياسي. لقد استشعرت القوات المسلحة انطلاقاً من رؤيتها الثاقبة أن الشعب يدعوها لنصرته لا يدعوها لسلطة أو حكم، إنما يدعوها للخدمة العامة، والحماية الضرورية لمطالب ثورته. لقد بذلت القوات المسلحة خلال الأشهر الماضية جهوداً مضنية، بصورة مباشرة وغير مباشرة لاحتواء الموقف الداخلي، وإجراء مصالحة وطنية بين كافة القوى السياسية بما فيها مؤسسة الرئاسة منذ شهر نوفمبر ٢٠١٢ بدأت بالدعوة لحوار وطني، استجابت له كل القوى السياسية الوطنية، وقوبل بالرفض من مؤسسة الرئاسة في اللحظة الأخيرة. ثم تتابعت وتوالت الدعوات والمبادرات من ذات الوقت حتى تاريخه. كما تقدمت القوات المسلحة أكثر من مرة بعرض تقدير موقف استراتيجي على المستوى الداخلي والخارجي تضمن أهم التحديات والمخاطر التي تواجه الوطن على المستوى الأمني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ورؤية القوات المسلحة كمؤسسة وطنية لاحتواء أسباب الانقسام المجتمعي وإزالة أسباب الاحتقان، ومجابهة التحديات والمخاطر للخروج من الأزمة الراهنة. وفي إطار متابعة الأزمة اجتمعت القيادة العامة للقوات المسلحة بالسيد رئيس الجمهورية في قصر القبة يوم ٢٠١٣/٦/٢٢ حيث عرضت رأي القيادة العامة، ورفضها الإساءة لمؤسسات الدولة، وللرموز الوطنية والدينية. كما أكدت رفضها لترويع وتهديد جموع الشعب المصري. لقد كان الأمل معقوداً على وفاق وطني يضع خارطة مستقبل، ويوفر أسباب الثقة والطمأنينة والاستقرار لهذا الشعب بما يحقق طموحه.

إلا أن خطاب السيد الرئيس أمس الأول، وقبل انتهاء مهلة الثمانية والأربعين ساعة جاء بما لا يلبي، ولا يتوافق مع مطالب جموع الشعب، الأمر الذي استوجب من القوات المسلحة استناداً على مسئوليتها الوطنية والتاريخية التشاور مع بعض رموز القوى الوطنية والسياسية والشباب، دون استبعاد أو إقصاء لأحد، حيث اتفق المجتمعون على خارطة مستقبل تتضمن خطوات أولية تحقق بناء مجتمع مصري قوي متماسك لا يقصي أحداً من أبنائه وتياراته، وينهي حالة الصراع والانقسام وتشتمل هذه الخارطة على الآتي.. تعطيل العمل بالدستور بشكل مؤقت. يؤدي رئيس المحكمة الدستورية العليا اليمين أمام الجمعية العامة للمحكمة، إجراء انتخابات رئاسية مبكرة على أن يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شئون البلاد خلال المرحلة الانتقالية لحين انتخاب رئيس جديد للبلاد. فالتفتت الزوجة إلى مجاهد مبتهجة بعيون دامعة. ووقعت مذيعة برنامج؛ هنا العاصمة في البكاء، وهتفت وهي تزيل دموعها: منصورة يا بَهِيَّة! وأكدت: منصورة دائماً يا بهيَّة! لم يعد هناك مرسي العياط، الرئيس الجديد هو المستشار عدلي منصور؛ رئيس المحكمة الدستورية العليا، رئيساً مؤقتاً لمصر في المرحلة الانتقالية. وفاضت من الدمع عينا مجاهد، وتساءل، وكأن مذيعة البرنامج ستسمعه فتجيب:

- ولكن أين مرسي؟. وما عسى أن يكون دوره في المرحلة الانتقالية؟.وقال لزوجته: أعتقد؛ أنه طالما يتولى رئيس المحكمة الدستورية العليا إدارة شئون البلاد أنه لم يعد له دور.؟ وأردفت مذيعة البرنامج تنبئ: عُزِلَ مرسي بإذن الشعب. فناداها كأنَما تسمعه:
- يا لميس، متى تبدأ المرحلة الانتقالية؟. وكان قد جلس وزوجته فارغا الصبر، كالملايين غيرهم، يتحينان سماع البيان. واستمرت مقدمة البرنامج تهتف عبر شاشة التلفاز:

- حمد الله على السلامة يا مصر ؟. حمد الله على السلامة يا مصريين؟ حمد الله على سلامتنا جميعاً. فالتفت إلى زوجته ليقول:
- السيسي هذا بطل، وهذه بطلةٌ، وفلان، وفلان، يعدد من المذيعين الذين صمدوا لإرهاب الإخوان، وكانوا لهم بالمرصاد يفضحون مكائدهم، ومخططهم في أخونة الدولة، وكذبهم حتى اللحظة الأخيرة، التي كان الإخوان قد أعدوها للقبض عليهم وعلى سائر المعارضين؛ وتلا.. ولا يحيق المكر السيّئ إلا بأهلة.. فقالت زوجة:
- سبحان الله !! مثل السيسي ومرسي؛ كمثل موسى وفرعون؛ ربى موسى، وكان ضياع ملكه على يديه. ومرسي جاء بـ" السيسي وزيراً للدفاع" وكان ضياع حكمه على يديه!. غير أن كراهية مجاهد لكذب الإخوان، وكبرهم، وبغيهم وفتنتهم للناس إلا أنه التفت إلى زوجته، وقال ينهاها:
- انتبهي؟. فرعون كان كافراً، ومرسي مسلم. وموسى كان نبياً، والسيسي ليس بنبيٍّ؟ قالت:
- أخاف عليه منهم؟. هم لا يؤمن غَدْرٌهم. قال:
- الله خيرٌ حافظاً.. وأنبأ؛ صِدْقُهُ ينجّيه. قالت:
- إذن ندعو له بالحفظ ؟. فقال في قصدٍ:
- نفعل. وكانا محبين لمصر؛ يخافان عليها من كل باغ؟ فألف ذلك بينهما.

* * *

وعاد أصحاب الرايات السُّود- وكان مبارك قد قضى عليهم في العشر سنوات الأولى من حكمه- عادوا بعد عزل مرسي! وقديماً قالوا: من خافَ سَلِمَ.. لقد ظل الصراع على السلطة في مصر حيناً بين الحزب الحاكم الذي ظل يسيطر دائماً؛ ويشعر أنه الأقوى، وجماعة الأخوان التي ظلت تبتكر سبلا في وُدَّ الناس؛ ما دامت تشعر أنها الأضعف، وتشعل حماس الجماهير بأنهم ما عقبوا بما عوقبوا به

من الحكام، إلا من أجل تطبيق الشريعة ؟ رافعة شعارا؛ الإسلام هو الحل ؟ جربنا كُلّ الأنظمة الوضعية ففشلت، ولا نهضة لمصر ولا لرفعة لشأنها إلا بتطبيق الشريعة. حتى إذا هلك مباركا، وصدر قراراً بحل الحزب الوطني. فانفردت الجماعة بالسلطة. وبأسرع ما كان يُتخيلُ - وقد أعجبتهم كثرتهم، وقوتهم التنظيمية على حشد الناس، أخذهم أخذاً سُّعارُ السلطة ـًـ عميت عليهم الأنباء؛ ولم يعتقدوا أنهم باقون في سُدَّةِ الحكم ثلاثون عاماً كمبارك؛ ؟ بل أقسم السيسي بالله أنه قد قيل له: نحن جئنا لنحكم مصر خمس مائة عام. طيب، كيف ؟!؛ كذلك تساءل وزير الدفاعً، بينما عيناه تبرقان من العجب، وأردف: إذا الشعب رضي حكمكم، فاحكموا ؟ وضحك، فضحك مجاهد، وخطر له السادات وتعليقاته، وأنه لو قيل له، ما قيل للسيسي؛ وكان خلوقا؛ لأجاب الجماعة على طريقته: ابقوا تعالوا قابلوني؟. ولكن وزير الدفاع اكتفى بابتسامة مهذبة معبرة تقول: انظروا للمستحيل، وطريقة تلك الجماعة في التفكير!؟. وقبلُ قال مرشد الإخوان" بديع " في حق معارضيهم، وهم الشعب المصري قاطبة لحظتئذ، ماخلا بعض الجماعات الإسلامية: ما هم إلا زَبدٌ كزبد البحر يذهب جفاء. وقال؛ أن الجماعة تعلو ولا يعلى عليها، وأنها حالة منفردة، يجب أن يُصاغَ قانُونٌ من أجلها ليناسب حالتها الخاصة. فعلم مجاهد لحظتئذ أنَّه ما مجاوز الحق عندما قال للشاب الصميم لفكر الجماعة حين جادله فيهم: أنهم يزالون عن الحكم سريعاً جداً؛ بأسرع ما زال عنه مبارك.. وتفكَّر في مشهد المعتصمين بميدان النهضة*أمس الأول.. حالة من الغضب العارم بين جموع الإخوان والتيارات الإسلامية من مؤيدي الرئيس المعزول* عقب انتهاء بيان القوات المسلحة بتعيين رئيس المحكمة الدستورية رئيساً مؤقتاً للبلاد. ودَوّى صوت إطلاق النار بالميدان، وقيام عددٌ منهم بتحطيم السيارات المتوقفة جانبهم. وتمكنت قوات الأمن بمعاونة قوات الجيش من السيطرة على الأمور، ومنع التعرض لمؤدي مرسي أو لأي من سكان المنطقة.

وأعلنت وزارة الصحة عن حصيلة الاشتباكات التي وقعت أمس الأول بجميع أنحاء الجمهورية بين مؤيدي ومعارضي الدكتور محمد مرسي، بعد البيان الذي ألقاه الفريق أول عبد الفتاح السيسي: الاشتباكات أسفرت عن وقوع ٥١٦ مصاباً و١١ حالة وفاة. منهم حالة واحدة فقط بمحافظة القاهرة بمستشفى التأمين الصحي بمدينة نصر. وكان مجاهد كلما سمع أو شاهد أحداث وقعت بتلك المدينة؛ تَحينَ الفرصة للاتصال بمدام أمنية للحديث، والاطمئنان. ؟. ورغم الاشتباكات تراقصت أمس أسهم ومؤشرات البورصة على نغمات أفراح الميادين بعد عزل، مرسي، وتعيين مكانه رئيس المحكمة الدستورية، وإعلان القوات المسلحة عن خارطة طريق لعبور المرحلة الانتقالية، فتزينت شاشات التداول باللون الأخضر منذ الثواني الأولى من التعاملات، وشهدت جميعاً صعوداً صاروخياً؛ الأمر الذي اضطر إدارة البورصة إيقاف التعاملات لمدة نصف ساعة، بعد وصول نسبة الصعود إلى ٥% لتكتمل الرحلة، ويغلق المؤشر الرئيسي مرتفعا بنسبة ٧.٣% بما قيمته ٣٦٣ نقطة، ويصل إلى مستوى ٥٣٣٤ نقطة. فيما شهد المؤشر الثانوي صعوداً مماثلاً بلغت نسبته ٩.٥% بما يعادل ٢، ٣٦ نقطة. لينهي الجلسة عند مستوى ٤٢٢ نقطة. لينعكس ذلك على رأس المال السوقي الذي حقق مكاسب بلغت قيمتها ٨، ٢٢ مليار جنيه بعد وصول رأس المال السوقي إلى ٣٥٥,٤مليار جنيه. فضحك مجاهد من المتحدث بالنشرة الاقتصادية؟! فرغم أنَّه الحاصل على بكالوريوس التجارة بتقدير مرتفع؛ لم يفهم من المتحدث بالنشرة سوى العبارتين الأخيرتين، من َعجلِة المتحدث كالعادة؛ كُرُّه نشرته كَرَّاً ؟. وفكر في نفسه: إذاً مصر تتعافى بعزل مرسي؛ الناس جعلت تشعر بالأمان ؟..

وأبت جماعة الإخوان إلا إفساد الفرحة بمواصلة العنف في عدد من المحافظات؛ كان أعنفها اعتدائهم على متظاهري سيدي جابر بالإسكندرية. وفي السويس دفعت قيادات الإخوان بالنساء والأطفال في الصفوف الأولى في مواجهة قوات الجيش

لاقتحام مبنى المحافظة، فسقط أحد مؤيدي مرسي قتيلاً، أُصيب بطلق ناري أطلق من خلف الصفوف؛ ما دفع المئات إلى الانسحاب لشعورهم أن هناك مؤامرة على حياتهم من قيادات الجماعة. وأصيب اثنان وأربعون منهم باختناقات، وعشرون من قوات الجيش نتيجة لرشقهم بالحجارة وزجاجات الملوتوف. وقررت القيادة العسكرية للجيش الثالث نشر قوات من تشكيلات الصاعقة على طول المجرى الملاحي لقناة السويس.

وعاشت الأقصر ليلة دامية بتجدد الاشتباكات بين المعتصمين أمام ديوان عام المحافظة من مؤيدي مرسي، والمواطنين. ما أسفر عن إصابة نحو ٢١شخصاً بإصابات متفرقة. وفي أسيوط لقي اثنان مصرعهما وأصيب عشرة آخرون بعد محاولة "الإخوان" اقتحام ديوان عام المحافظة. وفي الدقهلية اندلعت اشتباكات عنيفة بين الإخوان وبين أهالي منطقة الإستاد، ما أدى إلى إصابة عشرة. وقبضت الشرطة على عراقي الجنسية في محيط الأحداث يحمل السلاح الأبيض، يقف بين صفوف الإخوان. ولم يذهب مجاهد إلى الميدان بعد بيان الجيش، واعتبر أن الأمر انتهى بعزل مرسي، واهتم بمتابعة الإحداث في جميع المحافظات عبر الفضائيات، ومتابعة أحداث المحافظة من أفراد من قريته يعلم أنهم يذهبون للميدان..

وفي المنيا هاجم الآلاف من أعضاء الإخوان وأسرهم قوات الشرطة، وقطعوا الطرق والسكك الحديدية. وفي سوهاج تصدت قوات الجيش والشرطة لمحاولة أعضاء الجماعة اقتحام ديوان عام المحافظة. وألقت قوات الأمن بالبحيرة القبض على نجل القيادي الإخوان " جمال حشمت " خلال اشتباكات أمس السادس من يوليو بين أنصار مرسي والمواطنين بمدينة دمنهور. وتمكنت قوات الجيش والشرطة من القبض على أربعة عشر بحوزتهم أسلحة نارية ممن حاولوا اقتحام

ديوان عام محافظة أسيوط؛ فَعَلِمَ مجاهد المتابعة أن الجماعة تريد أن تستعلي على شعبا، لا تفكر في المستقبل، بل في الانتقام من الجميع. وكشف تقرير الطب الشرعي المبدئي " للراوي محمد " الذي لقي مصرعه أمس في محيط محافظة السويس أنه قتل لإصابته بطلق ناري من مكان قريب، وأكدت تحريات جهاز الأمن الوطني بالسويس أنه لا ينتمي للإخوان، وأن ما أعلنه حزب الحرية والعدالة عن عضويته بالحزب غير صحيح؛ فَدُهِش مجاهد من مدى النَّذالة، لقتل الجماعة بعض أنصارها لتتجر بدمائهم بالإضلال؛ تحريضاً على الجيش والشرطة ؟!. وعلم كذلك أنّه ولو حكم الإخوان مصر- كما زعموا- خمسمائة عاماً، فأساءوا إلى جميع أفرادها فرداً فرداً، ما حصدوا مَقْتاً أشدّ مما حصدوه من الأحداث التي أشعلوها مساء أول أمس بميدان سيدي جابر بالإسكندرية؛ دقوا وأنصارهم من الجماعات الإسلامية التكفيرية طبول الحرب الأهلية، بعد محاولاتهم الانقضاض على الميادين التي طالما احتشد الثوار فيها والمواطنون المطالبون بإسقاط..مرسي منذ الثلاثين من يونيه، أهمها ميدان سيدي جابر. فعلى الرغم من عدم تعرض الثوار، والمواطنون لأي من مسيراتهم التي أطلقوها في مناطق سيدي بشر، وفيكتوريا، ومحطة مصر، فإنهم قرروا الاتجاه إلى تظاهرات المناهضين للرئيس المعزول بسيدي جابر. كان المناهضون قد نظموا مسيرات بدأت من أمام مسجد القائد إبراهيم حتى ميدان سيدي جابر عقب صلاة الجمعة لمطالبة القوات المسلحة، والفريق أول عبد الفتاح السيسي بوضع جدول زمني لخارطة المستقبل. فتحول الميدان إلى ساحة حرب. وساد الذعر بين الأهالي، مطالبين وزير الدفاع بتنفيذ وعده، بعدم السماح لهذه العِصابة بترويع المصريين؛ المعركة أسفرت عن استشهاد أربعة عشر شاباً بينهم الشهيد محمد بدر الذي مزقه شباب الجماعة بالسيوف وألقوه من الدور الخامس. ومن بين دموعه أخبر والده: ابني الذي طلعت بِهِ من الدنيا، قتله الإخوان غدراً، وسرقوا فرحتي؟! حَسبي الله

ونعم الوكيل في القتلة السّفاحين؟، وَضَرعَ أثناء وجوده أمام مشرحة " كوم الدّكة " انتظاراً جثمان نجله لمراسلة إحدى الفضائيات: أتعلمين حال المقتول ماذا ؟؟ جسده مشوه، ومرمي من الدور الخامس، وعمره ١٩ سنة، كلُّ ذنبه أنه كان واقفاً مع أصحابه في سيدي جابر عندما بدأ الإخوان الحرب على الميدان للانتقام من المحتفلين برحيل رئيسهم الإرهابي. وبكي يحكي: أول ما الحرب اشتعلت، وبدأ الإخوان يستخدمون السلاح ضد المواطنين وقوات الأمن طلع " حمادة " ومعه اثنان من أصحابه على سطح المنزل، وأخذوا يلقون الحجارة على أفراد الجماعة في محاولة لتفريقهم، فشاهده بعضهم، فصعدوا إلى سطح العقار، واعتدوا عليه بالضرب والأسلحة البيضاء ومزقوا جسده بالسيف وألقوه من الدور الخامس. والدته في حالة انهيار كامل، وصدمة أفقدتها القدرة على الحديث بعد ما شاهدت جثة ابنها ملقاة على الأرض عقب سقوطه من الدور الخامس. وانتقلت كاميرا المراسلة لنسرين إسماعيل، والدة الشهيد؛ إسلام محمد؛ اثنان وعشرون عاماً فقالت كذلك: قُتِلَ ابني غدراً، أطلقوا النار عليه وهو واقف في الشارع أمام عيني، وما كان معه من سلاح ليدافع به عن نفسه؛ ولا كان له دعوة بحاجة. حسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل؟. وانفطرت بالبكاء تكمل مذهولة؛ فجأة وأنا أنظر من شرفة منزلي على حرب الشوارع التي كانت تدور بميدان سيدي جابر برعاية الإخوان ضد المواطنين والشرطة والجيش، شاهدت ابني وهو مرمي على ظهره على الرصيف ودماؤه تسيل على الأرض بعدما أطلق الإخوان النار عليه. وجعلت تبكي وتنشد: قالوا سلمية، وقتلوا أولادنا. وقالوا مسلمين، وليسوا مسلمين ولا يعرفون ربنا؟ دول عاصبة إرهابية مجرمة. ابني كان واقفاً يحمي أمه وأخته وكل بنات المنطقة. أيّ شَرْعِيِّة يدافعون عنها ؟! نحن خلاص، لا نريدهم، مرسي ليس رئيسنا. دم أولادنا في رقبة هذه الجماعة المجرمة؟..

وظل مشهد الصبية الذين فروا لائذين فوق سطح أحد خزانات المياه، وشخص ذو لحية كَثَّة يضع في جيبه سارية لعلم أسود، يدور حول الخزَّان كالثور هائجاً، يفتش عن أي شيء ليقذف به الصبية الثلاثة ليضطرهم إلى النزول. ومجموعة مسلحين بأسلحة بيضاء حول الخزان على سطح المنزل يطاردون الصبية معه، يقذفونهم بالحجارة من كل جانب ليضطرونهم إلى النزول.. وتجيء اللحظة الرهيبة حين صعد أحد هؤلاء إلى سطح الخزان بمعاونه أقرانه يحمل سكيناً. تركه الصبية من فرط السذاجة والذعر يرقي إليهم، ولو تعاونوا عليه فركله أحدهم ركلة واحدة لأسقطه في يسر، إلا أنهم تركوه يصعد إليهم يحسبونه، متى واجههم وسمع تضرعهم الصبياني، يرفق بهم ويخليهم سالمين. بمجرد صعود هذا الجلف الأصم، دفع الغلام من فوق الخزان ليسقط، وطاوعه الغلام، فلم يبد أيّة مقاومة، وترك نفسه يهوى، ماداً أحدى ذراعيه أمامه ليستقبل به الأرض، وذراعه الآخر خلفه يدفع عنه السكين، ساقاه منشورتان في الهواء كهيئة كطائر يتردى سريعاً، وقد أصابته طلقة مميتة. وتساءل مجاهد بألم: أهو رعب انتظار المصير ما جعل الغلام لا يبدي مقاومة، ويسقط من ارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار. وأن تعجيل النهاية، قد يُظن أحياناً أنه أرحم من ترقب الانتظار، أم أن الصبيَّ خطر له أن ترديه كذلك وما يصيبه من أذىً شديدٍ سيجعل هؤلاء الأجلاف يكتفون بالأذى الذي لحق به، فيدعونه فكر ودموعه تسيل. والأشنع؛ أن بمجرد سقوط الغلام على سطح المنزل جثة هامدة؛ انهال الشخص الذي يضع سارية علم القاعدة في جيبه بقلبٍ ميّت، - كأن الصبي عَدُوُّهُ اللدود- انهال بالساطور فوق رأس الصبي ليسرع في القضاء عليه تماماً، وكأن هؤلاء كائنات ليست بشرية، بلا قلب، ولا رحمة!. وحملوه، فألقوه في الشارع حيث قرنائهم المتربصين منتظرين وكأنهم بفعلتهم تلك يقولون لهم: هاؤكم، اسحقوه بأقدامكم، فذلك من تمام النصر.؟. مكث هذا المشهد

مؤلماً جداً لمجاهد، وظل نَكِداً، لا يشعر برغبة في شيء، والغضب الدفين، والهمَّ يكاد أن يقتله. واتشح سكان شارع المشير، وميدان سيدي جابر بالسواد..

وتحول المكان إلى مزار، وتوافد ناس لرؤية العقار الذي أُلقي من فوقه الغلامان. ورؤية أرصفة المنطقة الشمالية، ورخام السكة الحديد، وأرصفة شارع المشير التي قام أعضاء الجماعة وأذنابهم بتحطيمها، ليقذفوا بها قوات الجيش والشرطة في تلك الليلة الدامية أول أمس. وانتشر فيديو إلقاء الغلامين من أعلى العقار على جميع الفضائيات. وقام الحديث عنهما بالشوارع. وتناثرت هناك على أبواب العقارات والحوائط دماءٌ كثيرة، فقام سكان المنطقة بإلقاء كميات كبيرة من المياه، وغسل الشارع في محاولة لإزالة رائحة الموت..

وفي بلادة غريبة، وقلة حيلة راح أبناء المنطقة يَرْوُون للزائرين مآسي الشهداء، يعجبون لما منعهم الذهاب لإنقاذ الغلامين لحظتئذ ؟ أو للدفاع عن أنفسهم ضد هؤلاء الغوغاء. يحكي صاحب مقهى لمراسل إحدى الفضائيات: فوجئت بدخول مجموعة من مؤيدي ثورة ٣٠ يونيو؛ نساء وأطفال للاحتماء بالمقهى من اعتداء الإخوان، ولم تمض دقائق إلا وعشرون مُلتحياً يقتحمون المقهى، وإلقاء قنابل المولوتوف لإحراق كل ما فيها. الحمد لله أن باب المقهى واسع؛ حيث تمكنا من إخراج الجميع. وللأسف، كل من كان يخرج كان يضرب بضراوة دون مراعاة النساء أو الأطفال. وقال: احترق مقهاي عن آخره. ولولا تدخل قوات الدفاع المدني في الوقت المناسب لتبريد أنابيب البوتاجاز لانفجر المكان بأكمله. تحدث نشِطاً، وفجأة خار يأسى: لمصلحة مَنْ يحدث هذا !؟ توافد على الميدان منذ ٢٨ يونيو الآلاف من الأسر في مظاهرات سلمية تعاملت معنا بأدب واحترام وغادرت، لنفاجأ بهؤلاء الذين قطعوا عيشي وعيش عيالي؛ خسائري تتعدى٣٠٠ ألف جنيها.. وقصَّ يوسف عزيز" مكوجي": حضرت محلي لأفتح، ففوجئت بأنه

غارق بالدماء، من كثرة ما تسربت من أسفل الباب إلى الداخل. لم أر في حياتي مثل هذه الدماء. لقد عشنا احتفالات ٣٠ يونيو وسط حشود دون أدنى أذى، فمن هؤلاء ؟! ولمصلحة مَنْ يخربون وطناً ويذبحون أبناءه ؟؟. وأنبأ ربيع، موظف: شاهدت بعيني ٦ مُلْتَحِين يقومون بتحطيم سيارتي التي وضعتها أسفل منزلي، ولم أستطع النزول وإلا قتلوني ؟. فصاح به مجاهد يؤنبه مَغيظاً: يا هذا، ألم تسمع أن من مات دون ماله فهو شهيد.. بل ادّارك عِلْمهمْ في الآخرة ؟، بل هم في شَكٍ منها بل هم مِنها عَمُون. وقال الموظف: سرقوا سماعات وبطارية السيارة، وقاموا بتجميع الطوب بداخلها. وعثرت بها على صندوقين مولوتوف، وسيف، حيث استخدموها مخزناً لأسلحتهم. وتحدث صاحب كشك حلوى على محطة سيدي جابر: ظل المواطنون يترددون أسبوع وأكثر بالآلاف على الميدان دون أذى؛ بل على العكس كنت أشعر أنني أتعامل مع أسرتي، أما جماعة الإخوان فمنهم لله؟ فمن أول المظاهرات حذرتهم من الهجوم على الكشك لأنه أكل عيشي، فأكدوا لي سلمية مظاهراتهم. لحظات وهاجمني مجموعة، وسرقوا سجائر بقيمة " ستة آلاف جنيه " وألفي جنيه، حصيلة مبيعاتي. وزاغ ببصره ناحية، وانتظر هنيهة قبل يجهش إلى البكاء. فتعقبه مجاهد، وقال لزوجته: هذا دعي، يستجدي البكاء، لعل استجابة عاجلة تأتيه من فاعل خير أو من وزير التضامن عبر البرنامج، ودعا عليه: لا عوضك الله عن سجائرك خيراً ؟ اطمئن، الحالة مفلسة.. وقالت سعاد متولي: شاهدت الإخوان يحطمون الأرصفة التي قامت المحافظة مؤخراً برصفها ليستعملوها ضد الشرطة والجيش. الغريب هو في النساء اللائي ظهرنَّ بأعداد كبيرة في المظاهرات؛ فوجئت بهن يحملن الطوب في أكياس لتسليمها لرجالهم، وأسلحة النارية، يحملنها يخفينها تحت خمرهن. اقتحمن مسجد "سيدي جابر" بحجة الاحتماء ودخلن ليخفينها والذخيرة، ليمدوا رجالتهم في تحركاتهم. واختتم للمراسلة حارس العقار حيث مقتل الغلامين: فوجئت بالسكان يستغيثون، أن مياه

الحنفية ينزل منها ماءٌ مختلط بدم، فصعدت أعلى العقار، فوجدت داخل خزَّان المياه جثة شاب مذبوح، بيده علم مصر. فارتعدت زوج مجاهد كأن اللحظة حاضره، والتفتت إليه فرأته يبكي في صمت، وهز رأسه يتخلص من الدمع، فانتثر غزيراً.. لم تبكه البشاعة، هذه المرة؛ والقسوة والشناعة، بل أبكه حب هذا الشعب لمصر حتى أن أحدهم يذبح فيأبى أن يترك علمها يسقط من يده في خزان المياه؟. وأنبأ الحارس يقصص من حكاية الصبية الثلاث القتلى: حدث هذا في أعقاب صعود مجموعة الملتحين إلى السطح، وقامت مجموعة أخرى بترويع سكان العقار بالخرطوش لمنعهم من الخروج. ظنناهم في البداية قد استولوا على السلطة، ولم نعلم أنهم القتلة. وبنبرة ألم تظل يطارده ما حيا. قمت بمساعدة السكان بإخراج الجثة، وتسليمها لسيارة الإسعاف.

* * *

الفصل الثالث

غادر عادل خليل الدقهلية، فجأة، إلى محافظة كفر الشيخ ليعمل وكيلاً لوزارة القوى العاملة هناك، وخلفه على الدقهلية "..الصبَّاغ" جاء من الغربية وكان يعمل وكيلاً لمديرية القوى العاملة هناك، ليعمل بالدقهلية كقائم بعمل مدير المديرية. وكانت العلاقة بين مجاهد وبين عادل خليل قد أصابها الجفاء بعد أن تأكد لمجاهد أن عادل خليل ما جاء الدقهلية إلا ركضاً وراء العائد المادي، والحصول على درجة وكيل للوزارة، لا يعنيه – مطلقاً- لا إصلاحاً، ولا تحقيق إنجازاً؛ بل وسعى حَبُوباً في إرضاء الجميع كي لا يشكوه أحدٌ للوزارة أو يكون طرفاً في أي مشكلة تفسد عليه مرَّ الأيام وبهجة المنصب، يخطط للعودة للوزارة بعد حصوله على درجة وكيلاً للوزارة. وكان قد شَكا إليه ضيق المكان؛ إذ هو الأحد عشر زميلاً وزميلة مَحشُورون حَشْراً في غرفة واحدة، ومع العلم أن جميع الدواليب التي يحفظ فيها مستندات وسجلات الإدارة، وهي كثيرة، جميعها بالصالة، تنتظر أن يَمُدَ أيُّ أحد يده فيأخذ ما شاء دون أن يدري به أحدٌ، مع وجود زميلين جَوَالين لا مكان لهما بالحجرة، ماهر مخيول، وعبد الحي، مما اضطره إعطاء الجميع يوم راحة بالتناوب، إضافة إلى الجمعة والسبت الرسميين، كأنما يعمل هنا رئيساً لوزراء مصر، حتى يجد الجميع مكاناً للجلوس، بغياب العنصرين محل الراحة، فعلها شجاعة، بضمير مطمئن.فسأله الأستاذ عادل عن اقترحه حلاً للمشكلة؟.

- حجرة المجاورة لنا يشغلها عنصران فقط؟. قال:

- اترك لي هذا الموضوع أوقعه بالسماحة. وكان الزميل والزميلة؛ سكرتارية لجنة المشتريات لا يكادان يصنعان شيئاً؛ تأتي صباحاً الزميلة تتبختر، بحقيبة يدها

الكبيرة، شئون للبيت عاجلة، وطعام الإفطار. تضع الحقيبة الثقيلة عن كاهلها. وقبل أن تأخذ في شئون بيتها العاجلة، تجلس قبالة باب الحجرة تطالع الداخل والخارج، لتأخذ في الحديث إلى زميلها، سكرتير لجنة المشتريات عن السياسية وآخر ما نما إليها من أخبار الإخوان. وكلاهما كارهان للإخوان كره العمى، ولثورة ٢٥يناير، متعاطفان مع مبارك، نصيران للفريق أحمد شفيق يقولان بالاستقرار، يدافعان عن النظام السابق بقناعة، ضد ماهر مخيول المدافع عن الإخوان وثورة ٢٥ يناير بشدة. ويعلو صياح مخيول، فيقوم مجاهد باستدعائه. ويكلفه بدفتر الوارد أو بأي شأن، ليشغله عن الجدال. فتخرج الزميلة فطورها لتطعم، فيدعمه زميلها، سكرتير لجنة المشتريات بطعمية ساخنة وفول حار من مطعم مجاور. وكلاهما – ما شاء الله- جسداً، يسدا فتحة الباب. وعقب الطعام يهبط سكرتير اللجنة جوالاً بالسوق، بدعوى الحصول على عروض أسعار لمتطلبات المديرية. ويرجع ببضاعة وافرة لمحل بقالة أنشأه في قريته حديثاً. وبمجرد رجوعه تتداعى له الزميلات من الحجر المجاورة. وكان تاجراً بساماً نشيطاً مقنعاً، يؤمن بهامش ربح زهيد، يعرف بشدة ما يحتاج إليه زَبُونه، وعليم بأناس زمانه، وهمهم في الطعام والذرية. لا يشتري إلا بالكرتون، يضعه خلفه فوق دراجته، ويأوي به سريعاً إلى حجرة المشتريات. وفي أقل من ربع ساعة يكون قد فرغ من تصريف كرتونه بالابتسام والترويج لسلعته التي لا تنافس في الجودة ولا في الطازجة، وأحَنُّ سعراً. ويعلن؛ كمن يفتتح مزاد، وقد اجتمع حوله الزميلات: رِنْجة إماراتي طازجة، مُبْطَرخة، ممتازة، شمِّ الرائحة؟ أجود أنواع الرِّنجة بالسوق. ويُعْلِم بانشراح صدر: أسعاري لا تنافس. في كل مكان لا يقل سعر الكيلو عن كذا، وسمحنا نحن بكذا. أنا أقنع بالربح القليل. المهم هو سرعة دوران رأس المال. تبيع كثيراً، تكسب كثيرا؛ وتحقق الربح الحلال. رنجة إماراتي من عند حِبنا أولاد الشيخ زايد، عِنداً في مخيول والإخوان. فيعيّره مخيول:

- شَفيق ذهب ليعمل عمرة في الإمارات منذ سنة فلم يرجع؟ فيصوب له في ثبات:

- قل، سيادة الفريق أحمد شفيق، قائد سلاح الطيران، رئيس وزراء مصر السابق، المقاتل الفطن، مثله لا يسلم رقبته للغدّارين، سيعود بالطبع إلى الرئاسة عندما يسقط محمد مرسي.

- أحمد شفيق، الفِل، تلميذ مبارك، يعود ليحكم؟. ولأنه يعلم وجيعة مخيول يسعى ليغيظه:

- وأنا فل، وأفخر لذلك؛ سيادة الفريق أفضل من ردِّ السجون مرسي؟. ويقع الجدال، ويصيح مخيول من الغيظ، فيطلبه مجاهد:

- يا فلان!!

- حاضر يا مولانا؟. ويضحك. الشيخ لا يعجبه هذا الحوار. ويفيء إلى الإدارة قائلاً:

- مثل هذه الحوارات مفيدة يا مولانا. هؤلاء فسدت عقولهم، لا يؤمنون بالتغيير، وطلبه مُسْتَحَبٌ يا مولانا؟. فَيستحلفه:

- بالله، دعنا نعمل يا مخيول؟، وأرحنا من جدالك؟.ويسأله عن دفتر الوارد الذي ألزمه به ؟. وينظر فيجد الزميلة مُجدة المكلفة بالصادر تعمل في نشاط وسعادة على الدفترين كليهما، فينتهرها، لأنها بفعلها، جعلت مخيول للصياح والتجوال، فتجيب:

- حاضر يا شيخ. وتعيد سجل الوارد إلى مخيول راغمةً، كأنّما انتُزِعَ من حضنها طفلها العزيز، وتضيف مسترضية لمخالفتها الأمر: حضر مندوبو الشركات، فعمدت أن أنجز، وتبتسم. فيترك تأنيبها، ويستشعر لها وُدّاً خالصاً لأنها تعمل،

ولا تحتاج كغيرها للرقيب.. وتحدث إلى الزميل، سكرتير لجنة المشتريات، بخصوص ماهر مخيول، وعبد الحي، فبالحجرة ثلاثة مكاتب، وهما فردان، فليجلسا إلى المكتب الفارغ معه، ليعاونان في أعمال الإدارة، بدلاً من طوافهما ؟. فتعلل لمستندات مهمة بالحجرة، وأنَّه يخرج باستمرار للإتيان بعروض للأسعار. تحدث خافضاً رأسه، لئلا يواجهه بالحقيقة. فكلم رئيسه المباشر؛ المدير المالي؛ المسئول عنه، وعن المخازن حيث الشقة المقابلة، والتي كان سكرتير لجنة المشتريات يلتحقها، كسكرتير دائم للجنة المشتريات التي لا تنعقد بالمخازن إلا كل حين وفين. فدبَّ خلافا بين رئيس المخازن وبينه، بسبب النشاط الأخير التجاري. فاحتالت مديرته السابقة، لدى مدير المديرية قبل الأسبق، بدعوى أن تكون الحجرة مكان دائم لانعقاد اللجنة، وعند فحص المشتريات بدلاً من انعقادها بالمخازن ؟. وتزلف الأخ لحاجته، فرجاها تثبيت أقدامه في الحجرة، بدعمه بموظفه تشاطره سكرتارية اللجنة، يظهر نفعها عندما يَعنُّ له القيام بأجازة، فلا ينتظرُون عودته أو يرتبك عمل اللجنة بسبب غيابه، فدعم.. وطلب المدير المالي الحالي مهلة ليقنع مرؤوسه، ثُمّ رجع يتعلل: كلمت فلان بخصوص طلب سيادتك فقال: لديه مستندات مهمة يُخشى عليها، متى خرج وترك الحجرة مفتوحة ليأتي بعروض أسعار؟. فاستفز مجاهد هذا الزعم، فواجهه بهذه الحقيقة:

- تعلم أن الحجرة يجري استخدامها كمحل للبقالة؟. ثم هناك زميله تجلس معه لتحرس إدارة المشتريات- وهو الاسم الذي ابتدعه الأخ تدعيماً لموقف استقلاله بالحجرة- المصيبة أن الناس تنكص عن الإصلاح عندما تصطدم مصلحتهم الخاصة بالصالح العام؟ واجه بذلك المدير المالي، ورئيس المخازن، ورئيس لجنة المشتريات لمّا لم يصل معه إلى حل، وأردف: - الغريب أنّه لنفس السبب خرج الناس على مبارك، ذهب ليورث ابنه الحكم؟. لِمَ الناس لا تريد إصلاحاً!. لك الله يا مصر؟. فلم يجب المدير المالي بشيء سوى أن ألقى في تخذل بهذه العبارة: لم

يبق من خدمتي سوى ستة أشهر، ولا أريد أن أخلق أزمة؟ والمفروض أن أعمل لمصلحة مرؤوسي؟ فردّه بغضبٍ:

- لا؛ إن أردت الحق، وأنت أزهري، ليسانس شريعة وقانون حسبما أعلم. أن تريد إصلاحاً، وأن لا تأخذك فيه لومة لائم.؟ أكرر، أنت تعلم أن الغرفة تُسْتخدم كمحل للبقالة. فنهض غضبان، واعتبر ذلك تدخل في عمله كمسئول عن تلك الإدارة.. فأحاط مدير المديرية بالأمر، وأطلعه أيضاً على اليوم التي اتخذه راحة لعناصر إدارته علاجاً لضيق المكان، ليرفع عن كاهله مسئولية ذلك، فمن حق كل أحدٍ أن يجد له مجلساً حتى يكلف بعمل؟:

- اهدأ يا شيخ.. سأجيء إليك كأني زائر؛ فأعاين المكان. وجاء. واستدعى سكرتير لجنة المشتريات ليعالج الأمر معه. ولأن الأخير يعلم أن عادل خليل ليس له في شيء، صرح بذلك يوماً، ويخاف. أقنعه أنَّه يخشى عليه، وأن الأمانة تستدعيه أن يحيطه بخطورة الموقف.! وبعد أن أطلع سعادته، ورفع سكرتير لجنة المشتريات يديه فوق رأسه، في مَكْرٍ، في إشارة لخروجه من المسئولية بعد البلاغ، وإخلاء سبيل نفسه بالكامل:
- المستندات لدي بالملايين، ولو حدث - لا قدر الله- وفقد مستند بالغ الخطورة، فأنا غير مسئول، فالغرفة سيحل بها غرباء، فأنا باستمرار أخرج أطوف على قدمي السوق للحصول على عروض أسعار تلبية لاحتياجات المديرية، والإدارة العليا. اللهم إني قد بلغت سيادتك. في أداء مسرحي، ولم تغادره الابتسامة! ولم يفكر عادل في مجرد التحقق عن ماهية تلك المستندات بالغة الخطورة، ولا في زميلة الأخ التي تشاطره سكرتارية اللجنة، تجلس في نفس الغرفة بشكل دائم، ولا أن دولابه الوحيد بالغرفة الحاوي للمستندات البالغة

الخطورة عليه قفل، بل راح ينظر إليه في إمعان من يسعى إلى توريطه، وأسرع بإخراج سيجارة ليدخن:

- سنحاول، سنجد حَلاً. كلفت وكيل المديرية بذلك. فغضب من هذا الخنوع، ولأنه يعلم أن وكيل المديرية "لا يحل، ولا يربط" فقَبلاً كان زميلاً معه بمكتب الخبرة، يزوغ من أيّ مسئولية، كالماء ينساب من بين الأصابع؟ ولا يُعْلَمُ كيف جاء وكيلاً للمديرية؟. فأكد:

- وكيل المديرية حضر ولم يصنع شيئا ؟. فردَّ عادل خليل ضجراً:

- سنحاول، سنحاول.. فلما صدر قرار الوزير بنقل عادل خليل إلى محافظة كفر الشيخ، وطَافَ مدير مكتب تفتيش عمل ثانٍ، وعضو نقابة العاملين بالمديرية بعريضة على الزملاء يطلب التوقيع عليها، صرح له:

- ليذهب عادل خليل! فلعل غيره يكون أفضل منه. ورفض التوقيع وهو يعلم أن رفضه سيصل، وسيعلم عادل خليل أنه ضد رغبة بقائه، وضد رغبة مدير مكتب تفتيش ثانٍ، الذي يشاركه الحملات على شركات إلحاق العمالة الواقعة في دائرة قسم ثانٍ، وكان أغلبها في حِجْر هذا الأخ، ويعتقد أن رفضه سيؤثر بالسلب على العلاقة بينهما، وقد تحدث بعض المضايقات حين طلبه من الأخ بعض المفتشين لديه للمشاركة في الحملات على الشركات الواقعة بدائرته تلك. وقد تأتي العريضة بنتيجة لدى الوزير، فتسوء العلاقة بينه وبين عادل خليل. وكان فحواها؛ أن العاملين في مديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية يلتمسون الإبقاء على السيد عادل خليل مديراً للمديرية فيها لإنجازه، وللوفاق الذي يعيشه العاملين بالمديرية في زمانه؛ ومحبتهم الشديدة للعمل تحت رئاسته. فاشمأز العريضة، ومن سلوك الأخ، ولم يستطع إلا أن يعلن عن شقاقه، رغم علمه أن هذا سيكسبه أعداءً جدداً. وجعل يرغب عن الصعود

للقاء عادل خليل. وكلما أرسل في طلبه أبطأ، حتى صرح له عادل خليل ذات مرة وهو يكتم غضبه عن ذلك:

- ما هذا يا أستاذ مجاهد!؟. أرسلت في طلبك مرارا. لو أني طلبت لقاء الوزير" أبو عيطة" لكان أيسر لي من طلب لقائك ؟. فتعلل بضرورة تواجده في الإدارة. فأردف عادل خليل يؤنبه بأسلوب لين:
- طيب يا سيدي، أعطنا نحن أيضاً من بعض وقتك. فلان.. وأشار إلى ضيفه الذي مكث طويلاً، له عندنا مصلحة.. فانظر كيف تستطيع أن تخدمه. وألتفت إلى ضيفه:
- هو يا سيدي الأستاذ مجاهد، مدير إدارة الاستخدام الخارجي الذي بيده إنجاز هذا الشأن. فأسرع الضيف في التزلف: سماهم في وجوههم!! ونهض ليصافح بحرارة، وزاد، أنه يرى في الوجه نوراً لا يتكلف له صاحبه. فألقى عنه تلك الحفاوة، ونهض ليسأل في حزن مُستدعيه:
- أتأمر سيادتك بشيء ؟؟.
- لا. شكراً. فقط اهتم بموضوع الرجل. ورحل عادل خليل إلى كفر الشيخ فجأة، وأكبر الظنَّ أن العريضة لم تدرك "أبو عيطة"؟. فتنفس الصعداء وقال في نفسه: وهذا همٌّ قد انزاح. اللهم اجعل في قادم إصلاحاً؟؟

وبعد يومين، الجمعة، الثالث والعشرون من أغسطس صدرت الصحف كلاعب مجيد تبشر: جمعة سقوط الإخوان؛ مسيرات محدودة، ومصطفى محمود بدون الجماعة.. أوبا ما يعترف: قطع المعونة لن يؤثر على القرار المصري. إل " واشنطن بوست" كبرى الصحف الأمريكية، تحركت للرد على " أوبا ما " بقوة حين دعت الإدارة الأمريكية إلى إعمال مصالحها الأخلاقية والإستراتيجية في مواقفها من الأزمة المصرية ورؤية الأفضل لمستقبل مصر. وقالت الصحيفة: إنه على المستوى الأخلاقي، لم تقدم جماعة الإخوان شيئاً لمصر سوى حكم

ديكتاتوري متعصب غير كفء. واعتبرت أن عزل الرئيس مرسي كان ضرورياً للحيلولة دون تأسيس نظام ديكتاتوري في مصر على غرار ما فعلته حركة حماس بقطاع غزة عقب فوزها في الانتخابات العامة ٢٠٠٦م وتابعت صحيفة الجمهورية تنبئ: الضربات الأمنية تلاحق الإرهاب بسيناء. مقتل ٧٨ من التكفيريين وضبط ٢٠٣ آخرين.. أعضاء الإخوان، كلهم يتهربون الآن؛ بديع بعد القبض عليه: لم أحرض على قتل المتظاهرين.البحث عن العريان والبلتاجي في جبال سوهاج. اعتقال ستة من مؤيدي الرئيس المعزول في واقعة سحل ضابط الشرطة بأسوان..

وطابقت صحيفة الشروق المعارضة؛ وصحيفة الجمهورية القومية بـ عنوان رئيس: الجماعة تفشل في الحشد لـ جمعة الشهداء.. وتَراجُعْ صور مرسي، وتَقَدُّم لافتات ضد دولة مبارك.... حجازي؛ من دعاة الفضائيات والمقرب من الجماعة، في تحقيقات النيابة: لست إخوانا واحترم السيسي جداً. كنت أحشد المعتصمين للصمود ضد الانقلاب. أبو إسماعيل يعظ الإخوان في سجن العقرب: الرسول انتصر على الكفار بالصبر، هذه السجون بُنِيَتْ من أجل حبس الإسلاميين، وقد دخلها الكثيرون منا وخرجنا، وعدنا إليها مرة أخرى. مشيراً بيده إلى الكتاتني؛ رئيس حزب الحرية والعدالة؛ ناهياً خطبته بالدعاء إلى الله أن يفك كرب الإخوان؟ والدعاء لشهداء رابعة بالرحمة. وبكى على ما حدث في مصر خلال الأيام الماضية. وفور انتهاء الصلاة اصطحب أبو إسماعيل الشاطر من يده، ودخل كل منهما زنزانته، بينما ظل محمد العمدة مع باقي المحبوسين يتحدثون لبعض الوقت.

وقالت اليوم السابع: بورسعيد لسفن العالم: نرفض التدخل الأجنبي ... اشتباكات بين الموطنين والإخوان بالقاهرة والغربية. وخطط لإنهاء سيطرة المتطرفين على

كراسة. فضيحة الإخوان ينشرون إعلاناً في "واشنطن بوست" يطالب بالتدخل الأجنبي.. صحيفة الوطن: .... الأهالي يهتفون للسيسي... "الببلاوي" رئيس الوزراء الحالي: العدول عن خارطة الطريق خيانة.. "الوطن" تكشف : مرسي مَنَحَ الجنسية المصرية لـ ٦٠ حمساوياً بالسجون الإسرائيلية.. مصادر: السيسي قال لقادة الجيش: لا تصالح مع الإخوان على الدَّم.. النيابة تأمر بضبط ٥٥متورطاً في "مذبحة كرداسة" القبض على أربعة من الإخوان ومسجل خطر من المتهمين بتعذيب ضابط أسوان؛ وأخيراً؛ يتصفح مجاهد جريدة المصري اليوم: الإخوان تخسر. قتيل وعشرات الجرحى في اشتباكات المحافظات، والمنابر تدعو لنبذ العنف. أوباما ينحاز لـ"الجماعة" ضد مصر، الرئيس الأمريكي يهدد القاهرة بـ "إجراءات حاسمة". و"فهمي": الدعم الدولي للإرهاب يؤجج العنف في مصر.. رموز النظامين السابقين يلتقيان غداً.. والمكان: قفص الاتهام. أكاديمية الشرطة تشهد محاكمة "مبارك" و"بديع" و"الشاطر"

تذكر الروايات أن يونس - عليه السلام - ضاق ذرعاً بتكذيب قومه له، فأنذرهم بعذابٍ قريب، وغادر مغاضباً آبقاً. فقاده الغضب إلى شاطئ البحر حيث ركب سفينة مشحونة. وفي وسط اللُّجَّة ناوأتها الرياح، وأشرفوا على الغرق جميعاً. فاستهموا على أن من يخرج سهمه لا بد أن يُلقى في البحر لتخف بهم السفينة، فتنجو من الغرق، فخرج سهم يونس؛ وكان معروفاً عندهم بالصلاح، غير أن سهمه خرج بشكل أكيد. فألقوه في البحر أو ألقى هو نفسه. فالتقمه الحوت وهو مستحق للَّوم لأنه ترك قومه مُغاضباً قبل أن يُؤذَنَ له. وعندما أحس بالضيق في بطن الحوت ذكر ذنبه.. فنادى في الظلمات؛ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.. فَسُمِعَ نداؤه، واستجاب الله له، فلفظه الحوت.. فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. وقد خرج من بطن الحوت سقيماً عارياً على الشاطئ.. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين؛ القرع يظله بورقه العريض ويمنع

عنه الذباب الذي يقال أنه لا يَقْربْ هذه الشجرة، وكان هذا من تدبير الله ولطفه. فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه.. وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون، فآمنوا فمتعناهم إلى حين.. وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون، آمنوا أجمعين. و قد خافوا ما أنذرهم من العذاب بعد خروجه. فآمنوا وطلبوا العفو من الله فَسمِعَ لهم، ولم ينزل بهم عذاب المكذبين. فكر مجاهد؛ فالفريق أول عبد الفتاح السيسي دعا المصريين للخروج إلى الميادين يوم الجمعة الموافق ٢٦يوليو لمنحه تفويضاً لمحاربة الإرهاب، واستعادة سيطرة الدولة المصرية على أراضيها، والقضاء على كل مظاهر الفوضى التي تثيرها الجماعات الإسلامية؛ على رأسها جماعة الإخوان والجماعات الجهادية التكفيرية: أطلب منكم النزول للميادين لمنحي تفويضاً أو إصدار الأمر لي بمحاربة الإرهاب. أنا لم أطلب منكم قبل اليوم شيئاً. فتوجس مجاهد في نفسه خيفةً؛ فماذا لو لم ينزل الناس؟ فالشهر رمضان، وقد يمنع الناس من النزول الصيام والقيام. إذاً فقد ضاعت مصر! وعظمت شوكة الإخوان وعلت إرجفاتهم. فهل هذا الرجل واثقاً من استجابة الناس له كاستجابة قوم يونس ليونس بعد نجاته وقد شوهد غريقاً؟ أيعتمد على مكانته التي حصل عليها عندما لبى نداء الملايين الذين خرجوا في الثلاثين من يونيه يطلبون تغيير النظام؟. فما باله، قد بدا مهموما وهو يلقي هذا البيان، وتكرار إلحاحه: أنا لم أطلب من المصريين شيئاً قبل هذا اليوم. فتمنى أن لو لم يقدم السيسي على هذه الخطوة، ويستمر في خارطة المستقبل غير عابئ بإرجاف الإخوان في الداخل، والخارج، والترويج أن ما حدث في الثلاثين من يونيه لم يكن ثورة شعبية ضد مرسي والإخوان، بل انقلاباً عسكرياً قام به الجيش والسيسي. وفي رمضان يزداد تعلق المصريين بالبقاع المقدسة حيث عمرة رمضان وختم القرآن وصلاة التراويح والتهجد بالمسجد الحرام بأصوات أئمة تذوب لها القلوب. وعلى غير العادة هذا العام، اتجهت الأنظار إلى مصر، وحَرِصَ أئمة المسجد الحرام- وأمَّ المصلين فيه

خلال الشهر الكريم سبع أئمة- حرصوا جميعاً على الدعاء لمصر، وأن يوحد الله كلمة المصريين، ويرزقهم برئيس عادل، وبطانة صالحة، وأن يقي الله المصريين شر الفتن، وقع الدعاء مهموماً يجهش أصحابه إلى البكاء فَرْقاً على مصر؛ ففاضت عيني مجاهد، واستشعر أن مصر حقاً هي الأم، وأن هؤلاء الضارعين إلى الله من أجلها، بدوا أكثر حباً لمصر من أهلها، ونبض قلبه، وقلب زوجته بحب هؤلاء . وطفقا يمسحان دموعهما، ونظرا إلى بعضهما البعض، وابتسمت الزوجة إليه؛ وشعرا بحب صادق. وحار الناس في هذه الظاهرة المصرية الفياضة للفريق أول عبد الفتاح السيسي والتي تبدو في كثير من إيحاءاتها، أنها استدعاء لعبد ناصر جديد، واستشعر الناس أنه قد بدأت بالفعل عملية تحرير مصر، ليس من الملكية الفاسدة والإقطاع والرأسمالية المستغلة هذه المرة، بحركة الضباط الأحرار، بل من الإخوان والجماعات التكفيرية، بخروج الملايين في فيضان بشري كاسح. وتوقف مجاهد عند صورة بديعة، وسط هذا الفيضان إذ تبدت الفتاة "آية أو أسماء" في اشراقة وجه، تعبر عن نفسها على شق وجهها الأيمن بهذه العبارة:

(A - LOVE- CC)

وإلى جوارها صديقتها المحتجبة، التي شرعت الهاتف الجوال إلى أذنها تتحدث، فظهر علم مصر بألوانه الثلاثة مرسوماً فوق ظهر كفها؛ فهل تستدعي عزيزة لديها، للحضور للميدان لمزيد من التأييد لنجدة مصر، وتخبرها أن الناس لم يشغلها عن المجيء للميدان الصيام والقيام؛ مِثْلَه؟. فكر مجاهد: وكأن هذا الشعب يعلم أن نجاح حركته في تغيير النظام يتوقف على موقف الجيش؛ فإن تحرك وانحاز له ووفر له الحماية نجحت ثورته، ووضعت خريطة طريق جديدة. وإذا لم يتحرك وترك الشعب بالشارع وحده، فالمؤكد أن جناح الجماعة المسلح

والتنظيمات الجهادية ستتحرك للاعتداء على المتظاهرين وقتل المئات وربما الآلاف لدفعهم للعودة إلى البيوت والْتِزامها، وعدم الخروج على مرسي أو غيره مرة ثانية؟. بالفطرة الشعب يعلم جيداً ذلك. وكان السيسي يعلم مخاطر ترك هذا الشعب بمفرده في مواجهة الجماعة ورفقائها. لاسيما في ظل تحالف الجماعة والإدارة الأمريكية وقطر، وتركيا، فلم يتوقف أمام هذه التحالفات، وحسم أمره على النحو الذي ورد في بيانه الأول الذي شدد فيه: نَروح نموت أحسن، قادة وجنود وصف ضابط، قبل أن نسمح بترويع المصريين، ولن نسمح بترويع هذا الشعب، فانشرح صدر المصريين بهذه الكلمات العفوية البسيطة، وخرجوا. ووفرت القوات المسلحة الحماية للناس في الثلاثين من يونيه. ولمّا تزايدت التهديدات، عاد الرجل بدوره، ليطلب من المصريين الخروج في السادس والعشرين من يوليو، لمنحه تفويضاً بمحاربة الإرهاب، أطلب ذلك وهو يعلم أن الناس ستلبي دعوته، وستخرج بالملايين، ويشهد ذلك العالم ؟ وسيسمع الجميع صوت الشعب على النحو الذي وصل واشنطن. فخرجت المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية بعد ساعات من خروج المصريين لتقول: أصوات الشعب المصري هي التي منعتنا من اعتبار ما جرى في الثالث من يوليو انقلاباً عسكرياً.. جمعة أسطوريةٍ؛ أجمع المتخصصون، وكثيرٌ من الوكالات الأجنبية على أن الأعداد التي خرجت أول أمس لتأييد دعوة الفريق أول عبد الفتاح السيسي لرفض الإرهاب هي الأكبر في تاريخ مصر. وتراوحت تقديرات الأعداد ما بين خمسة وثلاثين مليوناً إلى أربعين مليوناً في وقت الذروة عَقب انتهاء فترة الإفطار.. وكالة "الأسوشيتدبرس" الإخبارية الأمريكية: الحشود الذي خرجت أول أمس الجمعة تحت عنوان " دعم الجيش، ولا للإرهاب " تلبية لنداء وزير الدفاع المصري "عبد الفتاح السيسي" هي الأكبر من حيث العدد على مدار عامين ونصف من الاضطرابات التي غَزَتْ شوارع مصر..

لقد كتب " جمال حمدان " عن مصر؛ عبقرية الزمان والمكان، أولو كان حيّاً لكتب أيضاً عن عبقرية السكان، وأن عبقرية الاحتشاد طرحٌ جديد ابتكره المصريون تعبيراً عن قدرتهم على مواجهة الحاكم المستبد، والنظام الفاسد بما هو أقوى منه. لقد كتب المصريون فصلاً جديداً في التاريخ المعاصر، بدؤوه بصفحة مضيئة في كتاب الحضارة الذي نشروه منذ الميلاد الأول للإنسانية، وتذاكر مجاهد أغنية جميلة صيتت هذه الأيام لـ إمام، وأحمد فؤاد نجم " أدي مصر يا لْلِي شككتم في مصر. أدي مصر يا للي افتيتوا الفتاوى في حقها ما لهمش حصر. أدي مصر خارجة تعلن عـ الملأ كلمتها مصر. لا العساكر أو قنابل يمنعوها لو أي عصر. أدي مصر وأهل مصر" وفاضت عيناه بالدمع. وكان قد أسرع بعد صلاة التراويح إلى شاشة التلفاز يشاهد الجمعة الأسطوريةٍ والاحتشاد العظيم؛ رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء في مداخلة هاتفية لبرنامج الحياة اليوم سمعه يصرح لمقدمة البرنامج: إن جميع كاميرات العالم والأقمار الصناعية رصدت خروج جميع المصريين للشوارع والميادين، وصور المتظاهرين يمكن إحصائها بسهولة، وأن تقديره للأعداد التي خرجت في تظاهرات تفويض الجيش لا تقل بأي حال عن خمسة وثلاثين مليون مواطن. فردّ البلتاجي: أن الأعداد التي خرجت لتأييد السيسي ما هي إلا خداع بصري " فوتوا شوب " وأن الأعداد التي خرجت لتأييد الرئيس محمد مرسي تخطت تلك الأعداد بكثير. فغضب مجاهد، وكان قد وافى الميدان من بعد صلاة العصر حتى قرب الإفطار، وقفل عائداً بعد أن اطمأن إلى خروج الناس، والحشود الهائلة التي لم يمنعها الصيام والقيام عن المجيء للميدان، فتلا وهو في غاية الازدراء من هذا الكذب هذه الآية: ... فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وناداه: يا للبجاحة، والكراهية والكذب الذي يفوح من هذا الفم!؟. لقد قعد بعد القيام لمتابعة المشهد العام عبر هذا البرنامج، وجرت الزوجة مع بنات أخواته وصبايا العائلة وأطفالهم.

فوافوا الميدان حتى وقت متأخر من الليل، وقعد هو حتى عادت. فقال يصف لها، لمّا عادت محبورة بما رأت؛ وكان لم يزل ساهراً يتابع خلال البرامج:

- لعلها، يوم القيامة على جماعة الإخوان، جمعة ٢٦ يوليو؟. الناس في كل مكان، من كل مكان. واقترب أذان المغرب وهم هدوء؛ كأنهم ليسوا صياماً. جاءوا من أماكن بعيدة وفطورهم معهم. وهرولت أنا إلى البيت لأجل الإفطار. هذا المشهد لن ينس؛ لحظة الإفطار في ميدان التحرير، وأجْراس الكنائس تدقُّ مع آذان المغرب في توافق عجيب، وقس باسم في غير كلفة، يقدم لجنود إحدى مركبات الجيش النازلة لتأمين الميدان طعام الإفطار. وابتهجت مقدمة البرنامج للمشهد تبكي، وكأن لسان حالها يحكي عن مصر: يا للي فيكي الإنسانية، والسماحة الربانية. كل واحد من ولادك في مجاله يساوي ميّة.. مقدمة برنامج "الحياة اليوم" الجميلة الوديعة محظوظة هذه الليلة حين تحدث إليها رئيس الجمهورية المؤقت "عدلي منصور" خلال مداخلة هاتفية للبرنامج فلم تقل مداخلته إثارة وإعجاب في نفسها من البساطة البالغة والتواضع والمفاجأة. قال، وهي تبتسم محبورة، والدم القافز في وجنتيها على كثرته، تتلَمَّظ من شدة الفرح وأن الرئيس يخاطبها:

- يا أستاذة "ريهام " تابعت خروج المصريين في مظاهرات اليوم. وهذا يؤكد أن الشعب المصري أصبح واعياً سياسياً، وهذا شيءٌ مُفْرِحٌ. الدولة لن تتهاون مع كل من ارتكب جريمة في حق مصر أو شعبها. على كل دول العالم أن تنظر الآن إلى الفضائيات، وكيف نزل الشعب المصري في الشوارع والميادين لتتأكد أن ما حدث ليس انقلاباً عسكرياً. وعندما يتكلم الشعب لا أحد يستطيع أن يتكلم بعد ذلك. وأتعهد ألا يلاحقكم أحد. فَسر مجاهد وزوجته مع ريهام سعيد سروراً بالغاً. فالرجل لميله للخفاء والابتعاد عن الأضواء كان قصداً في الكلام، في بساطة وأدب جم، واتصاله بمقدمة برنامج دون سابق إنذار، كان مفاجأة

مدهشة للصورة المعهودة عن الرؤساء في السابق، ليس لمجاهد وحده ولا لزوجته ولا لمقدمة البرنامج، تلك الياقوتة الوديعة الجميلة؛ بل مدهش لكل المصريين إذ تبدت هذه البلدة بالفعل بلدة شاهقة عظيمة:

- هذا الرجل على الرغم أنه لا يبتسم، وصامتاً أبدا، إلا أنَّه بهذا الاتصال المفاجئ والمتابعة والتعقيب ضرب مثلاً رائعاً لكل الرؤساء سابقيه في الأدب والتواضع. لم يقع تحت أسر الفخامة. السادات قعد يخادع، ويمثل للتواضع ويقول لـ رئيسة التلفزيون: هِمَّت يا ابنتي وهي زوجته الخفية، وضحك علينا، وكان ذلك هو غاية ما استطاع أن يقدمه من التواضع، ولم أرتح يوماً لتواضعه المزعوم، ذلك أن هذا المنصب يطغي وينسي، لكنَّ هذا الرجلٌ أحسبه فيه زاهدٌ.

ووقع تواطؤ على التضليل والكذب عجيب؛ ظهر على أكثر من شبكة وقناة عالمية خلال تغطيتها لتظاهرات أول أمس "سي إن إن" و"فرانس ٢٤" و"الجزيرة القطرية" الناطقة بالإنجليزية إذ قامت القنوات الثلاث بوضع صور لمحيط قصر الاتحادية والتظاهرات التي تؤيد الجيش والشرطة للقضاء على الإرهاب على أنها لقطات لمؤيدي مرسي المطالبين بعودته، المستمسكين بالشرعية؟. ولم تكتف النسخة الإنجليزية من قناة الجزيرة أن ظلت تضع تلك الصورة الحية لنحو خمس دقائق كاملة دون تغييرها أو تعتذر عنها، بل أشارات في تضليل أن مؤيدي دعوة الجيش كانوا مجرد آلاف، ولم يلب الكثيرون الدعوة إلى التظاهر. أما قناة "فرانس ٢٤" فعرضت تلك الصور، وانتقلت إلى أخذ آراء النقاد والمحللين، وحين نبهها أحد المشاركين، تداركوا هذا سريعاً، معلنين أنه مجرد خطأ تَقَني غير مقصود. وقدمت القناة الفرنسية بعد انتشار موجة غضب عارمة تجاهها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، قدمت اعتذاراً رسمياً واصفين إياه بالخطأ غير المقصود، وهم يعلمون جيداً أنه كان مقصوداً. أما شبكة " سي

إن إن " الإخبارية الأمريكية فاستمرت على نهجها القديم واصفة التظاهرات المؤيدة للجيش بأنها لم تكن عارمة، مُثَبِّتَةً كاميراتها على اعتصامي رابعة والنهضة. وخلال نقلها السريع لميداني التحرير والاتحادية أظهرت الصور الخاصة بمحيط الاتحادية على أنها خاصة بميدان رابعة العدوية ؟!

وأبت جماعة الإخوان فجر السبت "٢٩ يوليو" إلا التنكيد على المصريين. فبعد ليلة الجمعة الاحتفالية، وبعد امتلاء ميداني التحرير وعبد المنعم رياض عقب الإفطار؛ ووصلت أعداد المتظاهرين حتى مبنى ماسبيرو وسط تأمين كثيف من قوات الجيش والشرطة. وسار المتظاهرون على نفس ضرب المتواجدين بالتحرير بنفس الهتافات واللافتات "حالوُا يا حالوُا، الإخوان اتحلوا"."دَلَعُوُا يا دلعوا، مرسي الشعب خلعوا".. وعلى طريقتهم في المكر، جَرَّبَ التنظيم الإخواني مدى جدية هذا التفويض الشعبي قبل أن يعود الناس إلى بيوتهم، ولم يتصوروا أن تنفيذ قرار التفويض سهلا وسريعاً. فأصدرت منصة "رابعة" قراراً بالتحرك إلى مطلع كوبري أكتوبر بطريق النصر لقطعه. فإذا بالشرطة تعيدهم مدحورين مكلومين إلى تجمعهم واعتصامهم. كانت معركة دامية شهدها محيط النُّصب التذكاري، شارع النصر، بمدينة نصر، بين أنصار المعزول وقوات الأمن والأهالي. وأعلن رئيس الإدارة المركزية للرعاية الحرجة والعاجلة بوزارة الصحة مقتل ٦٥شخصاً وإصابة ٢٦٩آخرين. وأعلن مسئولو المستشفى الميداني لاعتصام "رابعة العدوية" أنهم استقبلوا أكثر من ١٢٩قتيلاً، وأكثر من ٥آلاف مصاب. واتهمت جماعة الإخوان أجهزة الأمن بارتكاب "مجزرة" في حق المعتصمين السلميين. وقال عضو المكتب التنفيذي لحزب الحرية والعدالة: نحن في مجزرة .. وزعق: نجدد الدعوة للمجتمع الدولي الإنساني لحمايتنا من القتل الذي نتعرض له؟.

في المقابل أعلن وزير الداخلية، أن متظاهري رابعة العدوية أطلقوا رصاصاً حَيّاً وخرطوشاً على قوات الأمن أثناء محاولة تفريقهم بقنابل الغاز المسيل للدموع لدى توجههم لكوبري أكتوبر لقطعه، وأن صفوت حجازي دعا معتصمي رابعة لقطع الكوبري واحتلاله. ويبيت الباحث عن الحقيقة حيرانَ؛ من عظم الأضاليل؟!. وتذاكر مجاهد في نفسه قول النبي عندما سأله الناس يوماً أنهم لاغنى لهم عن القعود في الطرقات؟ قال: إذاً تعطون الطريق حقه. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال: كف الأذى، ورد السلام، وإعانة الملهوف، ونصرة المظلوم. وقال لزوجته وهما يسمعان تشكي الإخوان واستقوائهم بالخارج: ألم يعلم هؤلاء بـ قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياءُ بعض.. وأردف منادياً:

- يا هذا ؟ يا أنصار الشريعة؟! أعطوا الطريق حقه.؟ فانقلبت زوجته عليه: والله الواحد كره كُلَّ المتحدثين للدين ؟. فتابع متغافلاً تعليقها:
- الداخلية، هؤلاء أغبياء؟ يُعطونهم فرصة المتاجرة بالدماء !! فأبت الزوجة إلا الشقاق:
- ليس رجال الداخلية أغبياء، بل هو حقهم؟. قطعوا الطريق فاستحقوا ذلك ؟. فسكت فلم يجب. فاستمرت تثرثر:
- وماذا علينا من الخارج ؟ يستقون أو لا يستقوون. فالتفت إليها في حدة:
- ألا تفهمين ؟؟. فعبست:
- بلاش غلط ؟ فتلطفَ:
- لا بد للداخلية من استحداث أساليب جديدة؟. فلوت عنقهاً، فتابع لاسترضائها:
- هم بفعلهم القتل يعطونهم الفرصة للإرجاف علينا في الداخل والخارج؟ والتحريض على الجيش والشرطة.؟ فلم تجبه! وأضاف المصدر الأمني: أن أنصار محمد مرسي توجهوا في الثانية عشرة والنصف صباحا إلى المنصة

لنصب خيام للاعتصام، وقاموا بقطع طريق النصر وكوبري أكتوبر، ما دفع الأجهزة الأمنية في القاهرة للدفع بأكثر من ١٠ تشكيلات أمن مركزي، فضلاً عن قوات الجيش؛ وبعض الأهالي من سكان المنطقة للتصدي لهم. وأطلق بعض أنصار المعزول أعيرة نارية في الهواء، ما دفع الأمن للتعامل معهم بنفس الطريقة فوقعت الاشتباكات بين الطرفين، وسقط عدد من القتلى والجرحى. أما مراسل جريدة؛ المصري اليوم فكان له اطلاع آخر:

- بدأت الاشتباكات بين الطرفين، رشق خلالها أنصار مرسي قوات الشرطة بالحجارة بينما تلقى المؤيدون طلقات الخرطوش والأعيرة النارية من قبل الشرطة. الحرب بدأت عندما دعا صفوت حجازي الداعية الإسلامي من أعلى منصة رابعة العدوية في خطابه المتظاهرين سرعة الحشد للتوجه بمسيرة كبيرة إلى كوبري أكتوبر. واستجاب الآلاف من أنصار مرسي المشاركين في مليونية الفرقان، متوجهين إلى شارع يوسف عباس.. فخطر لمجاهد هذا الشارع الذي سار فيه كثيراً عندما كان يذهب إلى الوزارة فـ يلقى مدام أمنية. وحَسِرَ قلبه لانقطاع اتصالها واتصاله، وطول الزمان؛ فتنهد فزفر زفرة مسموعة؛ فنظرت إليه الزوجة متفحصة؟ فسألته، كأنما اطّلعت على ما بقلبه:

- هِيه؟ ما العبارة؟! فلاذ بالصمت. وتابع مراسل الجريدة لبرنامج الحياة اليوم: قاد المسيرة د.عبد المنعم البر، عضو مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين، وصفوت حجاري. فاستفزه نعت المراسل الإخوان بهذا النعت خاصة؛ فعقب له:

- ما أغبى هؤلاء ؟! كأنهم ضدُّ الدولة، يُرَوِّجُون لتلك الجماعة !؟ وأردف المراسل: انطلقوا من يوسف عباس ومن خلفهم عشرات الآلاف متوجهين إلى كوبري أكتوبر دون تحديد الجهة أو المنشأة أو الهدف من تلك المسيرة. وقال أحد المشاركين في المسيرة: نتوجه إلى وزارة الدفاع؟. فرد مرافق: لا، بل

نطلع إلى الكوبري، ونشل حركة المرور؟. وكذا تكون رسالتنا قد وصلت. فشاجره مجاهد:

- أي رسالة في قطع الطريق، وشل حركة المرور، وتعطيل الناس، قاتلك الله؟ ؟ هذه رسالة فساد وإفساد.. وقال المراسل: مرت المسيرة أمام النصب التذكاري مرددة هتافات مُندِدة بالجيش والفريق أول عبد الفتاح السيسي. وعندما اقتربت من كوبري أكتوبر؛ حاول أنصار مرسي الصعود إلى أعلى الكوبري لقطعه، فوجدوا قوات الأمن تطلق القنابل المسيلة للدموع وطلقات الخرطوش التي أصابت العشرات في البداية. وتحول شارع النصر إلى ساحة قتال بإصرار بعض الشباب عبور الكوبري، رغم الفرار إلى الوراء من حجازي وقادة المسيرة. عادوا إلى المنصة بالميدان وناشدون المتظاهرين مواصلة الزحف إلى أسفل كوبري أكتوبر ؟ ومساندة الشباب ..؟ ولم يهنأ المتظاهرون ولا رجال الشرطة بوجبة السحور. وظل الطرفان يخوضان المعارك. ومع قرب صلاة الفجر، شكل شباب التيار الإسلامي سلاسل بشرية أمام النصب التذكاري إلى شارع يوسف عباس مدخل ميدان رابعة العدوية لعمل ممر تسير فيه سيارات الإسعاف لنقل المصابين والقتلى. وأعلن المستشفى الميداني بـ رابعة عدم قدرته على السيطرة على حالات الإصابات لكثرتها ولاستمرار تزايدها، وحالة ارتباك شديدة أصابت العاملين والأطباء داخل المستشفى لكثرة الأعداد المتوافدة، وصعوبة الحالات المصابة بطلقات نارية في مناطق حَرِجة، مع قلة الإمكانيات والأسِرَّةِ التي يرقد عليها المصابين، وعدم تواجد أطباء بشكل كاف. وإذ بالرعب، وحالة من اليأس الشديد تصيب الكثيرين. ووقفت طائفة يدعون في صلواتهم على السيسي..؟ ورغم حدة الاشتباكات، وغياب الأمن- ظلت الأخوات المتواجدات داخل الميدان تبكين؟. فناشدت المنصة المتظاهرين الثبات، وتراجعت عن

التحريض المجنون والدعوة بالحشد للنصرة، إلى هتافات " سلمية؟ سلمية؟ وطالبت المتظاهرين بعدم مغادرة الميدان، متهمة من يَتركُ الميدان في هذه اللحظة بأنه خائن أو عميل للمخابرات. وفكر مجاهد: تلك مأساة جديدة ؟!.. فرغم إشراق شمس السبت، لم ينته نزف الدم بشارع النصر. وظلت حالة الكر والفر بين المتظاهرين والشرطة.. وفي السادسة والنصف وقف مئات الشباب رافعين صور " مرسي العياط " فعادت المنصة إلى التحريض وأعلنت الحشد لما أسمته " الزحف إلى الميادين وحشد الملايين بالقاهرة، والتوجه إلى ميدان التحرير والاعتصام، وشل حركة البلد؟ مشيرة أن مؤيدي مرسي ليسوا إرهابيين، ولن يسلموا: سنظل سلميين مرابطين صامدين. فعجب مجاهد من هذا الادعاء، وهو يرى عبر شاشة التلفاز جداراً من الطوب الأسمنتي المرصوص بعرض طريق النصر الواسع، بارتفاع قامة الرجل، سهر أنصار مرسي من بعد القيام في أقامته، ليقطعوا طريق المارة، ليفسدوا عليهم عيشهم. وقال: أي سلمية يدعيها هؤلاء ؟ وأي ذنب للناس لكي يُقطعَ حركة مرورهم؟ وأي خير في شل حركة بلد، وذهاب هيبة دولة؟؟. وأسف لضياع الجهد؟ فمن أين أتى هؤلاء بهذا الكم الهائل من الطوب؟، لكم طالع حين عبوره هذا المكان، حين كان يستقل سيارة المديرية مع السائق، ذاهبان إلى الوزارة، فشاهده من قبل مكاناً راقياً، تام التنظيم والبناء؟. اعتقد أنهم جاءوا بهذا من مكان بعيد خارج المدينة ؟. ودهش للعقل الذي يعتقد في قطع الطريق رسالة ؟. وعجب من عبارة: كذا تكون رسالتنا قد وصلت، فقال لزوجته:

- علموهم أن في قوتهم في الإرهاب والإفساد. فلم تلتفت إليه، وظلت معرضة عنه، فنادى:

- قاتلكم الله؟. أضررتم بالدين، وبات الناس أينما حللنا يَعْدُون علينا ؟! فقالت مشاقة:
- ليس لديك سوى الكلام؟ ملَّ الناس من كلام يخالفه العمل، ونفرتموهم من الدين؟. فصابر قائلاً:
- وما الذي أقوله ويخالفه عملي.؟ فسخرت منه:
- أنت ها تقول لي؟!. وقالت: فتش تجد كثيراً ؟. فاستدرجها:
- فتَّشتُ فلم أجد. غير أني يؤثر فيّ الثناء، ولست حليماً. فَدُهِشَتْ:
- يا خباار؟!! فتش فلم يجد ؟. ذلك من الاستغراق في الغفلة.قالت كذلك فأعاد عليها:
- قلت إني لست حليماً، ويؤثر فيَّ الكلم الطيب. قالت:
- يؤثر فيك ثناء النساء. فأين من المحارم يا ابتاع الدين؟ وأنت تسمع الكلام الحُلْو من النساء، الغريبات؟. فأقسم:
- والله لا يَخُطِرْ بقلبي السوء، مهما كانت المرأة جميلة، وأبغض الفحش جداً، وأنا صادق. تحدث، ولم يطق أن ذكر كلمة الزنا . فنفرت تقول: سمعنا هذا الكلام كثيراً، ويكذبه العمل.
- إذن اذكري لي واقعة واحدة ؟؟. فأسرعت تقول:
- انظر في نفسك؟
- إذن اضربي لي مثلاً واحداً ؟. قالت
- يظهر أنك لست دارياً بحالك !؟. قال:
- اذكري لي حلة واحدة؟. قالت:
- أنظر كيف تحدق في مقدمة البرنامج؛ رهام سعيد، وتتحدث عن بياضها واحمرارها.. كأنهنّ الياقوت والمرجان.. ألا تخجل يا ابتاع الدين! أين أنت من قوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم. وإذا شاهدت واحدة

عريانة فلا تحول عنها بصرك أبداً، بل تجلس تتفَرَّس فيها، ولا تسرع فتحول عنها القناة ؟. فضحك من شدة المفارقة، وكان يظن الأمر أخطر بكثير. فأقسم:

- والله، أنظر فأُدهش َمن نساء ملأن الدنيا ضجيجاً على الرجال ونظرتهم إليهن أنهن متاعاً، في الوقت الذي يحرصن على أن يخرجنَّ علينا ونصف ثدييهن بارزين، بل تكنزهما بِضَيِّق الثياب كنزناً، كبطروخين عظيمين، أو تجلس وقد شرعت إحدى فخذيها العاريين فوق الآخر في فجاجة، كأنهن بَغِيٌّ. فأي عقليه حاكمة لهؤلاء؟. قالت:
- أنت تريدهن أن يخرجن كلهن عاريات؟
- اتقى الله ؟؟
- اتقيه أنت، وغُضَّ بَصَرِكَ؟. وأصرَّت. فهزَّ رأسه، وقال أسفاً:
- إذن أجلس إلى التلفاز مغمض العينين !؟. قالت:
- هذا جدل؟!. بل إذا وقعت في واحدة عريانة، فحول بصرك أو أسرع فأَدر مفتاح القناة ؟. فرأى أنها حقته. فأجاب:
- أفعل، إن شاء الله. وليس، والله، من أجل السوء كنت أنظر، بل تأخذني الدهشة، فأفكر فيما يفعلنَّ بأنفسهن تلك النسوة اللاتي يزعمن أنَّهنَّ حرائر، فأحار في شأنهنَّ ! فماذا يردن حقيقة من الرجال؛ ألا يعتقدن أنّهنّ متاع، وهن يفعلن ذلك؟ فعادت تؤكد:
- هذا جدل؟!. فعلم أنهما لن يصلا إلى حَلٍ، فسكت.

* * *

الفصل الرابــع

كـان لـلأداء الإسـلاميين السـيئ بعـد ولـوجهم مُعْتَـرَكَ السياسـة؛ خاصـة جماعـة الإخـوان، والفشـل فـي إدارة شـئون الـبلاد، وعـدم تحقيـق رجـاءات النـاس بعـد ٢٥يناير؛ فبذهاب نظام مبارك، تطلع الناس إليهم أن يحل الخير بأيديهم، بمجـيء العـدل، والأسـوة الحسـنة، وتَفَـتُّحَ بركـات مـن السـماء والأرض، فيكـون الرخـاء، ونبات المحبة، وذهاب الأَثَرةُ، وشيوع المأْثرةٌ. فلمَّا لم يحدث من ذلك شـيء، بل ازداد التدهور الخُلقي والمادي، وذهب الأمن والأمـان. وباتت إدارة مصر تطلب الكفاف من الصِغَار، كقطر، وتدخل فـي أزمـات طاحنـة. فحلَّ الشعور بالإحبـاط. وتحدث المحللون المتخصصون والاقتصاديون عن نبأ، أن مصر بجلال قدرها، على شفا الإفلاس، إن لم تكن قد دخلت أولـى خطواتـه، وأنَّـه يجب الإسراع، قبل نـزول الطامـة الكبـرى، والعجـز عـن مجـرد سـداد فوائـد الـديون. ودرأ الـرئيس الإخواني عن نفسه؛ أن لا تثريب عليه، فقد ورث تركـةً ثقيلـة بـالمُعْوَزَّات، ودولـة الفسـاد العميقـة، وأن حلـه النـاجز؛ دعـاء السـماء؟. وتحـدث ببيانـات كاذبـة عـن إنجازات وهمية في مجال الأمن، وحل أزمة المرور، والنظافة، ورغيف الخبز. وعلى الجانب السياسي فقد انتخب لأول مرة باقتراع عامٍ سري حر مباشر رئيساً لمصر. ووضع دستوراً جديداً لا مثيل لـه، سيتحدث التاريخ عن واضعيه بـأحرف من نور، وقريباً يكتمل كل شيء بانتخاب البرلمان الجديد، وتـدور عجلـة الإنتـاج. فتلاشى مشروع النهضة، ورأى الناس هرولة الإخوان في أخونة الدولـة من أجل البقاء في الحكم خمسمائة عام، فخرج الناس في الثلاثين من يونيه. ثُمَّ ما تلاها من إزهاق للأرواح وإتلاف وإحراق للممتلكات بعد نزع الملك منهم، وظهور ضحالة التفكير، بتأسيس شعب الإخوان في جمهورية رابعة بنصب الخيام، وعلم خـاص،

بلا نسر صلاح الدين، وشرطة من ثلاثة أجهزة، والجيش الحر، وميلشيات غير نظامية. فكَتَبَت صحيفة اليوم السابع كلاعب مجيد في فريق الإعلام: هنا جمهورية إشارة رابعة العدوية أو شعب الإخوان في جمهورية رابعة. وَتُنِدر؛ بوسعك إذا شئت أن تطلب موعداً مع فخامة الرئيس الدكتور محمد البلتاجي لبحث التعاون المشترك. أمّا إن كان فخامته مشغولاً، فيمكنك أن تلتقي رئيس الوزراء الدكتور صفوت حجازي؛ فالرجل بعد أن ينتهي من خطبته اليومية العصماء إلى شعب الله الإخواني الذين استوطنوا الأرض في إشارة رابعة يصبح بلا عمل. الجمهورية التي أقيمت حديثاً تملك كل مقومات الدولة الحديثة، لا يعيبها إلا المساحة المحدودة- لا تزيد على مساحة إشارة مرور- لكن تسع كل الذين حلموا بأرض الميعاد الإخوانية. ثَمَّة جيش ليس نظامياً، لكن ألم تَقُمْ دولة الاحتلال الإسرائيلي بجيش من عصابات الصهيونية مثل الأرجوان وشي ترن!.إنه استيطاناً أتى بالمؤمنين بأنهم مختارون، وأن خصومهم أغيار تلعنهم السماء، ولا تنزل عليهم الرحمة؟. تَأَسُسُ الدولة بدأ بنصب الخيام في وسط "أرض الميعاد" بوضع اليد أو بسياسة الأمر الواقع، ولا ضير، فكلا الأمرين لا يخلو من قوة. وليس على السكان الأصليين إلا أن يقبلوا من يزاحمهم القوت أو أن يصبحوا لاجئين ترميهم الموانئ إلى الموانئ، وتلعنهم البلاد. وبعد إقامة الخيام، وبناء المراحيض التي تعتبر ضرورة حتمية في الدولة الناشئة، بدأ تنفيذ إستراتيجية التأمين؛ فتأسست وزارة الداخلية، وتمَّ الإعلان عن فتح باب التطوع لإنشاء الجيش الحر. وتمت تسمية المتحدثين الرسميين ووزراء التموين والصحة والخارجية. وماذا عن الشعب المختار؟ إنهم آتون.. من كل حَدَبٍ ينسلون. وليس لهم من هدفٍ إلا عودة المخلوع مرسي رئيساً، وقد اشترَوْا الأوهام من قياداتهم بأن النصر قادم لا ريب فيه، واستمرؤوا الكذب، واستمروا في الاستخفاف بعقول تابعيهم البسطاء ممن لا فقه لهم، بأن السماء ترسل الإشارات بأن الروح القدس ينزل من السماء لمحيط

رابعة، والخِضْرُ يَزِفُّ البشارة بسبع حمامات دالة على أن مرسي سيعود ليحكم لأقصى مدة في الدستور الجديد، بالإضافة للعام المنصرم، فيتم دورتين كاملتين متتاليتين، ثمان سنوات بالتمام والكمال. والنبي محمد يأتي إلى ميدان رابعة، فلما انتظروا تقدمه ليؤمهم في الصلاة قال: بل يصلي بكم الرئيس محمد مرسي. ويصلي النبي محمد بن عبد الله خلف مرسي. فالله أكبر، ولله الحمد.. فثار مجاهد جداً حين سمع وشاهد من ميدان رابعة عبر برنامج تلفزيوني هذا الكذب الصراح، فعقب لزوجته: لو اعتقد هؤلاء هذا لخرجوا عن جادة الصواب. ولم يقل، لكفروا، لأنه يكره استخدام اللفظة، وتلا على زوجته..إنّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأؤلئك هُمُ الكاذبون.. أما عن حدود الدولة فيجب أن تمتد فلا تبقى على وضعها الحالي. ومن ثمَّ، فلا بد من كسب مساحات جديدة، ولا بأس من شن غزوات على الأمصار المجاورة. فقال مجاهد لزوجته وهو يطالع هذا التحقيق: لأجل هذا كانت واقعة أحداث كوبري أكتوبر، والنصب التذكاري وشارع النصر!. وأردف كاتب التحقيق: فإما أن تُسدّدَ الجزية أو أن يدخل مواطنوها أفواجاً إلى حظيرة المرشد العام. أما الشرطة فتتكون من ثلاثة أجهزة رئيسية هي فرقة مشروع شهيد، وأفرادها هم الأشد حماساً وولاءً، وهم يقفون في المقدمة ووظيفتهم الاطلاع على البطاقات الشخصية لكل من يقترب من حدود دولتهم سواءً كان راغباً في الانضمام أو فقط ساقه القدر ليمر من هناك. ويرتدي هؤلاء زِياً مُوحداً توفره لهم الدولة. أما رواتبهم فغير معلومة، ويتسلح كل منهم بالأسلحة البيضاء والشُّوم. كما يرتدي هؤلاء خوذات، ويحتمون بدروع حديدية لوقايتهم في اشتباكهم مع الأعداء. أما عن الجهاز الثاني للشرطة فهو ما يطلق عليه خط المنتصف المكلف بالتفتيش الذاتي لمن يُسْمَحْ لهم بالعبور من الصف الأول. أفراد هذا الصف يرتدون "الخوذات" للوقاية من حرارة الشمس ولا يحملون أي سلاح. وربما يضطرون إلى تفتيش ذاتيي لبَعْضَ المارة. الصف أو الجهاز الثالث والأخير

فيطلق عليه "لجنة الردع" وهو ما يوازي جهاز أمن الدولة في الدولة العميقة، وهو المكلف بمعاقبة أي شخص مُريب، علماً بأنه لا توجد أيةُ معايير حاسمة تحدد الحكم على شخص بأنه مريب أو غير مريب. أفراد هذا الجهاز هم الأكثر شراسة وقسوة وقائدهم يكاد أن يكون هو وزير الداخلية، يشرف على تدريبهم تدريبات قتالية، ويتفقد مستويات جهاز يتهم. فهم خط الدفاع الأخير، ورجال العمليات الصعبة والمواقف الحرجة، ورغم أنهم لا يتصدرون المشهد طوال الوقت، فإنهم في حال تفجر الأوضاع يصبحون في الصف الأول.."الجيش" لرابعة العدوية جيشٌ يحميها، قوات مسلحة، ميلشيات. وهي ليست كالجيوش النظامية، بل يطلق عليها هنا "كتائب حماية الشرْعِيَّة" وتتواجد الكتائب داخل الاعتصام، ولا تقوم بأي أعمال تأمين للميدان، فقط تراقب الاعتصام وترصد العناصر المندسة "الجاسوسة" فتسلمه لأمن الدولة، فيبدأ التحقيق معه والتعذيب والصعق بالكهرباء.."وزارة الصحة" فمع وجود حشد كبير من الناس من مختلف الأنْواء، ومع ارتفاع درجات الحرارة، تبدو الحاجة ماسة لتأسيس وزارة الصحة، فالأوبئة قد تؤدي إلى زوال الدولة، خاصة إذا كانت الرقعة ضيقة وعدد السكان محدود كقاطني رابعة. وقد يحدث الانقراض إذا لم يحظوا بحظ مناسب من العلاج. وتضم مستشفى رابعة قسم الطوارئ الذي يقدم خدمات الإسعافات الأولية. ويطلق على المسئول الأول بالمستشفى"أمير الأطباء" وله مكان مخصص في مسجد رابعة يأتي إليه من الصباح وحتى الساعة الرابعة عصراً يدير أمور "المستشفى" من داخل الجامع.."وزارة التموين" اتخذت هذه الوزارة الإخوانية من مدرسة "عبد العزيز جاويش" للتعليم الأساسي مَقَراً لها، بها طهاة يطبخون يومياً لـ وجْبَتَيِّ السحور والإفطار، ويتولى موظفون آخرون مهمة توزيع الوجبات على المعتصمين. وخصصت هذه الوزارة عدداً من الغرف "الفصول الدراسية سابقاً" لتربية الدواجن. وحسب تصريحات المسئولين في هذه الوزارة، فإن جمهورية

رابعة تقترب من تحقيق الاكتفاء الذاتي من البيض والثروة الداجنة.. وفيما يتعلق بالطاقة فهناك وزارة تتكون من فريق من الفنيين تخصصوا في مد الخطوط لمحيط اعتصام رابعة من أعمدة الإنارة المجاورة، وسرقة الكهرباء، تماماً؛ كما يسرق الاحتلال الإسرائيلي الغاز والمياه.. "البنية التحتية" طالما هناك دولة قد تأسست، وأرست قواعدها، فلابد أن يكون لها الشكل الطبيعي للدولة والبنية التحتية، وهي في ميدان رابعة قد تمثلت في دورات مياه عمومية للرجال قام المعتصمون ببنائها بشكل عشوائي، وبدائي، في الشوارع، وخلف أسوار المدارس، والعمارات. أما السيدات فقد لجأن إلى مدرسة عبد العزيز جاويش وجامع رابعة العدوية مؤقتاً لحين بناء دورات مياه خاصة، وهو الأمر الذي تم تأجيله بعد اعتراض السكان الأصليين لرابعة على البناء.. أخيراً؛ ولأن لكل دولة عَلُمها الخاص، ونشيدها الوطني فقد استولت جمهورية "رابعة" على علم مصر فجعلته علماً لها بعد تعديله بإزالة صورة النسر من العلم الأصلي واستبداله بالشهادتين حتى يصبح معبراً عن "الدولة الإسلامية" أما عن النشيد الوطني فعنوانه "مصر إسلامية لا علمانية. قولوا للعالم مصر إسلامية" هذا هو النشيد الذي يردده المعتصمون بميدان رابعة العدوية ليل نهار من غير كلل ولا ملل.. ويعتبر الإعلام من أهم مقومات الدولة الحديثة لـ"جمهورية إشارة رابعة" ولأن الدولة تحتاج دائماً إلى العالم الخارجي عموماً، والأمريكي على وجه الخصوص، فقد اختارت جمهورية رابعة " أحمد عارف " متحدثاً رسمياً لها. ويلتزم عارف بشكل دوري بإصدار بيانات تخص هذا الاعتصام، مخاطباً سكان المنطقة الأصليين، كان آخرها البيان الذي صدر يطلب منهم اللجوء إليه في حالة وجود أية شكوى تخصهم ووعد بحلها. فقال مجاهد لزوجته، وقد فرغ من قراءة هذا التحقيق:

- هذا خبل!؟. أي رسالة يبعث بها هؤلاء عن الإسلام وأهله ؟. أغلب سكان المنطقة تركوا منازلهم ولجئوا إلى أقاربهم في مناطق بعيدة، من الخوف، وانغلاق الطرق، وصعوبة الوصول إلى منازلهم. سائق مر بالمكان حدثني؛ أن رائحة كريهة تنبعث من المكان تزكم الأنوف قبل آلاف الأمتار. وكانت كاميرا التلفاز قد علقت على سلوك بعض المعتصمين وقد قام يبول في ستر شجرة بالشارع، والآخر إلى جدار في وَضَحِ النهار. المنصة هي المنبر الذي يتحدث منه القادة إلى شعب رابعة أو إلى العالم الخارجي، وقناة الجزيرة لا تترك شاردة ولا واردة إلا نقلتها عبر الشاشة وأعادت فيها وزادت مراراً، ولفقت وفخمت، للتحريض ضد مصر. فسألته غاضبةٍ، وقد وشاهدت هذا التحريض كثيراً: - ولَمْ تقم الشرطة بفض هذا الاعتصام حتى الآن؟ أليس هذا إفساد في الأرض؟ وتابعت، لم تعد دولة، وأصبحت أخاف على مصر كثيراً. ماذا يريدون من وراء ذلك ؟. قال:

- يريدون إسقاطا للدولة، وإظهارا لعجزها، ومساومتها لتحقيق مطالب لهم. فسألت متلهفة:
- وهل حقيقي الداخلية عاجزة عن فض اعتصام رابعة، واعتصام النهضة؟. وهل هذا البلد يسقط كما سقطت ليبيا وسوريا والعراق؟. فنبهها:
- إيّاك تريد ذلك؟ هذا بالضبط ما يريدونه؛ إظهار تداعي الدولة، فارتعبت، تجهش إلى البكاء:
- أتسقط هذا البلد؟؟.
- لا.. لن يسقط. ولن يحدث اقتتالاً داخلياً. فقط، ذهب بعض الهمج في إيذاء الملتحين والمنقبات، فهرول البعض ليحلق لحيته، وخلعت بعض المنقبات النقاب، على الرغم أنَّ إطلاق اللحية، والنقاب ليس ديدن الإخوان. ورغم طمأنتها، أن الملتزمون والملتزمات يصبروا على الإيذاء، طاف بقلبه يوم. كان في طريقهً إلى خطبة الجمعة، فمرَّ بكوبري عند تقاطع يتشاحن عنده

الناس، كل يريد أن يعبر؛ فدخل بسيارته بدافع عن حقه في نهر الطريق العام، ولم يعط أحدهم فرصة، ومر هو أولاً، فتعقبه سائق "توكْتُك" وجب عليه الانتظار طبقاً لقواعد المرور، فوافاه صوته، يشتم:

- يا أولاد الكلاب، يا فشلة، يا قتلة. وساءلَه مُستهزئاً؛ هو جبريل نزل رابعة؟ ومرسي عليه السلام، راجع ليحكم مصر لسبع سنوات؟. وأردف نافياً ذلك:
- طمع إبليس في الجنة! يا كذبة! رصّها رصاً كأنه بيت لها بليل!. فهمّ التوقف كي يعلمه: أنَّه، وإن كان لا يحب الإخوان؛ لكنه يمقت التعدي والسفالة. فذكر يوماً قام فيه بالرد على منتقضين كان بعضهم أكثر تهذيباً:
- ليس كل ملتحيٍ إخواناً أو موافقاً لهم. قالوا:
- أنت من حزب النور الذي كان ذيلاً لهم؟ ثم حين غرق السفينة قفز منها، ليخطف الخَطِفة وحده.. ؟. قال:
- لا أنا محب للإخوان، ولا أنا مِمّن ذكرت. قالوا:
- فمن أنت ؟ وما هي أيديولوجيتك ؟. أنت سلفي متشدد؛ ذو لحية كبيرة ؟. فحار في التعبير له، وكان لا يعرف على وجه الدقة ما معنى، أيديولوجية، ولا يفكر لها؛ بل يترك نفسه لسجيَّتها يحدث في صدق، ويَجِدُّ في نهجه جِدًّاً؛ مسلماً، يحب بلده ودينه، ويكره الكذب والاشتغال بالسياسة. أمّا الشخص الآخر فكان سائق حاول أن ينفُذ منه في محيط دوران ليمر؛ فضيَّقَ عليه ومنعه؛ وكان في عودته بعد خطبة الجمعة مهتماً أن ينام ساعة، وينهض لصلاة العصر في جماعة، ولقاء الأخوة بالمسجد بعد الصلاة، والجلوس للدّرس. فتوقف السائق، فعلم أنه يريد أن يتشاجر، فاستحْيَ أن يمضي، فتوقَّف له. و ظل ملازماً مقعد القيادة، ليمنعه من الجهل عليه، ويتجنب الاستفزاز، ليُفْهِمَهُ وقد جاءه مجاهداً نفسه على الابتسام:

- نهر الطريق لي، وأنت الذي زحمتني، وأردت أن تنفذ من اليمين وهذا خطأ؛ فحافظت على حقي. قال:
- أنت لا تعرف كيف تقود سيارة، ومن أنزلك للطريق ظلمك ؟. أنتم لا يجيء من وراءكم إلا المصائب ؟. فلم يستطيع منع نفسه من إجابته:
- الزم الاحترام، فليس في طول اللسان إجادة؟. فدفعه في صدره، ليستحثه النّزول، وترك عجلة القيادة. وزاد ألمه؛ أن الشخص لما وجده لم يجهل بجهله، أن قال:
- أنت لا تفهم؟. فلامَ نفسه على صبره على البغي، وأتبع السيئ- وكان حديث السن- يحمله جريرة غيره:
- دمرتم البلد، وتريدون إفسادا لطرقنا علينا ؟ قَرَفتمونا ؟. فنزل من المكروباص أخٌ، كان جسيماً، فحثه العودة واستئناف السير، وقال يؤنبه في جَدّ ورزانة:
- يا أخي؛ عيب عليك ما صنعت ؟ هذا الرجل يجب أن يحترم ؟. ارجع إلى مكروباصك وامض لحال سبيلك ؟. وتحدث معتذراً إليه في وُد بالغ:
- يا شيخنا، هؤلاء عوام، وإنّها لفتنة، وعلينا أن نصبر على أذاهم ؟. واستجاب الشخص، ولم ينبس بِبَنت شفة، ومضى إلى مكروبا صه، مطيعاً، كعنزة !. وذهب هو باقي الطريق يفكر فيما حدث؛ ففاض قلبه وُداً للأخ نهض قي تطييب خاطره والذَبّ عنه، فدَعا له، ولام نفسه على النكوص عن المنازلة، ولزومه السكينة، وعدم الوقوف للبغي؟. وتحدث إلى نفسه في حزن: وما بك من الجَهْدُ، وإرادتك القيلولة. أأنفق الوقت في منازلة السفالة، وتخليف الدرس ؟!. وأكَّد لنفسه: ثمّ إنك لم تكن لتقبل الهزيمة، وقد تنتهي الأمر إلى ما لا يُحمدُ عقباه. ورجع حزيناً..

وكان "الصباغ" قد جاء للدقهلية تمهيداً لحصوله على درجة وكيل الوزارة، ثمَّ العودة للغربية مسقط رأسه، وكان صنواً لأبي حليمة في الرفق، والبشرة

القمحية الغامقة، لكنه أبدن وأَشْخَصُ إلى التوسط، من أبي حليمة الأقرب إلى الضآلة. وكدأب سابقيه؛ استدعى كل المُدَراءَ للتعارف؛ فلما جاء دوره عرَّف لنفسه بالثِّقة: مجاهد منصور؛ مدير إدارة كذا ..شارع السلطان سليم بالمختلط. القوة الوظيفية، عشرة؛ أربعة باحثين، وست سكرتارية. وفي إحاطة أعلم: عدد شركات إلحاق العمالة نطاق المحافظة (١١٩) ٨٧ مُرَخَصٌ لها و ٣٢ تحت الترخيص. عدد من تم إلحاقه للعمل بالخارج خلال عامي ٢٠١٢، ٢٠١٣ - رغم الأحداث - ٦٣١٤، ٥٥٤٨ على التوالي. فَتشَجَّع مدير المديرية الجديد للمداخلة:

- نحن في الغربية يَعْتَمِدُ عقود العمل مدير المديرية، والوكيل. فتعقبه:
- هذه دقيقة خليق بها الباحث، ومدير الإدارة، لذا، يقتصر هنا توقيعهما على العقد، ليتم التصديق من الخارجية، تيسيراً على الناس، واقتصاداً لدورة العمل. ثم ليس كل الوقت مدير المديرية والمدير العام فارغان لنا؛ فالتفويض هنا أليق من المركزية، وإغراقهما في التفصيلات الدقيقة التي تعُوقُهما عن وضع السياسة العامة؛ ومتابعة تنفيذها، وتعظيم جهود العاملين، وتحقيق التعاون والتناغم بين الإدارات؛ فذلك أنجع في تخليق الكفاءات التي تتولى القيادة من بعدهم.؟. فدهَشَ الجمعُ من الشجاعةَ، ووقع البعض الابتسام!. فاستوقفه الصباغ بلهجة النذير:
- لا، انتظر؟ لن أعدها لك. أكيف لك أن تقول أن مدير المديرية والمدير العام ليس لهما في الفنيّات؟. لقد مارست جميع الأعمال، وانتقلت فترة عمري الوظيفي البالغ ستة وثلاثون عاماً بين جميع الإدارات، ابتداءً من العمل الميداني كمفتش عمل، فمفتش نقابات، فكذا، وعدد، ، ثم وكيلاً للمديرية، ثُمَّ وكيلاً للوزارة، فلا تتهمنا بالجهل بدقائق إدارتك. ؟

- ليس هذا ما عنيت، ومع ذلك؛ فلنا أبحاثاً في تطوير هذا النشاط على مستوى الوزارة. فتدخل "موسى" شخص فَكِهٌ مَرِحٌ، مدير إدارة التفتيش المالي والإداري، فأشار معتداً له:
- هذا هو الأمام الأكبر، فمرحى للإمام ؟ وضحك.، وجعل هو يستكمل حديثه فأخبر؛ عن ضيق المكان، وأنه إدارة تتعامل مع الجمهور؟. وذكر مقترحه، والغرفة المجاورة التي يشغلها شخصان؛ وكتم أن الأمر عرض على نظيره السابق، فتخاذل، ولم يتخذ قراراً، وبقيت المشكلة قائمة، فعرض لها ثانية، ليعلم؛ أيختلف أحمد عن الحاج أخمد ؟. فطالع الصباغ في الحضور، وسأل عن فلان؟. فتحدث المدير المالي:
- رفض الزميل مندوب المشتريات، بأن لديه مستندات مهمة يخشى عليها، لأن غالب وقته في خطوط سير، وقال: لست مسئولاً عن ضياع أيِ مستندات متى تركت المكتب مفتوحاً، وقال يدعم موقفه:
- وهو يعلن عن حاجة لعنصر سكرتارية ثالث؟ فالمكتب الفارغ كان لموظفة، انتقلت لإدارة أخرى ؟ فدخل معه في سجال، فبدأ البعض بتململ، وارتفعت همهمة. فآثر الصمت لحين انفراده بمدير المديرية الجديد؛ ليطلعه على حقيقة نشاط الأخ الذي يتخذ من غرفة المشتريات مخزناً لبضاعته ومَحِلاً للبقالة. وانتقل الحديث إلى " موسى" وكان يجلس إلى جواره فأعلم أن القوة الوظيفية عنده زوجان من المفتشين. وتوقف ليضحك، ويحقق في الجميع، لير أثراً لحديثه؟. فلم يعلق أحدٌ، فاستتبع يقص القصة: وثلاث سكرتارية، والعبد لله على هؤلاء مديراً. وعاود الضحك. ونظر هُنيهةً، ثم عاود حديثه؛ المشكلة التي نواجهها جميعاً؛ هي نقص القوة البشرية خاصة من المؤهلات العليا، فلم يعد هناك تعيينات في الحكومة، وأدنى شخصاً سِناً الآن فوق الخمسين، فكيف بزوجين من المفتشين أغطي حضوراً وانصرافاً، وتفتيشاً مالياً وإدارياً، ونيابة

إداريه إلى أخ إلى أخ لإدارات المديرية وثمان مناطق، والمكاتب التابعة لها ؟! ثم عاود الضحك ينتظر تعليقاً، فناده أحدهم:

- يا موسى هذا من حسن حظنا ؟. فوافقه موسى في هزْله:
- أي، نعم، فمرحى للتَّزْوِيغ وانتهاء جدوى تلك الإدارة !!..

ولما خلا إلى الصباغ قدم له البحث قبل الأخير، والفائز بالجائزة العامة للبحوث بالوزارة عن عامي ٢٠٠٧/٢٠٠٨ في مجال إلحاق العمالة المصرية بالخارج. وأطلعه على حقيقة نشاط الأخ، مندوب المشتريات، ومراعاةً للأمانة في نقض الذات، وكي لا يسبقه بها غيرة قال ليحرضه على سرعة اتخاذ القرار، ويخليها عن رقبته ليضعها في رقبة ولي الأمر

- أنا أعطى زميلين بالتناوب، فرداً من السكرتارية، وفرداً من المفتشين، يوماً للراحة إضافة ليومي الجمعة والسبت، فليس مقبولاً أن يحضر الزميل والزميلة فلا يجد له مكاناً للجلوس. فلم يحصل على إجابة آنية.. وكان اعتصامي "رابعة" و"النهضة" قد بدأ قبل ثلاثين يوماً. وفي مؤتمر صحفي أمس تحدث وزير الداخلية عن الضحايا فقال: إن القوات الأمنية استخدمت، فقط، الغاز المسيل للدموع لفض الاشتباكات التي وقعت فجر أمس أمام النصب التذكاري بين مؤيدي الرئيس المعزول وقوات الشرطة، ولم تُطلِقْ رصاصة واحدة على أي متظاهر لأنها كانت غير مسلحة. وبكذب مدهش أردف "الوزير" الدم المصري كُلُّهُ غال، وقد أسفرت تلك الاشتباكات بالفعل عن وفاة ٢١ مواطناً وإصابة آخرين. وأكد الوزير. أنه لن يلجأ في فض اعتصامي "رابعة العدوية" أو النهضة إلى القوة، بل بغطاء قانوني. وأن هناك تنسيقاً كاملاً بين الشرطة والقوات المسلحة قريباً. وأن البلاغات التي قدمها أهالي وسكان منطقتي النهضة ورابعة للنيابة العامة، التي ستصدر قرارات تنفذها الداخلية، ستكون بمثابة غطاءً قانونياً للداخلية. ولم يذكر الوزير آلية

الفَضِّ، ولا الخطوات التي ستلجأ إليها الداخلية في حالة رفض المعتصمون مغادرة المكان سلمياً، وهل ستلجأ إلى أسلوبها الغشيم، فتكون النتيجة فاجعة لضخامة أعداد المعتصمين، خاصة، اعتصام رابعة العدوية، فباتت القلوب واجفة؟. وكان ألطف سبيل للفض، أهداه للداخلية أحد المواطنين، من واقع البيئة، عِبْرَ أحد برامج التلفاز، لمَّا وقع الناس في، حيص بيص، اقترح بدلاً من الماء العذب، أو الغاز المسيل للدموع أو الخرطوش. قال:

- رش المعتصمين بماء القذر، جَدُّ، طريق فعال. سيهرول الجميع فارين من المنطقة بأسرها عائدين إلى بيوتهم للتنظيف وتغيير الثياب. وسينشغلون بأنفسهم عن الاعتصام، وعن مرسي وخلافه. وهو أسلوب آمن للفض، لن يخلف قتيلاً واحد أو جريحاً. المهم أن يكون الماء شديد القذارة حتى ينطلق الجميع هاربين قاصدين بيوتهم للتطهير وتغيير الملابس. ولولا ما انبرى فيه البعض من الاستخفاف بهذا السبيل، الذي لم يسبق إليه العالم، وخشية جمعيات المجتمع المدني المعنية بحقوق الإنسان أن تنهض برفع دعاوى ضد الداخلية.

فقال الشخص:

- دعونا من تلك الجمعيات لمأجورة المتآمرة على الوطن، فالمرض أخف من القتل، فكل داء له دواء إلا الموت ؟.. وكان خطف الصباغ قد الخَطْفة في أقل وقت يصعد فيه شخص في الترقي من وكيل مديرية إلى وكيل وزارة، والعودة إلى مسقط رأسه ليس بغنيمة واحدة، بل ببضع غنائم، في شهر واحدٍ قضاه بمحافظة الدقهلية، كـ قائم بعمل وكيل الوزارة، وكان بعد أن قدم إليه بحثه، قبل الأخير، في مجال إلحاق العمالة، كلما جاءه فدخل عليه ابتدره أمام الزملاء حفياً:

- أهلاً بالزعيم. !!

* * *

الكارثة؛ صَدْرُ جريدة المساء الحكومية، تصف أحداث فَضِّ اعتصامي رابعة العدوية، والنهضة. وأنبأت الجريدة: ٢٧٢قتيلاً و٢٣٠٠مصاباً في اشتباكات القاهرة والمحافظات أمس الأربعاء، السابع من شوال ١٤٣٤هـ الرابع عشر من أغسطس٢٠١٣م. وقالت: لا يزال نزيف الدَّمِّ مُسْتمراًا. وفصَّلت: نجحت قوات الأمن في فرض سيطرتها على ميدان رابعة العدوية بعد أن اقْتَحِمتِ المستشفى الميداني وقاعة ٢ الخاصة بالمركز الإعلامي وقيادات الإخوان. وألقت قوات الأمن القبض على عدد من قيادات الإخوان، ومثيري الشَّغْب بعد مواجهات دامية مع الأمن.. أفواج المعتصمين غادرت رابعة، والنهضة آمنين في حماية الأطفال والنساء. المدرعات تحيط بـ "الاتحادية" و"الدفاع" لمواجهة أي اشتباكات. الشرطة أنهت اعتصام النهضة فهرب الإخوان للشوارع الجانبية..

وكانت شوارع مدينة الجيزة قد شهدت حالة من الكرِّ والفرِّ بين معتصمي ميدان النهضة؛ وبين رجال الشرطة والجيش، عقب فضِّ هذا الاعتصام؛ وإزالة الخيام والحواجز الرملية بالميدان. وفر معظم المعتصمين إلى الشوارع الجانبية؛ حاملين الأسلحة، والشُّوم، والطوب لمواجهة الأمن..

وكمن يريد أن يقبض بيديه على الماء، أدخل الببلاوي مستمعيه في تيه بيانه حول فض الاعتصامين: مصر مرت بيوم غاية في الصعوبة. مما اضطر الحكومة لاتخاذ قرارات غاية في الصعوبة. واستتبع، وقد أغمض عينيه هنيهة، ليستجمع الكلمات؛ فالرجل تخطى السبعين، وهوَّمَ بناظريه قبل أن ينبئ: هذه الحكومة أي التي يرأسها جاءت من أجل التمهيد لحياة ديمقراطية سليمة، من أول مظاهرها؛ الاعتراف بحقوق الأفراد في التعبير، سواء الحديث أو الكتابة أو الخروج بمظاهرات سلمية. وقال ينظر في محدثه باتساع حدقتيه؛ كأنه عثر به فجأة، كل هذه الحقوق تصان. وتابع بعد سكتة لطيفة، كل دول العالم تحترم هذه الحقوق،

بشرط عدم الإضرار بالآخرين. ومن هنا فأنه لا توجد حقوق دون أن توجد سلطة الدولة. سلطة الدولة والحقوق هما التعبير عن معنى دولة القانون، ومُشدداً. ودولة القانون تعني؛ أن هناك حقوقاً يجب احترامها، ومن يخالف تلك الحقوق. توجد سلطة لضمان هذا الاحترام، ومنع الاعتداء على حقوق الآخرين. ولذلك، يكرر، ولذلك كان لابد، أن تتدخل الدولة لإعادة الأمن للمصريين. حيث تم تكليف وزارة الداخلية بأن تتخذ كل ما يلزم لإعادة الأمن إلى الشارع وفقاً لضوابط القانون والدستور**!!**.

وبالأمس شاهد مجاهد عبر لفضائيات الحدث.. سترات فسفورية تملأ ميدان رابعة - بمدينة نصر- يرتديها أفراد لجان التأمين الذين انتهوا لتوِّهم في تمام التاسعة مساءً، قبل سُوَيْعات من ساعة فض الاعتصام. وكان قد انقطع السفر للوزارة، بل لم يعد أحدٌ يفكر في ترك محافظته، وَقُعِدَ للأحداث. وإذ انتهى المعتصمون من جمع اسطوانات البوتاجاز من الباعة الجائلين المنتشرين في ميدان رابعة- الاسطوانات التي ستلقى لاحقاً على تجمعات الأمن من أعلى بعض عمارات الميدان- إذ انتشرت أخبار كاذبة عن تشكيلات من الأمن المركزي تتمركز بالقرب من ميدان رابعة. وفي الرابعة فجراً؛ قبل أقل من ثلاث ساعات من ساعة الصفر؛ مئات المتظاهرين انصرفوا وقد بات احتمال فض الاعتصام- في اعتقادهم- من المستحيلات**!** فالعشرات قصدوا ملاعب كرة القدم التي أقاموها بالقرب من المنصة بينما عمد نجَّارون ملتحون إلى قِطَعْ خشبية لبناء بيت خشبيٍّ بدائي متعدد الأدوار في قلب الميدان، وقد خَفَّتْ أقدامُ الموجودين في الميدان..

وهناك؛ في معسكرات الفتح وناصر وأبو بكر الصديق وأحمد شوقي والدَّرَّاسة رفعت في الواحدة صباحاً حالة الطوارئ استعداداً لساعة الصفر. كما أعلنت حالة

الاستنفار القصوى بين وحدات القوات المسلحة، وتم الدفع بثمانية من عناصر رجال المظلات لإحداث تشويش على أجهزة البث المباشر في منطقة رابعة، والذي اعتبر بمثابة إشارة لبدء الاقتحام.. وفي سرية تامة تحركت تشكيلات الأمن المركزي وقوات فض الشغب من معسكراتها بالقاهرة والجيزة بعد التأكد من جاهزية المعدات للتعامل مع أي مخاطر قد تصدر مع بداية عملية الحصار. وتمت عملية الانتشار في الصباح في الرابعة و٤٥ دقيقة. وصدرت تعليمات على أجهزة اللاسلكي من (م١) وهو مدير أمن القاهرة بمنع أي مكالمات على اللاسلكي إلا في حالة الضرورة، والاكتفاء

بالمحادثات الهاتفية، بسبب سرقة جماعة الإخوان أجهزة لاسلكي خاصة بالوزارة. وظهر في الخطَّة الفريق أول عبد الفتاح السيسي النائب الأول لرئيس الوزراء؛ وزير الدفاع تحت كود (٦٠٠) وحراسة ظهرت في الخطة تحت اسم (خَيَّالة١) وصل إلى مقر وزارة الدفاع في الخامسة فجراً، بعدها بدأت القوات في التحرك إلى مقريِّ الاعتصامين..

تمام السادسة انطلقت مدرعات الجيش والشرطة في طوابير أعلى كوبري ٦أكتوبر مدعومة بكاسحات، ولوادر تابعة للقوات المسلحة، وسيارات نقل الجنود، وسيارات شرطة تابعة للقوات الخاصة؛ كلها استقرت على بعد اثنين كيلو متراً من أقرب الحواجز التي أقامها المعتصمون بميدان رابعة. واحتلت سيارات القوات الخاصة الشُّرطية مقدمة قوات فض الاعتصام، بينما سَدَّت مدرعات الشرطة؛ الخط الثاني كافة الشوارع الجانبية، أما الخط الثالث والذي في الخلف، فقد احتلته مدرعات الجيش. وفي الوقت الذي شهدته الشوارع المحيطة بـ ميدان رابعة توافد معدات وكساحات من القوات المسلحة، تمَّ وضع أسلاك شائكة في شوارع الجيزة بالقرب من اعتصام الآخر؛ اعتصام النهضة..

عقرب الساعة لامس السابعة إلا الربع عندما سُمِعَ دوي أول عشر قنابل غاز مسيل للدموع أطلقتها القوات الخاصة صوب معتصمي رابعة. معها تصاعدت أصوات طرقات المعتصمين على حواجز مرور حديدية استولوا عليها سابقاً. في ذات اللحظة كساحات الجيش تتقدم لعمل ثغرة في حواجز أخرى للمعتصمين. وأحكمت قوات الشرطة والجيش كافة الشوارع المؤدية إلى ميدان التظاهر، وأبقت على شارع أحمد حسني كمنفذ وحيد قريب لخروج من يريد من المعتصمين، ووضعت أكمنة لها بطريق النصر، بالقرب من ميدان الساعة من جهة، ومن مركز القاهرة للمؤتمرات من جهة أخرى..

السابعة والنصف؛ قتلى وجرحى وهاربون، وتسارع لإيقاع إطلاق الرصاص الحي والخرطوش حين كثفت الشرطة أعداد المشاركين في اشتباكات الخطوط الأولى. وظهرت أسلحة الخرطوش في أيدي نفر من المعتصمين، بينما اعتلى نَفَرٌ آخرون أسطح العمارات المجاورة؛ وهنالك ألقوا باسطوانات البوتاجاز على قوات الشرطة فأوقعت في صفوف المعتصمين مئات المصابين وأعداد متزايدة من القتلى. تَقَدِمُ القُوَّاتِ أربك أعداداً كبيرة من المعتصمين وأجبرهم على محاولة الهرب؛ فمن محاول للقفز داخل الحدائق التي تفصل بين العمارات، ومِنْ هارب عبر الشوارع الجانبية، ومِنْ مطلق للرصاص والخرطوش صوب القوات، وقتلى، وجرحى، هلمَّ جرّا !! هستيريا رابعة !! فبينما مروحيات الشرطة والجيش تحلق في دوائر في السماء المعبأة بدخان إطارات السيارات المحترق التي أشعلها المعتصمون، وقنابل الغاز المسيل للدموع التي ألقتها الشرطة، استقبلت في الثامنة والنصف المستشفى الميداني داخل رابعة أعدداً كبيرة، قتلى وجرحى، فتحول الميدان إلى ساحة مصابة بالهستريا، ودموع بين المتظاهرين والمتظاهرات، وصراخ بأصوات عالية. ومنصة تهتف بشدة نافية كل خبر عن انتهاء الشرطة من فض اعتصام النهضة..

التاسعة صباحاً ذروة الاشتباكات؛ فعلى وقع صوت مروحيات الشرطة والجيش، وطلقات الأسلحة المتعددة وأسلحة الخرطوش التي استخدمها المعتصمون بتحريض من قادة المنصَّة، وانفجار أنابيب البوتاجاز التي أُلْقِيت من أعلى عمارات شارع الطيران وشارع يوسف عباس، الشارعان المحيطان بميدان رابعة، في ذروة تلك الاشتباكات تعالت مكبرات صوت قوات الأمن بالقرب من قلب ميدان رابعة محذرة المتظاهرين من المقاومة ومطالبتهم بالخروج ؟ مع وعد بعدم الملاحقة الأمنية لكل من يسلم نفسه؟..

وهناك في محافظة الجيزة كانت المعركة الأخرى.. ففي وقت قياسي نجح الأمن في فض اعتصام ميدان النهضة، ولم يصمد أنصار مرسي رغم الحواجز والمتاريس التي تحصنوا خلفها، ورغم حيازتهم ترسانة أسلحة استخدموها أثناء عملية الفض. وكانت الأجهزة الأمنية قد بدأت التحرك في السادسة بمشاركة ستة عشر تشكيلاً لقوات الأمن المركزي؛ توزعت ثلاث منها أعلى كوبري الجامعة، وثلاث أخريات أمام كوبري ثروت، علاوة على طائرتين تابعتين للشرطة الجوية حلقتا فوق منطقة الاعتصام. وقبل أن تبدأ قوات الأمن في تحركها ظلت مكبرات الصوت تناشد المعتصمين الخروج آمنين من منطقة الاعتصام، محددة لهم طريق الخروج عبر كوبري الجامعة. وناشدت الشرطة الأهالي المقيمين في محيط المنطقة بـ"توخي الحذر، وعدم الاحتكاك بالمعتصمين"..

* * *

إذا أصيب عضو بغرغرينة وجب قطعة كيلا يزحف الفساد إلى البدن كله فيدمره؛ فكر مجاهد، وحاول ترك الجدل حول الأحداث؛ فما جاء الإسلام إلا لحفظ النفس العقل والمال والدين والعرض، وقال إبليس: لأتَخِذنّ من عبادك نصيباً مَّفروضاً، ولأُضلنَّهم ولأمنينَّهم ولأمرنهم. قادة الجماعة أعلنوا النفير العام وتنفيذ الخطوات

التي اسْتقر عليها تحالف "دعم الشرعية" لمرحلة ما بعد الفَضِّ، وطالبوا المكاتب الإدارية بالمحافظات جمع قواعدهم وكوادرهم والتحريك في مسيرات حاشدة لتُطَوِّيق عدداً من أقسام الشرطة والمؤسسات الحيوية ونقل الاعتصام لمواقع أخرى. القيادي "العريان" يصف الهجوم على اعتصامي رابعة، والنهضة: معركة بين عُزل لا يملكون شيئاً يدافعون عن أنفسهم، وجيش من البوليس تدعمه قوات وطائرات تحلق فوقنا. وقال يحرض على الانتقام عبر تدوينه له عبر صفحته الرسمية على موقع التواصل الاجتماعي: لا توجد إحصائية بالشهداء ولا المصابين، الهجوم من كل جانب، ولم يترك المجرمون منفذاً واحداً لمن يريد الخروج. سيسقط مئات الشهداء، وسيندحر الهجوم، وتبقى إرادتنا حرة لا تنكسر أبداً تحت جنازير المدرعات لنحيا أحراراً في وطن حر. والبلتاجي- قبل تردد أنباء عن القبض عليه- عبر قناة الجزيرة في كلمة ألقاها من ميدان رابعة: لن نسكت، وسنلجأ للمحكمة الدولية للمطالبة بمحاكمة هؤلاء القتلة؟ قواتنا المسلحة التي لم تصمد أمام العدو الصهيوني ست ساعات، الآن تقتل أبناءنا من مؤيدي الشرعية!!

وبعد نحو ساعتين من بدء فض اعتصام" النهضة " تشتت المعتصمون، لتبدأ مطارداتهم، بحديقتي الأورمان والحيوان بعدما تسلل إليهما أعداد منهم. وفي حدود الساعة التاسعة والنصف أجبرت قوات الأمن المتظاهرين على مغادرة الميدان أسفل كوبري الجيزة لتنتقل الاشتباكات بينهم وبين أهالي المنطقة المجاورة لميدان الجيزة إلى محيط نفق الهرم مستخدمين الحجارة والزجاجات الفارغة، فردَّ أنصار مرسي بإطلاق الخرطوش لتصل الشرطة إلى المكان وتطاردهم إلى الشوارع الجانبية. فحاصرت أعداد كبيرة من الفارين أقسام شرطة الجيزة، والورَّاق، وكرداسة، وتبادلوا إطلاق النار مع قوات الشرطة التي أطلقت صوبهم القنابل المسيلة للدموع بكثافة، فلم يحل دون تمكن عناصر من الإخوان من إضرام

النار في قسم شرطة الورَّاق. وهناك وقعت مذبحة قسم كرداسة؛ قتل مأمور القسم ومعاونيه ونفر من الضابط وأفراد الشرطة، وبعد القتل نكل بهم ؟!..

وأكد مصدر أمني بمديرية أمن الجيزة " القبض على نحو ثلاثمائة من مثيري الشّغْب كانوا موجودين بميدان النهضة وبحوزتهم أسلحة نارية وبيضاء... وأن قوات الأمن عثرت أثناء فض اعتصام النهضة على ثلاث جثث متفحمة بجوار سور جامعة القاهرة، والمناظرة الأولية للمعمل الجنائي لتلك الجثث تؤكد أن بهما آثار تعذيب حدثت لهم قبل تعرضهم للحرق... وأن أنصار مرسي استولوا على السلاح من أحد الضباط أثناء العملية، وأضرموا النار في سيارتي شرطة بينهما حاملة جنود، بالإضافة إلى احتجاز عدد من أفراد الشرطة، اقتادوهم إلى جهات غير معلومة. فغضب مجاهد من هذا الحديث، وعقب لزوجته، وهما يشاهدان صوراً من آثار الفض عبر إحدى الفضائيات:

أجهزة شرطية بليدة، لا تخطط لمستقبل، ولا لحماية أبنائها؟ أتركتهم ليقعوا في أيدي هؤلاء الذين ملأهم الحقد، وسعار الحكم واعتقادهم، بغباء، أن في إمكانهم هزيمة دولة؟. وقال: داعية المنصورة الشهير، ومعه فلان، ذهبا ليعتصما بمسجد مصطفى محمود مع الفارين من النهضة، ولما اشتدَّ القتال فَرَّ في سيارة إسعاف، وادعى الاختناق، وزعم أنه ما جاء إلا للوفاق بين هؤلاء وبين الدولة.. "هي لله، هي لله" هتاف المتوافدين بالمئات، من ميدان النهضة بالجيزة. وفور وصولهم لميدان مصطفى محمود انقسموا إلى عدة فرق موزعة بدقة، أخذوا في تفكيك طوب الأرصفة والأعمدة ولافتات الإعلانات وواجهات المحلات وواجهات العمارات. وشكَّلوا صفوفاً لنقل الطوب إلى جميع مداخل ومخارج الميدان، وأغلقوا شوارع؛ سوريا وجزيرة العرب ووادي النيل وأحمد عبد العزيز، وأقاموا عدة متاريس بطول شارع جامعة الدول العربية، وأشعلوا عشرات الإطارات

والأشجار مانعين جميع السيارات من المرور. وسيطروا على مسجد مصطفى محمود تماماً وحولوه إلى مستشفى ميداني. واستخدموا مكبرات الصوت للهتاف، ودعوة أنصارهم للتجمع في الميدان. ومزق آخرون واجهة إعلانية ضخمة، وحولوها إلى منصة أمدوها بمكبرات صوت. وسرقوا عدة وَصْلات كهربائية من أعمدة الإنارة. ذلك بالتزامن مع مطاردتهم لرجال الأمن والعربات الموجودة بالميدان، فأحرقوا نحو عشر سيارات شرطة في الشوارع المحيطة، وسيارة أمن مركزي وسط هتافات "الله أكبر" و"إسلامية، إسلامية". حالة من الذعر انتابت المارة فاختبأوا. فاقتحمت مدرعتان محيط الميدان من شارع البطل أحمد عبد العزيز، وأطلقتا قنابل الغاز، فانسحب أنصار مرسي إلى قلب الميدان وحلقت مروحية شرطة في سماء الميدان عدة مرات. وفور انسحاب المدرعتان تجمعت أعداد كبيرة يتقدمهم مجموعة من الملثمين يحملون رشاشات ومسدسات وبدءوا في إطلاق النار على الشرطة، فتراجعت إلى الخلف ليتحول شارع البطل أحمد عبد العزيز إلى ساحة معركة لعدة ساعات. ومع ارتفاع الضحايا احتل أنصار مرسي مستشفى السلام الأقرب لميدان مصطفى محمود، واستولوا على الأدوية والشاش. وعند وصول الداعية الشهير لمصفى محمود قال من فوق المنصة:

- استخدمنا جميع السبل لحقن الدماء وحل الأزمة، لكني جئت اليوم لا لأتكلم، ولكن لأقول لكم دمائي ليست أغلى من دمائكم، وأنا هنا معكم. فأعقبه آخر أقل شهرة:

أقول لمن فض الاعتصام بالقوة، إن الاعتصام لن ينفض؟ فقال مجاهد لزوجته: أمعتوه هذا؟. الاعتصام فض فعلاً.!! وصاح: الحرب الآن أصبحت على الدين والإسلام. فهتف المعتصمون:

- بالروح، بالدم، نفديك يا إسلام ؟؟

\- * * *

الفصل الخامس

تُنُفَسَ الصعداء؛ بعد سبعة وأربعين يوماً من بدء اعتصامي رابعة العدوية، والنهضة، فانتقل إلى ميدان النهضة نائب محافظ الجيزة، ومدير الإدارة العامة للمرور، عقب الفَضِّ لمتابعة أعمال رفع القمامة والصيانة. وتحدث نائب المحافظ: إجمالي المعدات التي شاركت في إزالة تراكمات القمامة والمُخَلَّفات؛ من أخشاب الخيام، والطوب، والرمال التي جلبها المعتصمون بلغت اثنا عشرة سيارة نقل كبيرة، وأربعة لوادر من حي جنوب الجيزة والدقي، بالإضافة إلى معدات هيئة النظافة. أعمال الإزالة بدأت في العاشرة من صباح أمس بواسطة سيارات النظافة التابعة للحيِّ، وهيئة النظافة والتجميل.. إجمالي التراكمات التي ستزال تقدر بنحو ٢٥ألف طن. فلم يصدقه مجاهد، فتعقبه: تعني أنهم نقلوا المحافظة ؟!. قل خمسة وعشرون طناً مثلاً، نصدقك. وتساءل عَجِباً: أي قوة تملكت هؤلاء ؟ وأية بيئة أحدثوا فيها الفساد ؟! العجيب أنهم..يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.؟! أينً الذين بالأمس كانوا قد ملئوا الدنيا ضجيجاً؟!. وقال لزوجته وهما يشاهدان من أثار الفض:

- كأن لمْ يغنوا فيها ؟. وتابع نائب المحافظ معتداً: كانت حالة من الكر والفر. وأنهت قوات الأمن فض هذا الاعتصام بالكامل في وقت قياسي- ثلاث ساعات- وقامت بتمشيط المنطقة والقبض على عدد من هؤلاء، وإزالة الخيام الموجودة بالميدان.

واشتعلت النيران في أشجار حديقة الأورمان، وحديقة الحيوان المجاورتين للميدان بالإضافة لعدد من الخيام إثر إطلاق قنابل الغاز، وتبادل إطلاق النار بينهم وبين

وقوات الأمن. وقال مدير الإدارة العامة للإعلام بوزارة الداخلية.. تم ضبط عدد من الأسلحة الثقيلة داخل اعتصام النهضة، وتم إحكام السيطرة على المنطقة، مُضيفاً في مداخله هاتفية للفضائية: وجاري استكمال مهام قوات الأمن بمحيط ميدان النهضة وتمشيط المنطقة المحيطة.

وأخلت قوات الأمن ميدان النهضة بأقل الخسائر، وسمحت بخروج آمن للمعتصمين. وانضم للفض عدد من أهالي المنطقة المحيطة بالميدان، ومزقوا اللافتات المؤيدة للإخوان.. وهنا ظهر في الصورة عبر الفضائية أثارة من الفض.. زوج وامرأته المنقبة يغادران، يحملان بينهما حقيبة ثياب كبيرة لم يفلحا في غلقها لفيض الثياب، وباليد الأخرى للزوج سَلَّةً ممتلئة أيضاً بالحاجيات، وباليد الأخرى للزوجة علاقة تحوى أشياء، ورنت الزوجة إلى فرد من فردي أمن يمران من بينهما بسلام. كان أحد الجنديين يعلق في كتفة بندقية آلي، وبيده الأخرى يمسك بالخوذة في وضع استرخاء، يتابع الزوجين المغادرين للمكان، بينما الجندي الآخر في ملابسه الواقية منشغلاً بتمشيط المكان، والزوجة المنقبة تطيل النظر إليه، تتابعه، تقول نظرتها: عن أي شيء تفتش؟ ها نحن مسالمون، ليس في الحقيبة التي لم نمهل لغلقها غير الثياب.؟ ومن جانبه راح الجندي ينظر إليها في مودة، ويستقبلها بالاطمئنان. وبدا غير بعيد فردٌ من القوات الخاصة برفقته شخص ملتحي يعاونان ثالثاً على الخروج، يأخذان بعضديه، إذ اعتلت إحدى ساقية، فلم يستطع وضعها على الأرض، فأخذ يعتمد عليهما في سيره على ساق واحدة، ويثني الأخرى يحملها في الهواء. وعلى إحدى الأرصفة، عبر الفضائية التي تواصل عرضها لأثار من أحداث الأمس، ظهر طائفة من المَقْبوضٌ عليهم، ونفر من القوات تقف خلفهم للحراسة في وضع الاستعداد. كان أغلب المقبوض عليهمً حديثي السن، شديدي التوتر، استخفوا من الفزع، فأسرعوا بتلبية الأمر، جاثين على ركبهم، رافعي أيديهم خلف رؤوسهم، ظاهري الخضوع

والاستسلام التام. إلى جانبهم نفرٌ متمرس، يجلسون رابطو الجأش يتكئ أحدهم بمرفقيه فوق فخذية حاملاً يمناه فوق يسراه، ينظر إلى الكاميرا في وتحدٍ ونفور، مُشَّمراً كُمَّيْنه، كأنَّما كان في نزهة فقبض عليه، فخضع يعجب، لسان حاله يقول لمن يشاهده: طالعوا الزبانية ؟. ها هم يقتادون عُزلاً دون جريرة، ونحن لم نفزع، ولا نأبه لهم، نجلس في راحة وسعة لأننا مسالمون وأصحاب رسالة.. وفي ناحية أخرى من نواحي الميدان إلى جانب سلة للقمامة جثي شخصٌ في نحو الأربعين، وقع في قبضة فرد من القوات الخاصة، يقبض على كتفه بإحدى يديه، وباليد الأخرى يمسك بمعصمه، والشخص شارعاً ذراعه الحرة، مُفرقاً أصابع راحته جميعاً ناشرها في الهواء علامة الهزيمة، والوقوع في الأسر. وقريباً منهما، بدا في الصورة شخص ملتح جسيم يرتدي بنطلون جنسِ وَشِرتَ أسود، ونفرٌ من القوات الخاصة يخضعونه لهم؛ يوثقون ذراعيه خلف ظهره..

وكانت أهم تعليقات، وسائل الأعلام، كلاعب مجيد، على الأجداث: سلمية سلمية، بالرشاشات الآلية؛ الصفحة الأخيرة من جريدة اليوم السابع. ومجموعة من الصور لملثمين، بين مجموعات تزحف في حذر منحنية، مستعدة، تشرع السلاح الآلي يرشدهم ويشير لهم آخرون نحو الهدف. وبين راجلٍ بيده السلاح الآلي يسير، وجالسٍ يصوب ويطلق النار في تتابع، وآخرون خلف المتاريس يربضون جاهزين مصوبين. وآخرون يمشون بأيديهم الدروع الواقية والشوم والسلاح الآلي.. وأسفل كل هذا كان هذا الشَّرْح.. ظهور الأسلحة الآلية مع مؤيدي الإخوان أثناء فض اعتصامي رابعة والنهضة واشتباكات مصطفى محمود فَضَحَ أكاذيب «سلمية » قيادات الإخوان. وزير التضامن الاجتماعي لجريدة الشروق في حوار له: صبرنا نفد أمام تحدي الإخوان "للدولة.. في بيان مشيخة الأزهر؛ أحمد الطيب: نسعى إلى جمع أطراف الصراع السياسي على مائدة الحوار، مبدياً أسفه لوقوع عدد من الضحايا صباح أمس وترحم عليهم، وأضاف: لا يزال الأزهر

على موقفه من أن استخدام العنف لا يمكن أن يكون بديلاً عن الحلول السياسية وأن الحوار العاجل والجاد هو الحل الوحيد للخروج من الأزمة إذا صدقت النوايا. وتابع: إيضاحاً للحقائق وإبراءً للذمة أمام الله والوطن يعلن الأزهر للمصريين جميعاً أنه لم يعلم بإجراءات فض الاعتصام إلا عبر وسائل الإعلام، ويطالب بالكف عن محاولات إقحامه في الصراع السياسي؟. فغضب مجاهد أشد الغضب وهو يسمع عبر الفضائية هذا البيان.

- هذا مصيبة!. واسترجع من نص البيان ساخطاً: إيضاحاً للحقائق، وإبراءً للذمة أمام الله والوطن، يعلن الأزهر للمصريين جميعاً. قل: بل تعلن للإخوان حتى لا يلاحقونك. الباشا كان نائماً فلم يعلم بإجراءات فض الاعتصام إلا عبر وسائل الإعلام!. وهل الإخوان وقرونك؛ فرضوا بك حكماً أوْ وَسَّطوك أو رضوا بواسطتك؟. مصيبة هؤلاء، أنهم في الشدة يفرقون، ويقفزون من السفينة. وتابع لزوجه:
- أتذكرين ما قاله والمفتي في بداية الأحداث زمن مبارك، ثم انقلبوا على قولهم بعد أن تنحي مبارك!؟. قال. يثبت الله الذين آمنوا بالقول في الحياة الدنيا والآخرة؛ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء. وسكت هنيهة، فقال: مثله كمثل البراد عي؛ لم يقدم حلاً، وعندما جِدُّ الجِدُّ هوي من الرِّكاب ؟!. وتقدم باستقالته من منصبه كنائب رئيس الجمهورية للشئون الدولية، بحجة عدم مشاورته في قرارات لا يتفق معها. فاعتبرت القوى الثورية والأحزاب السياسية هذه الاستقالة هروباً من المسئولية وخيانة للوطن. وأعلنت جبهة الإنقاذ في بيان لها عن أسفها وقالت..استقالته لن تؤثر بحال من الأحوال على موقف الجبهة وإصرارها على انجاز خارطة الطريق، وإتمام المرحلة الانتقالية بنجاح في مواعيدها المحددة..

وتمنت حركة تمرد لو قام نائب رئيس الجمهورية للشئون الدولية بدوره لإيضاح الصورة للرأي العام العالمي والمجتمع الدولي، وشرح أن مصر تواجه إرهاباً منظماً له خطورة كبيرة على الأمن القومي المصري، وأنها تعتبر الاستقالة هروباً من المسئولية. فقالت زوج مجاهد: أتريدونه أن يوضح الصورة للغرب وهم من أرسلوه لتفتيت المنطقة وتدميرها؟! هذا أس البلاء؟ واستنكر حزب المؤتمر الموقف المتخاذل للبرادعي في الوقت الذي تخوض فيه مصر معركة ضد الإرهاب والبلطجة وتواجه تنظيماً دولياً مدعوماً بقوى خارجية. وطالب باستبعاده من جبهة الإنقاذ وأمانة حزب الدستور بوصفه رئيس حزب الدستور. ووصف رئيس حزب الإصلاح والتنمية الاستقالة بأنها نوع من إرضاء الغرب على حساب الوطن وهروب صريح من المسئولية التي أثبت صراحة أنه غير قادر على تحملها. وقال تكتل القوى الثورية الوطنية إن الاستقالة في هذا التوقيت تُعلي من المصلحة الخاصة دون الالتفات للمصلحة العامة الوطنية. وأخيراً تحالف ثوار مصر يكفكف الدمع، ويعلن عن أسفه وحزنه على كل الضحايا الذين سقطوا؛ أيمَّا كانوا؛ شرطةً أو مدنيين تابعين لجماعة الإخوان التي أغلقت بغرورها كل الأبواب، وسمحت لأصحاب الحلول الأمنية، بارتفاع أصواتهم فوق صوت العقل. وطالب كل الأطراف بالتهدئة لأن الأجواء لا تحتمل المزيد. مع تربص أعداء مصر في الداخل والخارج ومحاولات الزج بمصر في أتون حرب أهلية!.

وكمن يبكي على اللبن المسكوب؛ كان وزير الداخلية قد أعلن في المؤتمر الصحفي الذي عقده- الليلة الماضية- في مقر وزارة الداخلية؛ بدأه بالوقوف دقيقةً حداداً على أرواح شهداء الشرطة البواسل: ٤٣شهيداً من بينهم اثنان رتبة لواء و٣عقيد بالإضافة إلى ٢١١مصاباً من بينهم ٥٥ضابطاً. وتابع: التزمت القوات أقصى درجات ضبط النفس.. لقد كان لدينا حرص على سلامة المواطنين وتأخرنا في تنفيذ التعليمات التي صدرت لنا من رئاسة الوزراء أملاً في إعطاء الفرصة

الكاملة للحلول السياسية، وتعرضنا للنقض من البعض واتهمونا بالتخاذل وارتعاش الأيدي، ولم نبال لأننا كنا نتمنى ألا تسيل نقطة دم واحدة فجميعنا مصريين.. لقد شاهد الشعب أعمال العنف التي كانت تمارس في رابعة وميدان النهضة من قتل وتعذيب للمواطنين الأبرياء. وفضَّل فصيل بعينه مصالحه الشخصية على مصالح الوطن وهددوا أمن البلاد. واتخذنا القرار لفض الاعتصام والمواجهة الحاسمة لإنهاء هذا الأمر لتجنيب البلاد أموراً خطيرة لا يعلم مداها إلا الله.. لقد حددنا الموعد بعد اتخاذ موافقة مجلس الدفاع الوطني؛ وحددنا صباح الأمس موعداً للبدء. وقمنا بالتوجيه عِبرَ مكبرات الصوت كي يفض المعتصمون اعتصامهم، ثم المياه، وعندما بدأت القوات إزالة المتاريس والحواجز فوجئت بقيام المعتصمون بإطلاق الأعيرة النارية صوب القوات وطلقات الخرطوش وزجاجات الملولتوف. ورغم ذلك التزمت القوات أقصى درجات ضبط النفس.. فض اعتصام النهضة تم دون خسائر، وتم إحكام السيطرة على المنطقة تماما، وتم ضبط عدداً من عناصر الشغب و١٠بنادق آلية ٢٩فرد خرطوش و٩٦٢٢طلقة حيّة.. إنَّ الأمر في رابعة كان مختلفاً حيث تحصن عددٌ من القيادات الإخوانية ومن يتعاطف معهم. وصَعَدَ عددٌ من حاملي الأسلحة أسطح العمارات المحيطة وأطلقوا النار على القوات الذين حرصوا رغم ذلك على عدم إزهاق الأرواح. وأمام تلك الاعتداءات تم تطوير الطوق الأمني والدفع برجال القوات الخاصة البواسل الذين نجحوا في الصعود إلى تلك العمارات والقبض على هؤلاء القناصة وما لديهم من أسلحة. القوات أعادت مناشدتها للمتواجدين في رابعة العدوية بالخروج الآمن. وبالفعل استجاب بعضهم، وتم تأمينهم عبر ممرات حتى خرجوا من المكان. وتم استعادة سيارتي البث التلفزيوني التي كانتا قد تم الاستيلاء عليهما منذ بداية الاعتصام في رابعة العدوية. واختتم الوزير: إن الأجهزة فوجئت حال فضها للاعتصام بتوجيهات تصدر من قيادات الجماعة بمهاجمة المنشآت الشرطية

والحكومية لإحداث فوضى.. وأن ٢١قسماً ومركز شرطة تعرضت للاعتداء. و١٦كنيسة، ولا ذنب للإخوة المسيحيين الذين تعرضت محلاتهم للنهب والسرقة. وفشلت محاولات اقتحام سجن المرج، وسجن الفيوم، لإعادة مشاهد ٢٨ يناير ٢٠١١ للأذهان وهذا لن يحدث..

وكان قد انتشر عبر مراسلي الفضائيات أخبار عن قتلى وجرحى ومشاهد عنف وحرق قامت بها عناصر إخوانية، والمتعاطفين معهم في العديد من المحافظات ..الجماعة أحرقت الإسكندرية؛ النيران تلتهم مباني المجلس المحلي، ونقطي شرطة الشاطبي والإبراهيمية. وفشل محاولتهم لاقتحام مستشفى الثغر.الحصيلة الأولية لاشتباكات الأسكندرية٢٤ قتيلاً و١٤٨ مصاباً دنيا زكي- عزت طلعت- جمال مجدي- مرشد عبد النبي. أنصار المعزول؛ قُطّاعُ طُرِقٍ بالشرقية. أهالي فاقوس منعوهم من اقتحام مركز الشرطة، عبد االعاطي محمد .. في اشتباكات مع الإخوان في بني سويف .. سقوط ٢١ قتيلاً وإصابة ١٥٠ وإحراق مبنى المحافظة و٤ سيارات شرطة، أسامة مصطفى..إطلاق نار ومولوتوف على أقسام الشرطة وكنيسة بالعريش.محمد سليم سلام ".. مصرع شخص وإصابة ١٠ باختناقات في فض اعتصام ميدان الدَّهار بالبحر الأحمر. عبد الناصر علي .. أشعلوها ناراً في السويس، يوم برائحة الدم في السويس كريم عبد المبين.. الإسماعيلية ملتهبة. قوات الشرطة تصدت بشجاعة لإرهاب الجماعة؛ الإخوان أطلقوا النيران على مبنى المحافظة واقتحموا مجمع المحاكم بالمولوتوف ومنعوا المطافئ من الوصول. مجدي الجندي. مؤيدو المعزول يقطعون رأس سدر جنوب سيناء. ناصر التوني ٤٠مصاباً وضبط ٥٠ من الجماعة في اشتباكات المنصورة. أمال طرابية .. استنفار أمني في المنوفية؛ كمائن ثابتة ومتحركة. واللجان الشعبية تنتشر بشوارع المحافظة نشأت عبد الرازق.. يوم عاصف بالأقصر. إصابة ضابط وإحراق سيارة شرطة وتحطيم بعض المحلات التجارية. عمر شوقي..

الدمايْطة تصدوا لمظاهرات الجماعة. شواطئ رأس البر خلت من المصطافين. لمعي ماضي.. الفيوم الأعلى في الخسائر؛ مصرع ٣٨شخصا، وإصابة ٢٠٠ وإحراق مبنى المحافظة والاستراحة بالكامل. نبيل خلف .. الإخوان يريدونها فتنة طائفية بالمنيا؛ أشعلوا النيران في الكنائس ومحلات وصيدليات الأقباط- مصطفى عبيد ومهاب المناهري.. الإرهاب يحرق البحيرة ٦ قتلى، ٤٥ مصاباً، وإضرام النيران في ديوان عام المحافظة. كارم قنوش وحمدي بكر .. مسيرة لنساء الإخوان في بورسعيد. أنصار المعزول اقتحموا المنطقة الأزهرية ببورسعيد- طارق حسن ومسعد الأزهري.. هستريا ضربت أنصار مرسي في أسيوط؛ مقتل شخص وإصابة ١١ في عاصمة الصعيد– أحمد عمر.. مصرع شخصين وإصابة ٥٧ بأسوان.. تشكيل لجان شعبية بالغربية لحماية المنشآت الحكومية والكنائس. على أبو دشيش وعاجل أبو شامية. . ووجد مجاهد في الصفحة الأخيرة لجريدة الشروق بعد الذي نشرته آنفاً وشاهده مراسلوها كاركتيراً.. صورة لحسن البنا، وهلال، وهو جزء من شعار الجماعة مكتوب عليه الجماعة المحظورة، وأسفل منه عبارة: تأسست في ١٩٢٨ وانتهت في ٢٠١٣م. ففكر مجاهد: أ كانت معركة لحرق مصر ثانيةً، فكانت معركة انتحار الإخوان؟. أم أن ذلك ضرب من الترهات والأماني؟.. والرَّبابُ الحاذق، من تعمل على مُكث؛ وتفتح عينيها جيداً إن كانت تكنس، فقد تطول مكْنَستُها شيئاً أثيراً أسقطه صغارها وهم يلعبون، فتطرحه كُنَاسة، فتمكث تنْكُتُ في نفسها، وتبكي كلما ذكرته؛ فدرس الأحد الناجح، يوم راحة الإمام؛ وجلوس الناس في شغف عَقِب صلاة العشاء ينتظرون مجاهد أن يبدأه، وكان لا يُطِيلُه، ويختار العبارة الوجيزة، فيأخذهم بها أخذاً. فلمَّا طِاحَ الإخوان، قام وزير الأوقاف على تنظيف المساجد من غير دعاتها، وجيء بإمام جديد، فقيل له:

- عُذْراً إلى شيخنا ؟ تهدأ الأوضاع، وأنا بنفسي من يستدعيك لتستأنف الدرس، فأنت خبير بأهل قريتك، عليم بالنفر المشاقق؛ هددوا بالذهاب إلى الأوقاف للشاكية حال استمرار الدرس ؟. فآسى في نفسه جداً:
- وما تَضَرُّر هؤلاء من استمرار الدرس؟! أنا لا أجبر أحداً على الجلوس، وانتظر حتى يفرغ آخر مصل من الفريضة فأبدأ، وأبواب المسجد مفتوحة!. ردَّ:
- أنا لا أريد مشاكل. هؤلاء قلوبٌ مريضة. أرجو توقف الدرس حتى أعلمك بالعود.؟ تحدث في نبرة قنوت وزهق.. وكلمه الناس، فقال:
- تعليمات الوزير مشددة أن لا يتحدث في المسجد سوى الأمام وخطباء الأزهر والأوقاف. قالوا:
- الشيخ مجاهد ليس إخواناً؛ ونزل في ٣٠ يونيه. ولا يتكلم إلا في الدين الخالص. ونحن ننتفع من درسه كثيراً ؟. قال:
- أنا موظف، أعمل لجهاز دولة، ومسئول عن المسجد، وواجب عليَّ إتباع التعليمات؟. ونَكَصَ عن النُّصرة.. فلمَّا رجع الناس يطلبونه، قال:
- الحل ليس بيدي، لديكم الأوقاف أو أمام المسجد. فيأسوا عن السعي، وحاروا عن القيام للشر، فيدحضونه. وكان يعلم بالنفر المشاقق فاستتبع يفكر، يعدهم لنفسه: أبا سريع الذي يلَحِنُ، ويسرق في الصلاة. وخليله، سائق النقل الذي يُحَرِّكُه، ويحرضه لأنه يؤمه على هواه. والذي في قلبه مرض، يزاحم لتكون له في المسجد كلمة تطاع بغير حق. وفرد الإخوان الذي يسعى لإزاحته عن أمر المسجد؛ وعن الإمامة، وكان بإعجاب الناس بعلمه، واستقامته، يحول دون دخول الناس في الجماعة. وهذا معاون سائق الميكروباص الذي يجمع الأجرة من الركاب، ويصيح: جديلة. جهر بمعارضته بغير علم فقال:
- أنت تَمُطِّ في قراءة الفاتحة؟. فزجره زجراً شديدا:

- وما علمك أنت بقراءتي، وأنت لا تعرف أن تقرأ بآيةً واحدةً صحيحة!. فلجلج:
- نعم، أنا لا أستطيع أن أقرأ القراءة الصحيحة، لكني أسمع الناس كلهم يقرءون على غير قراءتك. أقولها في وجهك ولا أخشاك، فأنا صليت في جميع المساجد التي على الطريق، فلم أر أحداً يقرأ كقراءتك، وهي بالنسبة لي غير مستسيغة؟. وكان عليماً به.. يكبره بعامين أو ثلاثة، تسرب من التعليم دون أن يحصل منه على أدنى شهادة. فتقدم للعمل بمصنع الغزل "بسندوب" بيد أنه لم يتلبث، إذ فر أيضا من جَهْدَ الو رادي، والعمل الشاق، وكان أبوه قد مات، فورث وأخوته قطعة أرض زراعية عفية، تركوها للمالك بخِلوٍ، وغَيَّر نشاطه زمن الانفتاح، والركض للتجارة، فاشترى ميكروباصاً متهالكاً، عمل عليه منادياً للركاب ومحصلاً للأجرة فأنبه:
- أَكُلَ النَّاسِ سَمِعْتَ؟.
- لا. قال:
- لا تعارض قارئاً، وأنت لا تعلم، فلست من أهل هذه الصناعة. فلم ينته. ولحظ أنه يرجف عليه مع النفر المشقاق، وكان لا يحب المداهنة، ورآه أهل إفسادٍ فهجره بعد الغلظة عليه، وبعدما بذله النَّصيحة. لكن العجيب أنَّه كان إذا أبصر، فرآه واقفاً في محطة ينتظر أو ساعياً يمشي، لم يمر حتى يستدعيه:
- تعالى يا أستاذ ؟ ويأمر السائق بالتوقفً. ويفسح له بين الركاب؛ مهما كان الزحام قائماً. فإذا همَّ بإعطائه الأجرة، رَدَّها بشدة. فيشكره، فيجيب مبتسماً:
- على ماذا ؟! الدنيا بخير يا أستاذ ؟!. لحظتها يتلاشى كل ما بصدره من أحنّةٍ تجاهه، ويبتهل لهما: اللهم اشرح صدري وصدر هذا الأخ للإسلام ؟ وتب علينا وعليه من الشقاق سوء الأخلاق ؟. اللهم َزَيِّنِّي بالحِلْمِ والعلم؟؛ ويضرع إلى الله أن لا يجعل في قلبه تلك الحَمِّية التي توقعه في الغضبٍ، ويأسف لأنه ليس حليماً. ويعزم على أخذ هذا الأخ بالرفق، وأن يُلِينَ له الكلام. ويترك

هجرانه؛ فإذا مر به بَشٌّ، وابتدره بالسلام. إلا أنه كان لا يتلبث أن يعود لإرجاف فينفر منه، ويقع ثانية في هجرانه، وهلمَّ جرّاً. ويكون راجعاً مع زوجته من عند أصهاره. وفجأة يتهادى ميكروباص مقترباً منه، فيتوقف. ويصيح عليه منه شخص:

- اركب يا أستاذ؟. فينظر متعجباً!؟. فإذا هو الذي يطلبه، يكون رجعاً في أول الليل أو آخر النهار وقد احتل مقعد السائق. فتَغَيَّر وجهه، ويتذكر إفساده، ويأخذه الغضب منه. فيناديه الأخ مؤكداً:

- يا أستاذ! اركب. ويصرُّ على اصطحابه إصراراً، فيضطر للصعود، ويطرق برأسه، ليخف عنه ما يجده من الغضب؛ ففي رنة الصوت اعتراف يقول: أعلم أن بيننا خلاف في قضية المسجد، لكن للمسجد شأن وللطريق شأن؛ فما ينبغي لي أن أمر بك وأنا راكب، وأنت راجِلٌ دون أن أَحْمِلَكَ معي، فمهما يقع بيننا، فلك المنزلة. كذلك تُفهمه رنة الصوت، فيطيعه، ويصعد خلف الزوجة ليركب، ويقرأه السلام، ويدعو له مخلصا.. وهكذا دواليك!!..

وكان الصباغ قد خَطْفُ الخطفة؛ فبالإضافة إلى العَوْد لحضن الأهل والفوز بدرجة وكيل الوزارة، غَنِمَ غُنْماً مادياً ضخماً، من العمالة غير المنتظمة فقط خمسة آلاف جنيهاً في أقل من شهر!؟. ولا يدْرى كم كان يغْنُم لو كانت تلك العمالة منتظمة ؟ أو مصر في عافية؟ وقال في نفسه: ناهيك عن الإضافي ١٦٥% وما غَنِمَ من "تراخيص الأجانب" و"بحوث العمالة، ومزاولة الحرفة، وقياس مستوى المهارة، وأموال الغرامات، وأموال الصناديق؛ صندوق الخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية؛ للسلامة والصحة المهنية، وصناديق أُخَرى لا يَعْلَمُها إلا الله . باختصار؛ غَنِمَ من كُلِّ وسائل تمويل الوزارة، ورحل؟. وأَقَبَلَ هذا؟ وكيل الوزارة الجديد؛ وكان عضو لجنة السياسات في الحزب الوطني المنحل، رفعته الوزيرة عائشة، فجأة، يوم كانت عُضواً لنفس الحزب، بِواسِطَة أحد النواب، يوم كانت

عضواً لمجلس الشعب للحزب أيضـاً، رفعته الوزيرة من مدير مكتب إلى مدير مديرية قوى عاملة، مستوى ثان، ذات درجة قيادية واحدة، درجة مدير عام. فهيج عليه فيها لفرعنته، فرجع من الطريق لائذاً بالوزيرة؛ أنبأه الخبر أحد سائقي المديرية الذين لا يخفى عنهم خافية.. فكافأته الوزيرة بمديرية ذات مستوى أول، ذات مناطق، بها درجتين قياديتين، درجة مدير عامٍ، ومدير مديرية. أرسلته كقائم بعمل مدير المديرية. ثم وقعت أحداث يناير فرحلت الحكومة، ورحل الحزب الوطني، ثمَّ رحلت بعدهما الوزيرة، وثبَّتَ هو أركانه. ونسى تاريخه وتحدث معتداً لذاته في الاجتماع الذي عقده لمدراء الإدارات والمناطق بمناسبة عودة سيادته إلى محافظته مديراً لمديرية القوى العاملة. وبرقت عيناه وهو يرى دهشة الوجوه. وأنبأ: أخذت غيلة؛ وكنت رئيساً لبعثة الحجِّ بالغربية. فبعد ثلاث سنوات شاقة قضيتها في تطوير مديرية القوى العاملة والهجرة هناك، أُخترت لأن أكون رئساً لبعثة الحج. وعلمت وأنا في الحج بقرار نقلي، فاستأت جداً من القرار الذي صدر دون معرفة رأيي. وكلمني معالي الوزير. ونشأت بيني وبين إدارة مكتبه مشكلة. فبرروا لفعلتهم باعتقادهم أن عودة ابن المحافظة إلى محافظته الأمِّ وكيلاً للوزارة أمْر يبهجني. فأعلمتهم أني ممتنع عن تنفيذ قرار النقل، إلا رغبة مني. فأنا لا أحب العمل في مكان تكثر فيه المعارف الشخصية. معالي محافظ الغربية استاء جداً من القرار، فجيء به مثلي، وأعلن للجميع تمسكه بي؛ فقد أنجزت لمديرية القوى العاملة والهجرة بالغربية تطويراً يكفي مدة عشرين عاماً، على الأقل، لمن يجيء بعدي، أن يعمل دونما بحث عن جديد. سرد هذا من تاريخه وانتظراً تقريظا من الجميعً. فلمّا لم يلفظ أحد ببنت شفة، أردف مبرراً لحديثه: مجيئي لمحافظتي وكيلاً لوزارة القوى العاملة والهجرة، كان عَلَيّ بالخسارة؛ فـ بالإضافة لعلاقة الاحترام والتقدير التي أحظى بها من معالي المحافظ فلان، بيه، وتمسك سيادته بي جداً، كنت آخذ ٣٥٠% حوافز. ولن يسمح لنا هنا بـأكثر من

٢٥٠% كان مجاهد يجلس عن يساره، ليس بينه وبينه أحدٌ، ورغم المكتب الفخمٌ إلا أنه نحا بنفسه ناحية، متكئا بمرفقه على حافته، ميمماً وجهه شطر الزملاء. ومكث لا يبدي إعجاباً، ولا يلتفت للمتحدث؛ ينتظر بفارغ الصبر متى يفرغ من هذا الحديث، واستشعر نفوراً شديداً من هذه العبارة، لقد عُرِضَ علي تولي مهام الوزارة مرتين، فرفضت لما تمر به البلاد من ظرفٍ عسير. أنا الآن أقدم وكيل وزارة. فعلق له في نفسه: قد قالها من قبل أوبانا، وهو الآن يلبس البيجاما؟. وهمَّ أن ينصرف غَيْرَ مرة، فصابر كي لا يبدأه بالعدواة. وكان المتحدث قد استشرف حديثه بالرضا عن النفس، ومتعة الحج، ورجوعه من هذه الفريضة َنقياً من الذنوب، لا يشغله إلا أن يحافظ على حجته. فمن دأبه عندما يضع رأسه على الوسادة كل ليلة أن يحاسب نفسه، خشية الظلم؟. َففكر له: أيُّ حجة هذه التي ليست من مالك الخاص، تحمَّل نفقتها المساكين؛ حجاج القرعة، وأنت تغنم ٣٥٠% فقط، حوافز. وكيف لدولة أكثر من ٥٠% من سكانها تحت حد الفقر تحمل النفقةً عنك ؟. هذه مهزلة!. وغضب لاستمرار ذات النهج، وكان المؤمَّل بعد ثورتين غير ذلك!. ولم يعقب للحديث أحدٌ، بل نهضوا جميعاً يستبقون البابَ، وعلا لغطهم، وجرى الهمز واللمز. وتذيل هو ريثما يخِفَّ الزحام. وبينما كان يقترب من الباب سمع نداءً:

- يا شيخ فلان؟. فالتفت فإذا المنادي وكيل الوزارة، كانت الغرفة قد خلت إلا من بعض المتزلفة، فأهملهم وكيل الوزارة، واستتبع يعلمه في صرامة بتأثير السلطة:
- لنعمل سويِّاً ؟. فلم تطْربه العبارة. ومكث هنيهة يطالع متحدثَهُ، ثم أخضع رأسه بإيماءتين متتاليتين بالموافقة؛ فوقعتا آسفتين لسان حالهما يقول: لن نهنأ بالعمل سوياً !؟. وأَطْرقَ خارجاً.. ولمَّا أفضى إلى طرقة الديوان، فاستوقفه مدير إحدى المناطق، وجد نفسه يسرع في يبثه نجواه:

- من هذا ؟؟. فَفُطِنَ القصد، فضحك:
- تقصد فلاناً ؟!. وأنبأ مدير المنطقة هو يرى إلى أسفه:
- معروف نَرْجِسِيّ؛ وذكر اسم مدير المديرية مجرداً، والأنا عنده مرتفعةً جداً. قال:
- إذن نَخْتِمُ بـه؟. كانت النبرة مُتَوعدة مَغيظة. فسأله مدير المنطقة راجياً:
- اصبر يا شيخ؟. وتابع، أنت لا تعرفه، نحن نعرفه. سيتحاشى الصدام بي، فهو يعرف أن يدي أسبق من لساني. يعتد لِبَدَنِهِ، وكان طوالاً، ومُدخنًا شرها. فعافه، وتابع سَيْره منفرداً؛ فهذا السبيل ليس سبيله. وفَكّرَ لدقة بدنه، وبدوه للاستكانة، وأنهما من يُطمِعان فيه الأعداء.

وطفق " معروف " مِنْ أوّلِ يومٍ يصيح ويطيح، ويعامل مرءوسيه كأنهم شيءٌ مُقَزِز، ويهدم كلَّ مُستقرٍ؛ فهمّ بنقلِ المخازن من جانب المحافظة الحفيف بالمواصلات إلى أطرافها، إلى المجزر. فيضطر الوافد من المناطق أو المكاتب كي ينال حصته من المطبوعات أو الأثاث أو أجهزة الكمبيوتر، أو ما شابه أن يركب مواصلة إضافية أو مواصلتين. ولكي يخلي مكاناً للمخازن بالمجزر، قرر نقل الإدارة العامة للرعاية إلى المختلط، وهي عدة وحدات مجتمعة. فقيل له: إن نقل المخازن لمكان مليء بالعشوائيات، أطراف المدينة، غير آمن، يعرضها للسرقة؟، وبقاؤها جوار المحافظة آمن، ويُسَهِلُ على الوافدين من مناطق المديرية الست ومكاتبها الملحقة بالمراكز، يسهل عليهم مراجعة المديرية، ويضع عنهم أعباء زائدة في المواصلات. كما أن الناس- عادة- يفزعون لترك أماكنهم والذهاب إلى مواطن لم يألفوها، وأنَّ غالب موظفي الجهاز الإداري للدولة- لعدم تعيينات جديدة- متقدمو السن، وذووا علل؟. ولأن سيادته ينظر في عطفه كثيراً، قال: انطلق السهم، ولن أعود في قرار قد اتخذته. وليختر من لا يناسبه النقل، ما شاء من أماكن المديرية القريبة من بيته أنقله إليه. فَجأروا إلى الله جميعاً: يشتت شملك

ربُّنا يا بعيد، كما شتَّت شملنا ونحن في هذه السنِّ، لا نطيق فراق الأحبة، ولم تعد حملاً لبهدلة المواصلات ؟. يبتليك ربنا بالأوجاع التي ابتلينا ؟. قولوا آمين؟. فقالوا جميعاً آمين؟. وبات هَمَهُمُ الأكبر لا انجاز عمل، ولا الأحداث التي تمر بمصر، بل هذا النقل. وكعادة الخلق مع الطوفان، راح كلٌ يفزع إلى واسطة تمنعه.. وأمسك مجاهد عن الصعود إلى ديوان المديرية كي لا يصطدم به؛ يبعث إليه بأحد الذكرين معه بالإدارة، عبد الحي، ومخيول، الخلية الإخوانية النائمة، إن كان ثمَّ توقيع لسيادته على ما يخص الإدارة. وفي كل مرة كان يرجع إليه كلاهما غضبانين من العنت. وكان يقع بينه لذلك مثل هذا الحوار: يا مولانا، الـ بني آدم ذا مستفز جداً، يوتِّر الحجر، وأنا عِندي السُّكر؟. فيجيب: إذاً أوافيه بنفسي. فيرجع الزميل إلى عطفه:

- لا يا مولانا؛ لا أريدك أن تصطدم بهذا الشخص. أصعد إليه أنا أو يصعد إليه الأستاذ عبد الحيّ، أنت لن تحتمله. فيرجع إليه الزميل عبد الحي َيفِيض إغضابا:

- لن أصعد للمديرية ثانية. لست صغيراً لاحتمال الإهانة؛ انتظرت ساعتين حتى يفرغ من اجتماعه. ولمَّا استبطأت نفسي، دخلت أطلب توقيعه فصاح فيَّ لأني دخلت دون إذن مُسَبَّقٍ. فحاولَ امتصاص غضب الزميل بتغيير دفة الحديث:

- يصعد إليه الخلية الإخوانية النائمة؟. ذاك كان عضواً في الحزب الوطني، وكان يعقد صفقاته مع الإخوان. فيعرب مخيول عن نفسه:
- أنا ليبرالي يا مولانا.
- أتحسبني يخال عليَّ ذلك؟. أنا لا أصدقك.؟. فيجأر:
- الله يلعن الإخوان، واللي جاب الإخوان!. يا مولانا، أنا ضد الانقلاب، ومع الشرعية.

- بل أنت الآن من المقربين للسلطة؛ مدير المديرية هذا حبيبك. فقد كنت تعمل معه ؟. فيسرع في قول:
- فلان هذا ليس له حبيبا. لقد عملت معه في مكتب تفتيش عمل أول، فكان يفعل بالزملاء كذا وكذا، ويضربهم بالشلُّوت.
- ولِمَ أسند إليك وأنت تعمل معنا وظيفة، مندوبا للمشتريات؟. كان يريد أخذك أخذاً كاملاً لولا شفاعتي. قلت: لاغني لي عن فلان؛ يجلس لدفتر الوارد. ففوجئت بانتدابك يومين كل أسبوع لإدارة المخابز. فقلت: هو يومٌ واحدٌ فقط ما أوافق عليه. أنت عنده سوبرمان. وسأله:
- أذلك من أجل المال؟.
- بل لمصلحة العمل يا مولانا.
- ألا يُعطيك عليه الحوافز. فسقط في الاعتراف.
- كله بقرفه يا مولانا. أتدري كم يتحصل مدير المديرية كل شهر **!؟**. قال:
- لا، فكله سرقة، وكله فساد. ما يهمُّني أن تلتزم بدفتر الوارد، وتعاون في أعمال الإدارة؟.
- حاضر يا مولانا. ويبحث عن السجل. فيجده لدى إحدى الزميلات- وقد يئست من ثرثرته، وتأخر العمل- فأخذته، فعملت عليه إلى جوار عملها، كي لا يتأخرن حين مجيء ساعة الانصراف، ولم تنجز بعد أعمال الإدارة.. ويوماً رجع إليه الزميل عبد الحي رجفاناً، وكان قد بعثه بمذكرة يطلب سيارة لحملة مشتركة مع أحدى المناطق خارج المنصورة، فرفض مدير المديرية التوقيع على المذكرة، ورفض إعطاء السيارة. وطلب من الزميل في حدة أن ينصرف. ولأن الزميل لم يتبقَ من عمره الوظيفي إلا بضع شهور، رجع ويداه ترتعشان من شدة الإهانة، وقال لمجاهد:

- يا شيخ أصعد إليه أنت، إنّه يعمل لك حساباً. رفض التوقيع على المذكرة، ورفض إعطاءنا السيارة، صاح فِيَّ وفي الأستاذ عزت كمال. إنّه يُضْمِرُ العداوةِ لهذه الإدارة.. فحمل المذكرة، على الفور، وصعد إليه. وعرج قبل الدخول عليه، على عزت كمال، فاستقبله الزميل معتذراً إليه:
- يا شيخ، إني عبد لمأمور، ما باليد حيلة. أعلمته أن سيارة من قبل كانت مخصصةً يوم الأربعاء لإدارة الاستخدام الخارجي، فصاح فيّ، وفي الأستاذ عبد الحي. وضرب له مثلاً؛ هو كـ كبير عائلة، لا يود أن يتنفس أحدٌ إلا أن يأذن له!!. فعزم على إبلاغ الرسالة، فصاغها في شيءٍ من لدنه، وغَضَّ طَرْفَهُ يتحدث، وقد أعجبه التشبيه، ومضى للرسالة:
- قابلني زميل فسألته؛ كيف حال الأستاذ معروف معكم؟. قال: هو كـ كبير عائلة يريد أن لا يتنفس أحدٌ إلا بإذنه؟. فبُهِتَ. وسأل غاضباً عن قائل العبارة. فأجابه في ضبط نفس:
- ليس الشخص مُهماً، المهم هي الرسالة. هذه قلة أدب. فأثنى عليه، في اتزان:
- أشهد أنك تتخذ القرار، وتحل المشكلة. وسعت علينا، فأعطيتنا حجرة المشتريات. وهو ما لم يستطيعه فلان ولا فلان؛ يعني من وكلاء الوزارة. والله أريد لك النجاح، وأحبك. فالدين النصيحة. قيل لمن ؟ قال صلى الله عليه وسلم: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. الناس بعد ثورتين، وقد تجرأت كثيراً، ولم تعد تُطق الإهانة. فنظر إليه فوجده يجاهد الابتسام، يمنع نفسه من الغضب، ولجأ إلى إشارة:
- ألأني رفضت إعطاءكم سيارة؟. وهل أنا كالذي قيل؟. فأجاب في رزانة:
- أستطيع التحدث عن نفسي. نعم نجد مشقه في التعامل مع الإدارة العليا، فمن قديم والعمل مستقر على تخصيص سيارة يوم الأربعاء لإدارة الاستخدام الخارجي، فرفضتم إلا بتقديم مذكرة قبل القيام بالحملة. وتتعرض المذكرة

للرفض، فنضطر لتقديم أخرى، ونعود للانتظار، ويضطرب العمل. وإن كان ثَمَّ توقيع سيادتكم على مكاتبة، احتاجنا الانتظارَ بالطرقة، فقد أصدرتم أمراً بعدم المكث بالمكتب. فتجبَّر لإحدى سكرتارية مكتبه:

- يا فلانة!. فأقبلت المسكينة مذعورة، فقال يبكتها:
- ألم أنبه مراراً أن لا ينتظر أحدٌ بالطرقة، وأن طالب المعاملة يجلس بغرفة الوكيل فإذا جاء دوره استدعيتموه؟ فأقرت في مذلة، فمضى يؤنبها
- ولِمَ لَمْ يفعل ذلك ؟. فجمدت مكانها، كتلميذة تنتظر العقاب، حتى أومأ إليها بالانصراف، وأوْصَدتْ عليهما. فتابع محذراً أن لا يطرق عليهما الباب طارق؟. وَتَبَسَّط له:
- يا أستاذي، المديرية هذه تعجُّ بالفساد، وهؤلاء لا ضمير لهم، فالسيارة بدلاً من أن يخليها السائق في مبيتها في نهاية اليوم، كانت تبيت عنده، لينطلق بها ليلاً في شئونه الخاصة. وفلان هذا كان يعلم بالأمر ويتستر عليهم. وقص في وُدٍ، من قصص الفساد شيئاً آخر.. فلما فرغ تحدث مجاهد:
- يا أستاذ معروف من ثبت فساده عاقِبْه!. وأمّا المجيد فيسر عليه، وفوض إليه.. سيادتك تراقب من علٍ، وتنسق للجهود، وتحفز على التناغم والتعاون، وتعطي الثقة، فيتسع للإدارة العليا تدريب مرؤوسيها على حسن التصرف، بغرض تنمية القدرات وإبراز الطاقات الإبداعية، وخلق جيل جديد من القيادات. فما الإدارة إلا سبيلا لتنمية الموارد، وتحقيق النتائج والتنمية، ورفع الانتماء للوطن عن طريق تحقيق العدالة في توزيع المكافآت، وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب. ثم إن التواجد الميداني للقادة بين العاملين يحفزهم على بذل أقصى الجهد والابتكار والتفاني.. وظل وجه معروف يخضر ويصفر، فأقسم له:

- والله، إني لأذكر نفسي دائماً بقول نبي الله شُعيب ".. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت". فوقّع في صرامة على مذكرة طلب السيارة، فشكره. وأراه خضوعاً:
- أتأمر بشيء؟. ليُعلمه أنه يحفظ له مقامه، كوكيلٍ للوزارة. فرد في اقتضاب:
- شكراً. فقام عنه. وقرأه السلام، فلم يردّ. وسمعه يصيح في سكرتارية مكتبه طلباً لمسئول وحدة السيارات. فانتظر الأخير في مكتبه حتى عاد؛ فقدم إليه المذكرة. فأنبأه:
- مدير المديرية أمر بإعطائك السيارة، ولا أدري ما غضبه**!** كأنه يلومني أنك دخلت عليه. قال:
- أحمد الله أني أنجزت، وأن السيارة تأتينا في الميعاد؟. قال:
- اطمأن يا مولانا، السيارة تأتيك في الميعاد. فشكره. ونزل حزيناً، يتمثل في نفسه قول نبي الله صالح لقومه: ونصحت لكم؛ ولكن لا تحبون الناصحين. **!؟**.. وكان مدير المديرية قد سأله في البداية عن انتمائه؟. فأجاب: أنا لا أحب الإخوان، ولا أنتمي لأيِّ جماعة. أتعلم الدين وأعلمه. الجماعات قادت إلى التنازع، وأذهبت ريح الأمة. وحذر الله من ذلك فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم، والمعني نحن: إن الذين فرقوا دينهم وكان شيعاً لست منهم في شيء..

كانت فيديوهات ضحايا كرداسة، قد سجلت أكثر المشاهد نذالة؛ مسلحون بـ أر بي جي، وبنادق آلية، هاجموا مركز الشرطة وأشعلوا فيه النيران، وقتلوا لواءين وعقيد ونقيبين وسبعة أمناء وأفراد. القتل لم يكن عادياً، بل سبقه سحل وتعذيب وتقطيع أعضاء بالسنج والأسلحة البيضاء، ثم قتلهم بدم بارد، دون مقاومة، وسط هتافات: الله أكبر، وسباب خادش للحياء.. الفيديو حصلت عليه جريدة " الوطن " وأرسله بعض المواطنون إلى مقدم برنامج العاشرة؛ فعرضه، فشاهده مجاهد من خلال البرنامج؛ ثمانية؛ ضباط، وأفراد شرطة أحياء؛ البعض ينازع الموت

والبعض ينزف، به إصابات خطيرة، والبعض يلتزم الصمت دون إصابات، ينتظر مصيره، يرتعش من الخوف؛ مجند شاب لا يتجاوز عمره اثنين وعشرين عاماً، الخوف يطل من عينيه. الفيديو يظهر الضحايا جميعاً جالسين على الأرض، وظهورهم لـ حائط مسجد يبعد فقط مائتا متر عن مركز الشرطة، بعد إضرام النيران فيه، وسَحْلِ هؤلاء وتعذيبهم وقتل بعضهم، واقتيادهم جميعاً إلى هذا المكان!. أول هؤلاء الضحايا اللواء، مأمور المركز، رفض ترك موقعه، ورفض كذلك الأمر بإطلاق النار على المقتحمين، واكتفى بإلقاء قنابل الغاز صوب المقتحمين الملثمين المسلحين الذين لم يرحموه ولا الذين معه. قتلوه بدم بارد بعد تجريده من ملابسه عدا اللباس الداخلي. الفيديو يظهر الرجل الذي تجاوز الخمسين في اللحظات الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه يضع يديه، ليستر عورته. منظر رهيب اقشعر منه جِلْدُ مجاهد، وفاضت عيناه من الدمع. وأخذت زوجه بصرها على الفور حياءً، فرأته يبكي في صمت فانخرطت تبكي معه. قالت:

- هؤلاء أنذال!. وجعل هو يبكي تفطراً في وُدّ هذا الإنسان الذي في النّزع، يحرص، وهو يموت على ستر نفسه! وامتلأ بغضاً للأنذال. وإلى جوار المأمور كان يجلس أمين شرطة وجهه مُلَطخٌ بالدماء ينزف، حركته بطيئة، مُسبلاً جفنيه، شبه فاقد للوعي من شدة الألم، إلى جوارهما الجندي الصغير يجلس القرفصاء مذعوراً، لا يدري ما مصيره، لم تظهر عليه إصابات، فقط، يرتعش وعيناه زائغتان تلمعان من الرعب، ينظر إلى الأسلحة في يد مرتكبي الجريمة.. لفترة، المشهد لم يتغير؛ الجميع بين قتيل، وجريح، ينزف، وشخص ينتظر الموت. لكن فيديو آخر يُظْهِرُ شاباً قوياً طريحاً على ظهره يتلوى يميناً وشمالاً ألماً، يحرك يديه وقدميه بصعوبة شديدة. أنه النقيب؛ معاون مباحث مركز الشرطة، ينازع الموت، يضع يده على جسده النازف، ثم في وَهَنٍ يرفع نفس اليد ليضعها على صدره ورأسه، عيناه مسبلتان. وفجأة ينتفض الجسد

انتفاضته الأخيرة، فيزأر صوت: وقف التصوير! فيتوقف التصوير، لتظهر الضحايا من جديد، وهم جميعاً قتلى، جثث هامدة ملقاة في نفس المكان؛ من كان في وضع القرفصاء يرتعش من الذعر ينتظر مصيره أسقطه الرصاص أرضاً، ومن كان يتململ، يميناً وشمالاً، يحرك يده ليضعها على صدره يتألم، توقف ألمه، أوقفها الموت، وسقطت يده إلى جواره وشخصت عيناه. إلا العقيد؛ نائب مأمور القسم، لم يظهر في الفيديو، إذ خطفه الجناة وسحلوه بعيداً، وأنهوا حياته بدم بارد في قرية "ناهية" التابعة لمركز كرداسة، وألقوا بجثّته بالقرب من المحور بالطريق السريع..

الفيديو سجل أيضاً اللحظات التي تبعت مقتل النقيب الشاب الذي عاد قبل شهر من العمرة؛ جسده ملقى على ظهره، وآثار الطلقات والدماء تظهر بقوة في أماكن متفرقة بالجسد المسْجى على الأرض، وَتَسمع أنّات واهية!. وتسمع وأنت تتابع الفيديو، شتائم قبيحة موجهة للضباط، والأفراد، وللحكومة. فيخرج صوت متخاذل: هذا حرام! دول بني آدميين؟. فيأتيه الزجر: دول لازم يحصل فيهم كذا.. لا تغطوهم! خلوهم عبرة!. قيل عن الضحايا جميعاً من اللواء، إلى الجندي الأصغر، أنهم لم يشاركوا أو توجه لهم أي اتهامات إبان ٢٥ يناير، تربطهم علاقات طيبة بأهالي قرية كرداسة بوصفها موطناً للعائلات.. وتجولت كاميرا البرنامج بأدوار القسم، ورصدت آثار الدمار، من باب القسم إلى الطابق الثاني بوحدة المباحث. الجُناة حطموا غرف التسليح، وحرقوا مكتب المأمور بعد سرقته، وسرقة الهواتف المحمولة للضباط والمجندين. وأحضر الجناة جراكن بنزين وزجاجات مولوتوف وأشعلوا النار بمكتب رئيس المباحث ومفتش القطاع ومكاتب المعاونين. وجاءوا بدفاتر القسم والمحاضر وأحرقوها أمام أعين الضباط قبل قتلهم. ووقفت عناصر من الإخوان والجماعة الإسلامية قرب مبنى القسم لمنع دخول أي من رجال الشرطة أو النيابة العامة للمدد أو المعاينة. أحد الأهالي من

شهود ناهية يقول لكاميرا البرنامج: الجناة تجردوا من إنسانيتهم وانتقموا من الضباط والمجندين، ومثلوا بجثثهم لمدة أربع ساعات متواصلة. عذبوهم ومزقوا أوصالهم في الطرقات، ثم سحلوهم. شاهدت الجناة وقد قسموا أنفسهم لمجموعات. تجمعوا في البداية أمام مسجد سيدي قاسم بمنطقة الحصويّة، وبدأت مسيرة تجتاح شوارع القرية وتهتف، وانضم إليهم نساء الإخوان. ثم حاصروا قسم الشرطة. وحضر الملثمون بعدما توجه العشرات من أهالي القرية لتحرير محاضر بأسماء الإخوان المهاجمين. وحمل شخص يدعى.. من جماعة الإخوان قذيفة أر بي جي، وضرب القسم من السور المقابل لموقف سيارات الأجرة الخاص بمنطقة الهرم. بعدها، اقتحم عشرات المسلحين مبنى القسم وقتلوا أربعة مجندين كانوا يحملون أسلحتهم. ولم يطلق ضابط شرطة طلقة واحدة على المتظاهرين. فانطلق مجاهد في غضبه: هذه خيانة؛ يتركون مجندين يقتلون غليه دون أن يأمروهم بإطلاق النار دفاعاً عن أنفسهم أو يؤازروهم، ليفعل بهم المجرمون الذي فعوا؟. وزير داخلية فاشل. يترك أفراده دون تعضيد خوفاً من القيل؟ بمثل هذا تضيع الدولة؟. وروى الشاهد: استمر إطلاق النار لمدة ٢٠ دقيقة. بعدها تمكن المهاجمون من القبض على مأمور القسم العميد فلان، ونائبه العقيد فلان، والنقيبين فلان، وفلان، وجردوهم من ملابسهم. وعندما استغاث الضحايا بأحد أهالي العائلات لم يستجب لهم. فاستشاط مجاهدا غيظاً، من الأهالي المتخاذلين ومن الضباط جميعاً:

- أضباط في معركة ويستغيثون بأهالي؟. أجدر أن يقاتلوا فيستشهدوا من أن يطلبوا النجدة ممن حضروا لحمايتهم؟. وقال الشاهد الثاني: ربطوا الضحايا بحبال ومثلوا بجثثهم دون رحمة. فقالت الزوجة:
- أهؤلاء مسلمون؟. قال:
- لا نستطيع تكفيرهم، لكنهم أنذال. أبو سفيان - وهو كافر- صاح بعد موقعة أحد فيمن هم في الشِّعْبِ اعتذاراً من بعض المَثُلَة، قال: أفي القوم محمد ؟.

فنهاهم النبيُّ أن يجيبوه. قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟. أفي القوم ابن الخطاب؟. ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وكفيتموهم؛ فلم يملك عمر نفسه، قال: كذبت والله يا عدو الله؛ إن الذين عددت لأحياء كُلُهُمُ، وقد أبقى الله لك ما يسوؤك. فقال: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال. ستجدون بالقوم مَثَله لم آمر بها، ولم تسوؤني. ولم يهاجموهم لأنهم لاذوا بالشعبِ؟. وهؤلاء- قاتلهم الله؟- يدّعون أنهم أنصار الشريعة، لم يرحموا قوماً رحموهم ولم يطلقوا عليهم رصاصة واحدة، فقتلوهم بدم بارد ومثلوا بجثثهم. وذكر الشاه؛ بأن الجماعة الإرهابية استمرت في تعذيب الضحايا وأهانتهم، وأن مأمور القسم العميد فلان كان أكثر الشخصيات التي تعرضت للتعذيب والتمثيل بحثته. نزعوا عنه ملابسه الميري وعرّوه. ورموا الضحايا بالرصاص كأنهم أسرى محتجزون. فصاح مجاهد في الشاهد مؤنباً! ودموعه تسيل:

- وهل الأسرى يقتلون؟ ولو فعل بهم عدوهم ذلك لاستحق المحاكمة، وعُدّ مجرماً. والمؤسف أن إحدى الصحف الحزبية تقول في عددها الأسبوعي كلاعب متخاذل يأبه للخصم: .... الإخوان دفعوا الدولة إلى إنهاء مأساة الاعتصام بالقوة، بأقل الخسائر. سقوط حصن النهضة في دقائق. ومعارك ضارية بمحيط رابعة.. وقالت جريدة الأخبار الحكومية في صفحتها الأولى تحكي أحداث الأمس: انهيار الجماعة بعد سقوط بديع، القصة الكاملة لسقوط "رأس الأفعى" في قبضة الشرطة. المرشد ارتدى النِّقاب ٤٥ يوماً لإخفاء تنقلاته بين رابعة والمخبأ. وقبل كان قد قيل: الدولة تسقط بسقوط مبارك؛ بابٌ الأمن والحكمة؛ حمى السفينة من أنوْاء الإرهاب والإخوان والجماعات المتطرفة؛ وحال دون صعودهم للحكم. ويقسم مجاهد الآن: أن لو مكث مبارك يمكر بتلك الجماعة الدهر لم يضر بها، كما أضرت بنفسها حين صعدت

للحكم؛ إذ أطلَّ المرشد على الشاشة بعد القبض عليه مبتسماً، ليبعث لأعضاء الجماعة برسالة مؤداها: لم نهزم. فها أنا ذا لم آبه لِمَا نزل بي، لم أزل مُبتسماً، أنتم التنظيم الذي قام لأستاذية العالم، والله معكم. وكانت لائحة اتهامه التي أعدتها النيابة متضمنة .. التحريض بالأمر المباشر، وإصدار التعليمات للجماعة لقتل كل من يحاول التظاهر أو اقتحام مكتب الإُرشاد بالمقطم، وإصدار التعليمات لقيادات الجماعة بالتحرك نحو مقر الحرس الجمهوري والاعتداء على قوات الجيش، والتحريض من خلال إصدار أوامر إلى المعتصمين بميداني رابعة العدوية والنهضة للتظاهر أمام المقر واقتحامه بدعوى تحرير الرئيس المعزول محمد مرسي. والتخابر مع جهات أجنبية لزعزعة الاستقرار والأمن القومي للبلاد. وقتل المتظاهرين السلميين، وإحراز الأسلحة والمتفجرات. ويواجه بالاشتراك مع صفوت حجازي والبلتاجي والعريان وغيرهم تهمة تهديد قاطني منطقة رابعة العدوية واختطاف المواطنين وحرقهم وتعذيبهم. ويواجه مع عدد كبير من قيادات الإخوان، وعدد من رؤوس الجماعة الإسلامية والجهاديين التكفيريين تهمة تكوين تنظيم إرهابي لحرق الكنائس والاعتداء على مؤسسات الدولة وحرق أقسام الشرطة وإثارة الفتنة الطائفية في البلاد.

ويواجه وقيادات كثيرة في الجماعة تهمة التحريض من خلال دعوة الضباط للانقلاب العسكري على الجيش، وقتل المجندين، والهجوم على أقسام الشرطة، والتعاون مع الجماعات التكفيرية الجهادية لإحداث قتل وتفجيرات وأعمال عنف بسيناء. وهلمَّ جرّا.. وفي مقالها أنبأت الجريدة: هل ستغضب لو أخبرتك بأن دماء جنود مصر الـ ٢٥ الذين قتلهم إرهابي جبان، لم يجد في نفسه شجاعة مواجهة ضحيته، وقرر أن يضربهم جميعاً بطلقات من الخلف خوفاً من أن تزلزله نظرة شجاعة من شاب أعزل، في رقبة الدكتور محمد مرسي ؟. هل ستغضب لو

أخبرتك بأن محمد مرسي هو المسئول الأول عن دماء هؤلاء الجنود مثلما كان مسئولا عن دماء جنود مذبحة رمضان الأولى على الحدود ؟. محمد مرسي يتحمل مسؤولية دماء شهداء مجزرة رفح الثانية لأنه وَقَّعَ بيده مئات قرارات العفو عن سجناء إرهابيين تقول سجلاتهم بأن العنف منهجهم؛ وتكفير المجتمع عقيدتهم. ولأنه ظل طوال عام كامل يرفض تدخل القوات المسلحة والأجهزة الأمنية لهدم الأنفاق ؟. محمد مرسي أمر مؤسسات الدولة والقائمين على شأن التفاوض لتحرير الجنود المختطفين في سيناء من عناصر إرهابية تكفيرية بسلامة المختطفين والخاطفين، ولا يأمر رئيس دولة بسلامة الخاطفين إلا أن يكون له في ذلك يدٌ **!؟**..

* * *

الفصل السادس

على طريق العريش، رفح؛ بمعسكر الأحراش لقي الخمسة والعشرين مجنداً مصرعهم على يد إرهابيين.. كانت السيارة الميكروباص على الطريق السريع تنهب بهم الأرض نهباً، بينما الجنود عيونهم متعبة من السهر طوال الليل على قهوة بمحطة العريش، يحاولون تفتيحها، فعمَّا قليل يتمكنون من تَسَلُّمَ شهادات إتمامهم الخدمة العسكرية الإلزامية، ويعودون إلى قراهم، وإلى أمهات لا تكف ألسنتهن عن الدعاء؛ أن يسلم الله طريقهم، ويردهم إليهن سالمين غانمين؟ وإلى آباء يحلمون بهذا اليوم الذي ينهي فيه أبناؤهم خدمتهم، ليحملون عنهم بعض الحمل، ويتولون أمر أنفسهم ومستقبلهم. وإذ الجنود الشّبان يحلمون بالعودة لأحضان الأمهات، وشدِّ عضدَ الآباء، والعَوْدة لمنازلهم التي احتضنتهم لتغلق عليهم بالليل أبوابُها. وإلى طعام يَذُوقوه صنعته لهم أيد محبة تنتظرهم. ويحلمون بالعوْدة لتطأ أقدامهم شوارع لعبوا فيها صغاراً، ومساجد صلوا فيها كباراً. ويحلمون بالزواج من صبية بِكْراً، والاستقرار معها وتكوين أُسَرة صغيرة جديدة سعيدة؛ بينما هم كذلك، كانت هناك نفوس ضالة وأيادي آثمة تتربص بهم، وترصد طريق عودتهم للوحدة العسكرية بمدينة رفح لاغتيالهم جميعاً. ثبتوهم، وأخرجوهم من السيارات التي يستقلونها. وقبل أن يجبروهم على الانبطاح أرضاً شَدوا َوثاق أيدهم خلف ظهورهم، ليطلقوا عليهم الرصاص من الخلف، فقضوا نحبهم جميعاً. وفر الملثمون هاربون، لتنطفئ على الفور في المنازل الأحلام ومواقد الطعام، وتقام المآتم، وتشتعل بالصدور نيران تأجج لمقتل ذويهم بهذه الطريق الخسيسة، يصحون: القصاص ؟؛ ربما- وقْتُها- ترتاح قليلاً صدور الأمهات، وتنْقَص بعض أحزان الآباء، ويسكن التراب الثائر الذي أُغْرِقَ بدماء الشهداء. فبالحزن والسواد

جلست والدة شهيد وسط الأهْلِ والأقارب ومع السيدات المتشحات بالسواد في بيتها، بكاؤها على فقيدها مستمر منذ معرفتها الخبر ليلة أول أمس، ويسود الهدوء المكان لدقائق قليلة قبل أن تتذكر السيدة نجلها الفقيد، وتنوح: حبيب عيني؟ كان قلبه حاسس. قال: لست متفائلاً بالسفرية هذه يا أمي؛ ولست عارفاً بما سيحصل لنا هناك؟. قلت: لا تقلق؟ إن شاء الله تأتي بشهادة نهاية الخدمة، وترجع إلينا؟. فأتى بشهادة وفاته، ونهاية خدمته من الحياة.؟ وتبكي مفطورة. ثم تستجمع عقلها لتتابع للمراسل: صحي يوم الأحد الساعة ٧ وقال: عاوز أفطر قبل ما أسافر؟. أتيته بقرصيتين، أكلهم مع كوب نعناع، وتوكل على الله. ظللت أدْعُو له: ربنا يرجعك بالسلامة. وذهب أبوه يركبه من على الطريق، فركب ومعوض، زميله من عزبة شمَّاعة. الاثنان كان بعضهم يحب بعضاً قوي، والاثنان ماتوا مع بعض. وتبكي محسورة، ثم تواصل: ثاني يوم الصبح رحت المدرسة اللي أنا موظفة فيها على الساعة ٩ ونصف. فردد مجاهد تبكيتاً وهو يتابع البرنامج: ذهبتِ للعمل٩ ونصف ؟!.. قالت: لقيت زميْلي يتكلمون عن الجنود الذين قتلوا برفح، فسألتهم في لهفة: كانوا ذاهبين للمعسكر ولى راجعين؟ قالوا: كانوا ذاهبين. قلت: يا لهويٌّ؟ ابني فيهم، سافر البارحة ؟. ورجعت إلى البيت كالمجنونة. كلمت أباه وأخواته، وبقينا تائهين؟. لحد ما سافروا الظهر على مطار ألماظة ليروا أهو ضمن الذين ماتوا ؟. وتصمت السيدة قليلاً قبل أن تضيف محسورة: ظللت لحد المغرب انتظر أحَدّ يقول لي شيئاً أو يطمئني، بلا فائدة؟.. في مصر وجد إخوته اسمه ضمن الشهداء لكن كان فيه غَلْطَةٌ في اسم الوالد، فظلوا منتظرين لحد ما الجثث وصلت الساعة ٧ ونصف ليلاً. قالوا: نريد التأكد لابننا ؟. رأوه آخذ طَلْقةً في دماغه من هنا، تشير إلى خلفية الرأس، وخرجت من هنا؟ وأشارت إلى الجبهة، لتدخل في نوبة بكاء شديدة وتتوقف تماماً عن القص..

وإلى منزل "معوض" في عزبة شماعة، أشمون، منوفية انتقلت كاميرا البرنامج حيث تجلس كثيرات من السيدات المتشحات بالسواد يتقدمن بواجب العزاء، ويحاولن التخفيف عن الأم الثكلى والزوجة الشابة التي لم يمر على زوجها سوى عامين، بينما الأخريات تتوافدن على المنزل للغرض ذاته، وسط النحيب والعويل المستمر، ولا تقوى والدة الشهيد على الكلام، قدماها لا تحملانها، ولا تستطيع تدارك الأمر. وبالقرب منهن كان الرجال من الأهل والأصدقاء يستعدون لتلقي العزاء في الفقيد، يشرفون على نصب الصوان، فيما يقف شقيقه الأكبر بجوار والده يحاولان استيعاب الصدمة وقد ملأت الدموع عيونهما: الصبح، بعد ما ذهب هو وإسماعيل صاحبه، اتصلت به ظهراً، وسألته عن مكانه؟ قال: مازلت في المرج. سنصل مغرباً لأن الطريق وِحْشِه هذه الأيام، والمواصلات ليست مضبوطة. بالليل كلمني: سنبيت هنا على قهوة، والميكروباصات في الصباح ستأخذنا إلى رفح. فتساءل مجاهد لزوجته وهما يتابعان البرنامج وحديث شقيق الشهيد لمراسل الجريدة:

- كيف يجتمع أكثر من خمسة وعشرين جندي عُزَّل ليبيتوا على قهوة، ليكونوا صيداً ثميناً سهلاً لإرهابيين لا خلاق لهم ؟ أين قادة هؤلاء الجنود الذين لم يعنون بهم فيُعْلِمونهم أنهم في حالة حرب، فلا يجتمعوا كذا أبداً في مكان، واحد وهم عُزَّل ؟. أو يرسلوا لهم من يؤمنوهم ويحملوهم إليهم ؟. تلك عشوائية وإهمال يُسْأل عنها القادة ؟. وأردف محزوناً: أم لأنهم عساكر أمن مركزي بسطاء أدوا خدمتهم، فلم يعد يُهتم بهم أحدٌ ؟ بل ينبغي أن يحاكم قادة هؤلاء؟. فردت الزوجة:
- وهل يُسأل وزير الدفاع عن كل شيء ؟!. قال:
- هؤلاء جنوده، وهم في حالة حرب قذرة، فينبغي أن لا يغفل عنهم. قالت:
- لا أحد يعمل إلا الجيش والشرطة، ألا يحتاجون أن يناموا؟. قال:

- ينبغي لهم خطة؟. يتناوبون للسهر، فينام البعض ويستيقظ البعض للحراسة؟. وترك جدالها، والتفت إلى شقيق الفقيد الذي تمالك نفسه قليلاً ليكمل: ثاني يوم سمعنا في التليفزيون أن هناك جنودٌ قُتُلوا وهم ذاهبون إلى معسكرهم. اتصلنا. كان تلفونه مغلقا. حَصَّلنا رقم زميله إسماعيل. أيضا كان الرقم مُغلقاً. قلقنا أكثر. اتصلنا مرات، حتى رد علينا ضابط. فسألناه عن معوض؟ قال: أكلمكم بعد وقت. فانتظرنا، ثم كلمناه. قال: العساكر كلهم ماتوا عدا اثنين. فردد مجاهد في غيظ:
- يا حبيبي؟ العساكر كلهم ماتوا !؟. هذا لا يجيد حتى الحديث. يتحدث عن جنوده أنهم مجرد شيء !؟ عشوائية وإهمالا وتخبط !. وأنهى شقيق المجند حديثه في يأس: عرفنا أنه مات، وجاء اسمه على النت، وفي التليفزيون. فاستمر مجاهد في غضبه: أصبح النت والتليفزيون وزارة ؟ أصبح لا دولة، ولا رئاسة، ولا وزارة ؟!..

"النُّص" أصغر جنود مذبحة رفح الثانية؛ ١٨ عاماً، لم يحصل على أي شهادة بسبب الحالة الاجتماعية التي تمر بالأسرة. وصفه الأهالي بأنه "وَلَدٌ" يعنون؛ نقاوة بين أترابه ومفخرة، لتحمله مسئولية الأسرة وهو لم يتجاوز بَعْدُ التسع سنوات؛ ولم يشاهد طول عمره إلا مرتديا ملابس العمل. لديه شقيق أكبر منه يعاني مرضاً جسدياً لا يستطيع معه العمل. توفى والده من طويل. وبعد أن أدرك الثمانية عشر عاماً تقدم بأوراق تجنيده، فَقُبِلت أوراقه بفارق ١ سم، حيث بلغ طوله ١٦١ سم؛ فاشْتُهِرَ بـ "إبراهيم النّص" لم تمض من خدمته العسكرية سوى أربعة أشهر. وهذه هي الأجازة الخامسة له. حضر لقضاء أجازة عيد الفطر المبارك لمدة ثلاثة أيام بصحبة أسرته. وفي اليوم الرابع حمل حقيبته، وعاد إلى المعسكر. وبعد مرور أربع عشرة ساعة من نفس اليوم، يروي عمه لبرنامج العاشرة الذي يقدم لهؤلاء الضحايا تحت شعار؛ الشهداء لهم الكلمة الأولى: فوجئنا

بعودته مرة ثانية بسبب الظروف الأمنية التي تشهدها سيناء. وتكرر الموقف أكثر من ست مرات؛ الخروج للسفر، فـ الرجوع، حتى أبلغة أحد زملائه أنه كتب غياباً كل تلك الفترة. قبل الحادث بيومين التقى خاله، وأكد له أنه سيسافر لمعسكر الأحراش خوفاً أن يقال عنه: هارباً من الجيش. طلب مني مائتي جنيهاً بسبب جشع السائقين في زيادة الأجرة. والساعة " الحادية عشر، مساء السبت تلقيت اتصالاً منه أخبرني فيه أنه وصل إلى منطقة العريش، وفي الصباح سيتوجه إلى المعسكر، وأنه سيقضي الليلة بصحبة زملائه داخل موقف السيارات أو داخل مسجد. وبعدها بساعات تلقينا خبر استشهاده. وقال العم: أتهم الإخوان وأتابعهم أنهم من وراء مقتل ولدنا؛ ولم تتمكن الأم من الحديث أثناء جلوسها داخل المنزل المكون من غرفتين وصالة، واكتفت بالبكاء، والنظر إلى الأرض.

وانتقلت الكاميرا تعرض للمئات في مسيرة طافت قرية المهدية،مركز ههيا، قليوبية، مرددين هتافات: لا إله إلا الله، الشهيد حبيب الله. القصاص القصاص، دم المصري مش بلاش. لا للإخوان الخونة، ولا للإرهاب الخسيس الجبان. وعمت حالة من السَّخَطِ بين أهالي القرية فور علمهم باستشهاد ابن قريتهم، وتوفدوا على منزل أسرته لمواساتهم، وبدت الفرصة سانحة للانتقام من أعضاء الجماعة التي حملوهم مسئولية مقتل ابن بلدتهم برفح وزملائه عندما علموا بتجمع أعضاء الجماعة داخل إحدى المساجد بمدينة ههيا تمهيداً لتنظيم وقفة، وأداء صلاة الغائب على روح قتلاهم في أحداث سجن أبي زعبل. فحاصروا المسجد وأشعلوا النار بسيارتين ملاكي وخمس دراجات بخارية فانتقلت قوة من مركز شرطة ههيا إلى المكان. فتوجه الأهالي لقرية الشهيد وأشعلوا النار بمقر حزب الحرية والعدالة. التهمت النار محتويات المقر بالكامل٠ وقالت والدة الشهيد للمراسل: ابني كان فرحان؛ أنه أنهى مدة خدمته في الجيش، والشهور اللي فاتت كان يقول لي أنا حاسس إني أنا هـ موت. الإرهابيون يهجمون علينا كل يوم. ورددت الأم عبارة

تنم عن إيمان شديد: اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه؟. فالتقطت شقشقته الكبرى طرف الحديث: نحن أربعة أشقاء؛ محمد، وعبد الفتاح يرحمه الله، وأنا، ومهدي. عبد الفتاح كان مصدر البهجة في العائلة، وكان خاطباً ابنة عَمَّته منذ ثلاثة أشهر. وتساءلت: بأي ذنب قتل أخي وزملائه، يموتون بهذه الصورة البشعة التي رآها الناس وهم عُزَّلٌ من السلاح لا حول لهم ولا قوة؟. وقال عمه: عرفنا بخبر استشهاد المجندين من النت والتليفزيون. فاتصلنا بأحد زملائه برفح وتأكدنا منه. عبد الفتاح كان يساعد شقيقه الأكبر في نفقات المعيشة خاصة عقب مرض والدهما منذ خمس سنوات. وقال صديق الشهيد وزميله بالتجنيد: كنَّا مع بعض في نفس مكان تأدية الخدمة في الأحراش، وأنا مدة خدمتي انتهت قبله. كنا نتعرض لهجمات متتالية من الإرهابيين منذ ثورة ٢٥ يناير وحتى عهد مرسي. كانوا يهاجموننا باستخدام الأسلحة الخفيفة، ولا يستهدفوننا مباشرةً. وبعد سقوط مرسي بدأ الهجوم يكثر، وبأسلحة ثقيلة. تعرضنا لـ خمسة عشر هجوما. أطالب بمحاكمة قيادات الإخوان لتحريضهم على العنف، والقصاص لدم الشهداء ؟

وانتقلت الكاميرا لقرية " شبرا خلفون" منوفية. آلاف الأهالي يشيعون ابن قريتهم البشوش المحبوب" عفيفي، ٢١ عاماً " بالهتاف ضد جماعة الإخوان، يتوعدون بالثأر يحملونها المسئولية عن الإرهاب. وإثر انتهاء الجنازة حطم المئات من الغاضبين عدداً من محلات وممتلكات الإخوان وهددوا بحرق منازلهم والتهجير من القرية؛ بينما جلس والد الشهيد أمام منزلة بالقرية في حالة هستيرية من البكاء. وقالت والدته وهي تغالب دموعها: عفيفي سافر الأحد الماضي لمعسكره برفح لتسلم شهادة نهاية الخدمة، وناديته فور خروجه من المنزل كي يعود فأحتضنه. فانطلق وقال لي من بعيد: لا إله إلا الله. آتي بالشهادة وأبقى معك طول العمر؛ عفيفي أطيب أولادي. والتقط والد الشهيد خيط الحديث: لو الفريق عبد الفتاح السيسي، وزير الدفاع لم يأت بحق ابني وقبض على من قتلوه غدر وداس على

رؤوسهم بالدبابات أنا هـ اقتل مائة انتقاماً لأبني. واسترسل وقد انخرط في البكاء، أنا مربي ابني بدم قلبي؟ ماذا عمل فيهم حتى يقتلوه ؟

أخيراً تنتقل كاميرا البرنامج لقرية سلامون القماش، بحري التي شهدت اشتباكات بين الأهالي والإخوان خلال تشييع جنازة "عمرو شبل" خفيف الظل الضاحك. لقبه أهالي القرية بعد الحادث بـ "عريس الموت" وردد الأب المكلوم: يا عمرو، أنت وعدت والدتك أنك تجيء يوم الاثنين، تجئها ملفوف في علم مصر؟ أنت لم تف بوعدك! وانفجر يبكي. وفي أول القرية حيث موقف السيارات عُلِقت لافتةً مكتوب عليها "ممنوع ركوب الإخوان" وداخل القرية غُلِّقت الأبواب. وفي سوقها حطم الأهالي محلات، ومدرسة خاصة بالإخوان. وقال الأب أن نجله طوال العامين كان يحضر في الأجازات ليعمل معه في الحقل لأنه البكر. وبعد عيد الفطر حاول عمرو السفر مع زملائه أكثر من مرة فلم يستطع بسبب أحداث اعتداءات وقتل المجندين في سيناء، وأن عدداً من زملائه تمكنوا من السفر إلى معسكرات الأمن المركزي، وأجروا له اتصالاً وطلبوا منه عندما يسافر إلى شمال سيناء أن يحاول إخفاء هويته لأن هناك جنائيين من المنطقة السيناوية يقومون بسرقة المجندين وخطفهم، وآخرون تابعون للإخوان يقومون بقتلهم. وقال الأب: اتصلت به واطمأننت أنه وصل إلى منطقة العريش، وأكد لي أنه سيقوم بتسليم عهدته في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي فدعوت له، وطلبت منه أن يحترس. وفي اليوم المشئوم تلقيت اتصالاً من زميله محمود أحمد قال: يا أبا عمرو نعرفك رجلاً متدينا، احتسب ابنك شهيداً. وقالت والدته لمراسل البرنامج، وهي تقرأ آيات من القرآن، يجلس بجوارها نجلها الأصغر: يا ابني، أنا محتسبة ابني شهيداً، وكلهم أولادي، وإني فخورة به، لكني لا أقدر أن أمنع دموعي. كان نفسي أفرح به! وتصف نجلها: كان دائم الضحك، يهزر مع إخوانه. أقل له يا عمرو بطَّل ضحك؟. أنت ابن موت! خلي بالك من نفسك؟. وثالث أيام العيد دار

بيني وبينه حديث. قلت: متى أفرح بك؟ خل بالك من نفسك ولا تضحك كثيراً أحسن تحسد ؟ فردَّ: يا أمي، أنا هموت شهيداً، نفسي أموت شهيد ؟. تفرحي يا أمي، ولا هـ تزعلي؟ لم أقدر أن أرد عليه. قلت: يطول ربنا في عمرك، ويحميك. ومن بين دموعها تمنت: يا ليتني جوزتك يا عمرو وفرحت بك ؟ انخرطت تبكي. فعقب مجاهد للأم المحسورة: لن تفلح هذه الجماعة، هي نهايتها؛ فـ ليس ذنب أجدر بأن يعجل الله عقوبته في الدنيا من البغي وقطيعة الرحم. وهؤلاء قتلوا وحرضوا على القتل. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من أعان على قتل مسلم جاء يوم القيامة ومكتوب بين عينه آيس من رحمة الله. ولأن بقرية سلامون مسجداً لأنصار السنة، وكان له درساً أسبوعياً فيه، وناسهم يحبهم ويحبونه قال لزوجته: أنا سعيد للدعوة إلى الله، فمهما يكن من أمر فهذا أثر من تقى في نفس هذه الأم. فرجعت تنتقده: كلام ينقصه عمل ؟. فَحَدّق فيها. فخففت من حدتها ورجعت تستفتيه:

- وهل يشعر الميت بدنو أجله ؟. قال:

- نعم، ولكن على غير يقين؛ إحساس مبهم، لو استيقن مات. وقد ينطق بعبارات مثل هذه العبارة: يا أمي أنا هـ موت شهيد. أو يطوف ليرى أحبه قبل رحيله. وقال يفكر:

- انظري إلى هذا الإيمان العجيب؛ وإلى حب هذا الوطن؟!. شاب في مقتبل العمر، كثير الهزار، يصرح: نفسي أموت شهيد ؟. لم أعلم شعباً متديناً بطبعه؛ يحب بلدة حباً شديداً، مثل هذا الشعب !؟. وفاضت بالدمع عيناه، وهو يرى إلى الأم الثكلى تعتصم بالقرآن!!

* * *

وحرص مقدم برنامج العاشرة وفريق برنامجه؛ كفريق مجيد على التقديم للضحايا تحت شعار"الشهداء لهم الكلمة الأولى" فكانت تشتعل الكراهية في قلوب الناس ضد تلك الجماعة؛ فنصيب محافظة المنوفية وحدها إحدى وعشرين شهيداً، من إجمالي الستة والعشرين. واستقبل أهالي كفر عشما مركز الشهداء اليوم إبراهيم عبد اللطيف، المجند بالأمن المركزي بمعسكر الأحراش برفح المصرية إحدى وعشرون سنة، ذهب ليحصل على شهادة إتمام الخدمة العسكرية فحصل على شهادة وفاة مكللة بالمرارة. وغَضِبَ أقرباؤه وذووه، وجيرانه. وفي حالة من الحزن يرثى لها، وبكاء وصراخ شديد، خرجت القرية عن بكرة أبيها لاستقبال جثمانه وتشييعه إلى مثواه الأخير. فتحولت الجنازة إلى مظاهرة ضخمة بالآلاف، ورددوا "لا إله إلا الله، الشهيد حبيب الله، سامع أم شهيد بتنادي، الإخوان قتلوا أولادي". ولولا تدخل الحكماء لأحرق عدد من المشاركين بالجنازة بيوت ومحال أعضاء في الجماعة، ومُنِعت أعمال عنف كادت تقع عقب الجنازة. ويحكي خال الشهيد عنه، أنه هو الأخ الأصغر لأشقائه، توجه أمس الأول "الاثنين" لإنهاء خدمته العسكرية، وأنه تلقى منه اتصالاً تليفونياً بوجودهم في موقف العريش. حسبنا الله ونعم الوكيل في الإخوان الإرهابيين؟ قتلوه؟. مازلنا نخبئ على أمه، لأنها لَوْ عرفت الخبر هـ تموت!. فقال مجاهد لزوجته: الناس في بلاء شديد. كان شاكر، يعني مدير المديرية قبل الأسبق إذا تكاثرت عليه هموم المديرية صاح قائلاً: هَمّ ما يتلم! ما ذا جرى لعقلي حتى أرمي نفسي في هذا الشقاء.؟. فصدقته الزوجة، وسألت مهمومة: إلى متى يظل هؤلاء يَقْتلون للأبرياء؟. هل باتت الدولة لا تَقْدِرَ عليهم؟!. قال: تَقْدر، لكنه التراخي والنسيان، ولكل أجلٍ كتاب. أنبأ رسول الله فقال: إن الله ذَوىَ لي الدنيا فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها. وأعْطُيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي إلا يهلكها بِسَنَةٍ عامة، وأن لا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم.

وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتُكَ لأُمَّتكَ أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، وإن اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بَعْضُهم يُهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً. وقال يفكر: أعتقد أن عملية رفح الثانية رداً من تلك الجماعات، التي يخطط ويمول لها الأعداء، على تصريح وزير الدفاع ولقائه، ووزير الداخلية قيادات وضباط الجيش والشرطة بالمنطقة المركزية.. نحن أكثر حرصاً على الإسلام الصحيح الذي لم يكن أبداً أداة للتخويف والترويع والترهيب للآمنين. وإننا سنقف جميعاً أمام الله وسيحاسبنا.. شرف حماية إرادة الشعب أعز من حكم مصر. من يتصور أن العنف سيركع الدولة والمصريين فعليه أن يراجع نفسه.. .. وعرج لإذكاء العاطفة، ينفذ إلى القلوب، إن حجم التحديات السياسية والاقتصادية والأمنية أكبر من قدرة مصر كـ دولة، ولكنه ليس أكبر من قدرات المصريين كـ شعب ووطن. وصاح صَيْحةً؛ مصر أمانة في رقبة جميع المصريين؟. وعرج إلى العلاقة بالنظام السابق، إننا جميعاً جيشاً وشرطة شرفاء أوفياء لمصر، لم نغدرْ، ولم نخُنْ، ولَمْ نَكِدْ، وكنَّا أمناء، وحذرنا، أن الصراع السياسي سيقود مصر إلى نفق مظلم، وسيتحول إلى اقتتال وصراع على أساس ديني، وأن ما قمنا به من إجراءات كانت شفافة وأمينة ونزيهة وبمنتهى الفهم والتقدير الدقيق للمواقف والأحداث وانعكاساتها على الأمن القومي. وفي إشارة إلى الدعوة التي وجهها إلى المواطنين للنزول لتفويض القوات المسلحة في السادس والعشرين من يوليو لمكافحة الإرهاب.. كانت رسالة للعالم والإعلام الخارجي الذي أنكر على ملايين المصريين حرية إرادتهم ورغبتهم الحقيقية في التغيير، يعني ثورة ٣٠ يونيه، ورسالة للآخرين أن يُعَدِّلُوا مفاهيمهم، ويستجيبوا لإرادة الشعب.. وتحدث عن الفرص التي أضاعها النظام السابق وأتباعه خلال العام الماضي ومحاولة إيجاد مساحة من التفاهم بين هذا النظام، والقوى السياسية، والرأي العام من خلال العديد

من المقترحات التي ضاعت أمام التعنت والصلف وعدم الاستجابة لأي نصح حقيقي، يخرج البلاد من دائرة الأزمات. والاعتقاد بتآمر الجميع عليهم. وأنهم على الحق المبين، والباقون في الضلال. أعطينا فُرَصاً كبيرة للقاصي والداني لإنهاء الأزمة بشكل سلمي وفقاً لخريطة طريق بدلاً من المواجهة، وتدمير الدولة المصرية. وقال: من يقود البلاد ويريد الحفاظ على مصالحها العليا، لا بد حين الأزمة أن يقبل باستفتاء على بقائه أو رفضه من قبل الشعب. وتساءل: هل الواجب والمسئولية والأمانة تقتضي سقوط البلاد، وتغيير الواقع بالقوة، وترويع المواطنين نتيجة لتصور خاطئ لمفهوم الإفساد والإصلاح في الأرض..!؟.

وكان وزير الدفاع بذكائه العاطفي كُلَّما تحدث، زَكَى في النفوس محبَّتُهُ، فازداد له بغض جماعة الإخوان، وزاد يقينها أنه سبب مُصابها، وأنه من انتزع السلطة منها انتزاعاً. وانطلقوا ينتقمون ممن يقع في طريقهم، ممن بادله الثقة، أو جهر بمحبته، ظناً أن في مُكْنَة تنظيمهم إركاع دولة أو إرهاب شعب عريق. ولم ينتبهوا؛ أن سفك الدماء، والترويع ممن حملوا البنادق في الثمانينيات لم يهزوا في رأس مبارك شعرة، وأنه في النهاية دحرهم. ولكن بضع مئات من الآلاف، بحناجرهم هتفوا: سِلْمِيَّة، سلمية، ودقوا الهواء بأيديهم الغاضبة في الساحات، وصَبْرُ الليالي الثماني عشر قادوه إلى التنحي وترك الحكم. ولم ينتبهوا أن الملايين ممن خرجوا عليهم هم من ساقوا مرسي وقادتهم إلى السجن، فكبكبوا جميعاً في قفص الاتهام. وفي جمعة أسْمَوْها "جمعة السلاح والدم" بعد نجاح الشرطة والجيش في فض اعتصامي رابعة والنهضة، ومآزره الشعب، انطلقوا يِعْمِيهم طيش الصواب في مسيرات مسلحة تضرب العاصمة والمحافظات ينتقمون. وصدرت صحيفة الأخبار، في اليوم التالي تصف أحداث الأمس.. مصر تحترق بنيران الإخوان..

وأعلنت وزارة الصحة حصيلة الاعتداءات التي وقعت أمس بمحافظة القاهرة.. مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة مائة وتسعة شخص. وبلغ عدد المصابين في محافظة الجيزة سبعة، وثلاث وفيات. وفي الإسكندرية لم تقع وفيات أما المصابون فقد بلغ عددهم سبعة عشر مصاباً تَمَّ نقلهم إلى مستشفى رأس التين والرَّمَد. باقي المحافظات بلغ عدد المصابين تسعة وأربعون مصاباً، وإحدى عشر حالة وفاة. فقال مجاهد لزوجته وهما يريان إلى ملثّمين في استعراض للقُوَى وسط ميدان رمسيس قلب العاصمة: اعتقد أن هؤلاء عناصر لحماس. وقال يبكتهم، أرضكم محتلة، اذهبوا فحرروها؛ إن كنتم صادقين!. بل أنتم والجماعات التكفيرية أداة أمريكا وإسرائيل لتحقيق مشروع الشرق الأوسط الكبير؟. فسألته الزوجة:

- وكيف دخلوا مصر، وجاءوا إلى هنا؟. ولِمَ تناصر حماسُ الإخوان وتعادي مصرَ، وهي التي طالما دافعت عن فلسطين، ؟. فقرأها: قل كل يعمل على شاكِلَته. دخلوا عبر الأنفاق. وعلق ساخراً. ربما المسجد الأقصى طار إلى هنا؟!. هي جماعات تخون الأوطان، وتطلب السلطان، والدين عندهم الوسيلة، ومصلحة الجماعة هي العليا. هم يسعون إلى نهايتهم..

- كان بعضهم قد أشعل النار في عمارة "المقاولون العرب" بميدان رمسيس، ومنِعَوا سياراتُ الإطفاء من الوصول للمكان. فامتدت النيران لعدة طوابق من المبنى. ورأى مجاهد رأي العين عبر إحدى الفضائيات المبنى تلتهمه النيران دون محاولة من أحدٍ لإطفائه، والدولة غائبة تماماً، فَغَضِبَ: قاتلهم الله ؟ هم لا يجيدون إلا الحرق والقتل، والمكر السيئ، والترويج للشائعات. عقب انتخابات مجلس الشعب، تتبعت هيئة ابن فلان، يعني فرد الإخوان، يمشي مخْتالاً يضرب الأرض بقدميه. فأقرأته في نفسي: إنك لن تخرق الأرض، ولن تبلغ الجبال طولاً. وقفز إلى مخيلتي هيئة البقرة التي وصفها الله على لسان نبيِّ الله

موسى لبني إسرائيل قرباناً، فمضوا في تعنتهم يطلبون زيادة في وصفها، وهم يعلمونها. قال: إنَّه يقول: إنَّها بقرةٌ لا ذَلولٌ، تثير الأرض ولا تسقي الحرث.. وذكر من نبأ نفس الشخص بعد نجاح مرسي، وجمعهم بأيديهم السلطتين التشريعية والتنفيذية: كنا إذا التقينا ونحن ندخل المسجد، تَعَمَّدَ الإسراع أو الإبطاء ليعترض أمامي، لِيُخضعني إلى الانتظار، ليرد هو المسجد أولاً، فأدعه، وأنا أبغضه أشد البغض. فدهشت:

- وهل تذهبون إلى المسجد ليكون ذلك ؟ لم يعد هذا مسجداً؟!. فيألم في نفسه، لأنها راحت تساوي بين المُعتدي والمعتدَى عليه، فجاهد لمواصلة الحديث، لينال عطفها: فلمَّا عزل مرسي، وكنت أنا الوارد للمسجد أولاً، استبقته إلى الطرف القريب للصف، فيهرول هو، حيث الطرف الآخر للصف، ليقف بعيداً. فاستمرت تلوم:
- ولم تعد هذه صلاة. فأخذه الغيظ منها، فصاح: أنت مُصيبَةٌ !!..

وكان من دأبه إذا فرغ من الصلاة وقام ينصرف؛ تفقد الغائب، ويرى إلى أثر الطاعة في الوجوه وهو يمر. فيسرع فرد الإخوان فيلوى رأسه ناحية لا يطيق له عزّةً. ويلمح بسيماء الشخص حين إسراعه في لَيِّ عنقه عبوساً شديداً، فتأخذه نفسه إلى المناجاة: أعوذ بالله!. كأن هذا لم ينصرف من صلاة، وما لها عليه من أثر. وتبلغه الرسالة التي يسعى هذا العنصر الإخواني توصيلها؛ الكراهية، لا لفسوق به، ولا لجهلٍ، بل لموقفه لِمَا حل بهم، ويتحدث باستعاذة مسموعة، وينصرف وقد غضب من هذا القلب المنغلق، ويتساءل: العجيب أنه مع صَلَفه، لا يجيد حتى قراءة آية واحدة صحيحة يستظهرها. لا يجيد إلا المكر السيئ، الذي برعوا فيه!.. ورأى عبر إحدى الفضائيات رأي العين مسيرة، بينهم مسلحون بسلاح آلي تعتلي كوبري ١٥مايو. وعندما اعترضهم عدد من أهالي شارع ٢٦يوليو ببولاق أبو

العلا المقيمين في محيط الكوبري لِمَ رأوه من الشغب، وإشعال النيران والتدمير والتخريب. فقام المسلحون بإطلاق الرصاص على الأهالي بشرفات منازلهم..

وقالت صحفية الأخبار.. القبض على زوج شقيقة العريان. عشرات القتلى والمصابين في المحافظات..قوات إضافية من الجيش للتدخل السريع عند الضرورة.. القوات المسلحة: لا انشقاقات. ورصد "تفبرك".. العاهل السعودي يطالب العرب بالتصدي لمن يحاول زعزعة مصر.. والإمارات تعلن مساندتها السعودية في دعم مصر.. والأردن تؤكد وقوفها بجانب مصر.. وقالت جريدة الوطن في صدْر صفحتها الأولى.. مصر في مرمى نيران الإخوان المسلحون.. وأعلى هذا العنوان وأسفل منه بضع صور لعناصرهم المسلحة وهم يطلقون النار وبضع عناوين... واستتبعت الجريدة تُنبئ: الغرب يطلق الإشارة، و"الجماعة" تنفذ.. وسطّر مُحرروها؛ بعد ساعات من إعلان الرئيس الأمريكي "أوباما" إلغاء مناورة النجم الساطع مع الجيش المصري. ودعوة بريطانيا لمجلس الأمن للاجتماع لمناقشة ما أسموه العنف في مصر، أسقط تنظيم الإخوان ورقة التوت الأخيرة، وكشف عوراته الإرهابية، ونفذ تهديداته بتحويل الجمعة إلى يوم للقتل والإرهاب على نطاق واسع في شوارع القاهرة والجيزة أمس.. أطلقوا رصاص الأسلحة الآلية من أعلى كوبري ١٥ مايو تجاه شرفات المساكن والأمن، فيما ردت القوات بغلق الكوبري. وقتل أربعة وإصابة عدد كبير في مواجهات الإخوان مع قوات الأمن في ميدان رمسيس عقب محاولاتهم اقتحام قسم شرطة الأزبكية؛ والاشتباك مع اللجان الشعبية بالمنطقة. واشتبك الإخوان بالأسلحة مع أهالي السيدة عائشة بعد هتاف "يسقط حكم العسكر" أثناء تشييع جنازة قتلى "رابعة" وحطموا محطة وقود حديقة الفسطاط . وفي عين شمس الغربية.. شاهد عيان: مسيرة للإخوان انطلقت عقب الصلاة يتقدمها السيدات وفي نهايتها ثلاث سيارات نصف نقل هبط منها مسلحون يحملون بنادق آلية بدءوا إطلاق النار عشوائياً، ما نتج عنه

مقتل طفل وإصابات كثيرة. وحاول الإخوان احتلال ميدان الألف مسكن، فيما أغلق الجيش شارع جسر السويس بالأسلاك الشائكة، ونشر ست دبابات. وفي الدقي اشتبكت مسيرة للجماعة مع الأهالي. وفي شبرا اشتبك الإخوان مع اللجان الشعبية عند كوبري عرابي بالحجارة، بينما نجح أهالي الخلفاوي في طرد مظاهرة للأخوات أمام مسجد الفتح بعد توزيعهنَّ منشورات تحرض على الجيش. وفي القاهرة الجديدة اقتحم ملثمون كميناً خلف بوابة " ميراج " وأطلقوا وابلاً من الرصاص بالبنادق الآلية أسفر عن استشهاد مجند وإصابة ضابط واثنين آخرين. وفي الجيزة أطلقت الشرطة القنابل المسيلة للدموع أمام قسم الطالبية لتفريق المتظاهرين، وسُمِعَ دوي الرّصاص من الشوارع الجانبية ما أسفر عن إصابة خمسة بالخرطوش، بينما شكل الأهالي لجاناً شعبية لتأمين ميدان الجيزة ومُجَمَّع المصالح الحكومية والمحكمة. وهاجمت ٣ سيارات مسلحة قسم شرطة أول أكتوبر، ونجحت قوات الأمن في التصدي لهم وقتلت واحداً، فيما لاذ الباقون بالفرار. وتكثف أجهزة أمن الجيزة جهودها للقبض على مجهولين هاجموا جراج قسم العُمْرانية واستولوا على ١٥ سيارة و ١٥٠ دراجة بخارية. وشَهِدَتْ منطقة الملك الصالح تبادلاً كثيفاً لإطلاق النار بين ملثمين مشاركين بمسيرة إخوانية والأهالي وأصحاب المحال التجارية. وهاجم قرابة ٣ آلاف إخواني بينهم مسلحون محكمة الجيزة وحاولوا اقتحامها، وتصدت لهم قوات الأمن المركزي والعمليات الخاصة.. وأنهت " الوطن صفحتها الأولى في وصف أحداث الأمس.. سلمية الإخوان؛ سحل وقتل سائق تاكسي اعترض على قطع كورنيش الإسكندرية..

وتداول أهالي الإسكندرية على موقع التواصل الاجتماعي" فيس بوك " مقطع فيديو واقعة هجوم العشرات على السائق أثناء مروره بطريق الكورنيش وإخراجهم له من السيارة بالقوة قبل أن يطعنوه ويسحلوه أمام أعين المارة. واقشعر جلد مجاهد وهو يشاهد الفيديو. وأخذ مقدم البرنامج محمود سعد يضرب

كفاً لكف: لا حول ولا قوة إلا بالله. هذه جماعة فقدت عقلها. هؤلاء هم التتار الجدد. وجعل مجاهد يأسى للقتيل: ما هذه البلادة ؟! الناس تتفرج !؟ قاتلكم الله جميعاً ؟. ساكنين لا يتحركون للدفاع عن السائق أو محاولة إنقاذه.. ونفى شاهد عيان ما زعمه الإخوان: سائق التاكسي لم يحاول دهس أحد، كان يهرب من المسيرة، وأثناء مروره من وسطها كغيره من السيارات أبدى اعتراضه وغضبه على مظاهرات الإخوان المسلمين وقطع الطريق. فعقب مجاهد على قولة؛ المسلمين، وقال يصف الشاهد: يا غبي، المسلم من سلم الناس من لسانه ويده؟ فهل أعطى هؤلاء حق الطريق ؟. وقال الشاهد: سَمِعَ أعضاء المسيرة ما قاله سائق التاكسي أثناء مروره ببطء، فوقفوا أمامه، وظلت الشتائم تَنْهالُ عليه من كل جانب وهو يحاول الفرار منهم، فهجم عليه أكثر من خمسين شخصاً يحاولون إخراجه من السيارة. شيء رهيب، اقشعر منه جلد مجاهد وهم يتنازعون السائق بينهم كالذئاب، والشاب يحاول التَمَلُّصَ. وبعد عدة محاولات، أخرجوه، وانهالوا عليه قتلاً، وكسروا السيارة، ولم يحاول أحدٌ منعهم. اعتدوا عليه بكافة الأسلحة. وتركوه ملقى على الأرض والدماءُ تسيل منه من كل جانب. لم يتركوه إلا بعد أن تأكدوا أنه لفظ نفسه الأخير. وظلوا يرددون أمام المواطنين الذين هبوا لإنقاذه: كان عاوز يقتلنا ؟. فتعقب مجاهد المنقذين في غيظ شديد، والدموع تسيل من عينيه:

- بعد ماذا يا أولاد الكلب؛ بعدما خلَّيتم بينهم وبينه ليقتلوه؟.. واختتم الشاهد: ظل ملقى على الأرض لمدة ساعة بعدما منع الإخوان سيارة الإسعاف من المرور لإنقاذه..

كانت مصر تموج بالأحداثٍ محمومة؛ كـ فُلْك عظيم مشحون جاءتها ريح عاصف، وجاءها الموج من كل مكان، ومجاهد يدعو في سجوده: اللهم أعد على مِصْرَ الأمن والأمان، ونجنا من مضلات الفتن ؟.. مساء أمس الأول؛ الجمعة،

لتطور الأحداث، إذ تحول ميدان رمسيس إلى سكنه عسكرية محاطة بعربات الشرطة والمدرعات. وهزت طلقات الرصاص أرجاء المكان، واستمرت عمليات الكر والفر ؟.. بدأت الاشتباكات بين عناصر ميلشيات ملثمة أطلقت النار تجاه قسم الأزبكية من أعلى كوبري ٦ أكتوبر. فتصدت لهم قوات الجيش، وقوة من قسم الأزبكية من خلال اعتلاء أسطح العمارات المجاورة لمسجد الفتح وسطح القسم. فاستشهد أمين شرطة، وأصيب اللواء مأمور القسم وعقيد برش خرطوش بالوجه، وفردي شرطة ؟.. وبعد معركة، تمكنت الأجهزة الأمنية، وقوات من الجيش إحكام السيطرة على محيط القسم، ومنع اقتحام الإخوان له..

ثمّ تابع مجاهد أمس السبت العشرات من المواطنين يقفون أمام مسجد الفتح لمنع دخول أو خروج أحد من المسجد الذي يختبئ بداخله المئات من الإخوان منذ أمس الأول الجمعة. فوصلت أربع مصفحات تابعة للعمليات الخاصة بعد أن اعتلى عدد من المختبئين مئذنة المسجد وأطلقوا أعيرة تجاه المحتشدين، فسقط مصابون، وحيل دون إقامة آذان الظهر. وَرَدَّت قوات الجيش بإطلاق أعيرة نارية في الهواء حتى أجبرت من اعتلى المئذنة من الميلشيات على التوقف، بعد ثلاثين دقيقة من تبادل إطلاق النار، ما دفع المواطنين إلى المكث خارج المسجد ينتظرون قيام الشرطة بالقبض عليهم لوضع حد لهذا الإرهاب، وسط هتافات الذين يرفضون وجود الإخوان داخل المسجد، واتخاذه حصناً..؟!

وناشدت القوات المختبئين الخروج الآمن، وطلبت من أهالي المنطقة الذين تسللوا إلى ساحة المسجد ليفتكوا بالإخوان، مغادرة الساحة وعدم اقتحام المسجد، وفرضت كردوناً أمنياً حول الدور الأول حتى خروج المحتجزين، ومنِعَت الأهالي الذين حاصروا المسجد من دخوله للفتك بهم ؟. فعثرت القوات على جثة لأحد المتوفين في أحداث أمس الأول، بعد أن لعب قيادي إخواني داخل المسجد دوراً

تحريضاً، مؤكداً للمعتصمين أنها عملية خداع لإلقاء القبض عليهم، وطالبهم بعدم الاستجابة لنداء الجيش للخروج، ورفض لساعات طويلة الإفراج عن الجثث على الرغم من انقطاع التيار الكهربائي، وتعطل تشغيل المراوح. فأصر عدد من المحتجزين على إخراجها كي لا تتعفن.. وأخيراً؛ نجح رجال الجيش والشرطة في إخراج المعتصمين، بينهم الصحفية التي كانت تنقل الأحداث لقناة الجزيرة من داخل المسجد بطريقة مقلوبة، تحرض ضد الجيش والشرطة، ووضع فريق القناة الموالية للجماعة بعد محاولة الأهالي الفتك بهم احتجاجاً على سياسة تلك القناة، وُضِعُوا داخل إحدى المدرعات. وصاح إمام المسجد: طالبت من وزير الأوقاف التحرك لإنقاذ المسجد، وإنقاذ العالقين من العاملين، وأن المختبئين منعوا دخول وخروج المواطنين، وأغلقوا الباب من الداخل حتى لا يتعرض لهم الأهالي، وأن المسجد استقبل عدداً من المصابين، تم نقلهم إلى المستشفى، بينما تمكن عدد من قيادات الجماعة من الهرب من داخل المسجد..!؟

وفي القرية كان قد دخل في النفر المشاقق لمجاهد " الجزّار"، ورغم كون بيته على الطريق، من الناحية المقابلة لإسكان مبارك، قريب من المسجد، إلا أنه لم يكن يرده، قط، إلا لصلاة العيدين، لخصومة قديمة بينه وبين أهل القرية. استولى على مساحة أكبر من المقام عليها " إحدى عمارتي إسكان مبارك، فأقام على نصفها البيت، وكانت أرضاً لهيئة الأوقاف المصرية، وكانت تُزرع، فسامت فيها الطير والدواب فجزرت، فأقام عليها بعض الأهالي مربطاً لدوابهم، وموضعاً لتخزين السِّباخ. أما الناحية البعيدة عن الدور، فاتخذها الشباب ملعباً للكرة. وذات يوم هبط إليها الجزار وصبيانه وبعض مستخدمي هيئة الأوقاف لِمعاونته في وضع عليها يده عليها بزعم أنه اشتراها من الهيئة. فوقف له واضعو اليد على الأرض قبله، وقامت بينهم معارك عنيفة شهدها مجاهد، ظهر فيها الجزار بالسكاكين الكبيرة والسواطير على متخذتي الأرض مربطا لدوابهم، وموضعاً

لتخزين سبختها، وكان جسيماً، وأجر مسجلين خطراً، فانتهى الأمر باستيلائه على القطعة، وكان له قريبٌ يعمل بهيئة الأوقاف، وبذر أموالاً كثيراً، ورتب شهرية من اللحم الجيد لكبار الموظفين، فأغمضوا أعينهم وتركوه، حتى أقام على شطرها المواجه للطريق بيتاً. ولعظم رقعتها بقى الشطر الخلفي، حتى تاريخه، مُلحقاً للبيت مسوراً عليه. ومنذ ذلك الحين، اعتبره ناس القرية غريباً غير مرغوب فيه، ولم يقم بينه وبين عموم الناس صله. فكان يرد المسجد، فقط، إبَّان العيدين، لعله يقيم جسوراً للمودة. واستطاعت هيئة الأوقاف بجسارة أن تقف للقرية قليلة الحيلة، وتبسط يدها على باقي الأرض، وقامت في العشر سنوات الأخيرة لحكم مبارك، بتأجيرها لشخص مماثل للجزار في الرشا، كـ أرض فضاء، للشركة على الورق للاتجار في الرمل والزلط.. ثُمّ تقَادَمَ الزمان، وأهل مصر ينسون، وجرى للجزار من البعض التعامل. وكان مجاهد هو من توسط له لإمداد خط الصرف الصحي للبيت ليصب في صرف القرية. ولمّا كَبُرَ سنه وتقاعد جعل يفد إلى المسجدً. فاصطدم بمجاهد، وكان يمقت المستكبرين، فلم يعطه شأنا، فسار الجزار إلى النفر المشاقق، ودخل حزبهم. إذ مُقامُه في مؤخرة المسجد مع سائق النقل الذي بالمعاش، قرين أبي سريع؛ ونَفَرٍ يصلون قعوداً، لا يهون للسجود، بينهما وبين الإمام بَوْنٌ شاسع. ورأي مجاهد أن صلاتهم مشكوك في صحتها؛ فليس الفاصل الشاسع هذا بينهم وبين الإمام مستساغا، وأن أحدهم يسير إلى السوق، ويأتي إلى المسجد على قدميه، ليجلس على الكنبة دون أن يكلف نفسه الوقوف بين يدي الله أو أن يهوي للسجود وقد قال تعالى.. وقوموا لله قانتين.. ونَوّه إمام المسجد للأمر غيْر مرةٍ، لكنّه الاستكبار، والجهل، والسعي في الشقاق هو ما منعهم التَّحري؟. وكان مجاهد إذا قام للدرس عقب صلاة العشاء يوم الأحد هرولوا خارجين؛ كـ.حمرٌ مستنفرة، فرت من قسورة.. فحزن للمشهد وتركهم لشأنهم.. وكانوا إذا كانوا في الصلاة، شرعوا يلاحظون كل وافد كأنهم حُرَّاسُ دَرَكٍ..؟!.. والأيام

دول؛ فذات فجرٍ أقبل مجاهد، فإذا بأبي سريع قد عاد ليجلس تلقاء القِبْلَةِ، وكان المؤذن قد شرع في الإقامة، وتلَفَّت " أبو سريع " فلم يجده. فاطْمأن أن لن يبادره أحدٌ إلى القبلة، فتمنَّعَ حتى يُصيح عليه أحدُهم ليؤم، كأنه الراغب عنها !. فقرأ مجاهد المشهد، إذ كان يطأ باب المسجد. وأبصر بالجزار وسائق النقل جالسين في مؤخرة المسجد للمؤازرة. فَغذَّ الخطى. وفجأة وجده " أبو سريع " تلقاء وجهه في القبلة، فنهض متثاقلاً إلى الصف وصلى مأموماً. وَفُرِغَ من الصلاة، وقام ينصرف. وكان قد استبق للخروج النفر الذي لا يمكث للأذكار التي بعد الصلاة، فجعل يتفقد لإخوانه، ويشاهد الجميع، فوجد الكل وافى الجماعة من التؤدة التي تكون منه في الصلاة. وشاهد البعض الذي يأتي متأخراً قد أدرك ركعة، والبعض قد أدرك معه كلتا الركعتين. فاطمأنت نفسه لما وقع منه في حق أبي سريع لِما يَعْجَل، ويسْرقُ في الصلاة، ويُلحّنُ في القراءة، ويُطَرِّب. وإذ هو كذلك لمح الجزار يطلبه، وكان لا يزال قاعداً في مؤخرة المسجد إلى جوار سائق النقل. فمشى إليه وهو يُقدّر مُراده. ولم يطق سائق النقل البقاء، ونهض ليلحق بـ" قرينه " ليوبخه على التباطؤ حتى سبقه هو إلى القبلة ؟. وفي أدب، وهو يعلم أنه مُنتقدٌ، قعد إلى جوار الرجلَ ليَسْتَمِعَ إليه. قال: لقد شاهدت ما فعلت، وأنت رجل مُلتحي، وما ينبغي أن تَفعل ما فعلت؟. فـ الرجل سبقك، وجاء وجلس، وأنت جئت تَواً، فسبقته إلى القبلة؟. فهمَّ يبين له أن الإمامة ليست لمن سبق،. فلم يسمع الرجل، بل ظل يلومه، ويؤكد:

- ما ينبغي أن يحدث هذا من رجل ملتحي ؟ لم تعد هذه صلاة !؟ أنت تحدث المشاكل في المسجد ؟. قال:
- بل أنت تراه يهرول طوال الوقت إلى القبلة، فلم تغضب فتنهاه! وعندما جازيته بفعله مرةً، لم تطق ذلك ؟. فنهض، وخَلَّفَهُ يتحدث ومشي يسترسل: ما ينبغي لرجل ذي لحيه مثلك أن يفعل ما فعلت ؟. وقال : أنت تُنَتِّع في

القراءة؟. فاعترضه لدى الباب شاب غريب؛ فبادره يقصُّ عليه: الرجل جاء فجلس قبله، وهو أكبر منه سناً، وأقبل هو تواً فسبقه إلى القبلة ؟. فقال الشاب

- ليست الإمامة لمن سبق، ولا للأكبر سناً؟.فأعاد مقولته المشينة:
- هو يُنَتِّع في القراءة ؟. فقال الشاب:
- أنا أمُرّ فأصلي بهذا المسجد، وأسمعه يقرأ، وقراءته صحيحة. فتغافل حديث الشاب، خرج من المسجد يسترسل في التساؤل، وكان لمح مجاهد في إثره وهو يخرج:
- وهل أنت أعلم أهل هذه القرية ؟. قال:
- نعم. ورأى ألا يتواضع له. فتمادى الجزار في غَيّه، قال:
- لسنا تائهين؛ فكلنا يعرف بعضنا بعضاً!. عند هذا الحد لم يطق صبرا، فناداه:
- انتظر؟ ؟. وسعى في طلبه، قال:
- ما تَحفِظُ عني فانشره ؟؟. وكان الناس قد ولوا، بقى الشباب حديثي السن يستحيون منه لكبر سنه. وأنشأ البعض يسترضونه:
- خلاص، يا عم الحاج؟!. توكل على الله ؟. فاسترسل:
- نحن لا نرغب في إمامتك ؟. وآلمه جداً مقاله؛ أنت تنتع في القراءة؛ كأنه آلة ضعيفة لا تستطيع أن تقوم لما في جوفها، فقال يصفه في شجاعة:
- أنت جزَّاار. .
- نعم، أنا جزار، وأفخر بأني جزارٌ. وفهم أنَّه يعيب المهنة. وهمَّ أن يتوقف. فأخذه الشاب الغريب، وتلطف ليُفْهِمُه، يوجهه نحو بيته:
- هو لا يعيب المهنة، بل يقصد أنك لم تدرس للقراءة، ولا تستطيع الحكم عليه ؟. فاستغلق، فأجاب:
- وأنت شيوعي ؟. فغضب الشاب:

- يا عم الحــاجِّ اتقـِ الله ؟. يدرأ عنـه التهمـة التـي تنـزع عنـه الإيمـان وتصفه بالإلحاد. وبينما الشاب يمضـى بالشخص نحو بيتـه، وكـان هو قد ذهب عنـه الغضب، فنظـر لأحد إخوانـه فابتسم. وضحك الأخ من شدة المفارقـة!. فَكَّر فأشفق للرجل، فقال في نفسه: أي خفة أخذ بهذا حتى يرمـي من همُّـه كلـه فـي الله، يُحبُّ القران، أن يكون ملحداً ؟!. ورجع فلام نفسه لتسرعه فـي وصـف الرجل، وعيبُ فَهْمَه، ونعته بالجــزار. أمّا قولـه؛ أنت شيوعي، فيَصعب أن يصدقها الناس فيه. ولمّا علم أن مدام أمنية قامت بتسوية معاشها مُبكراً، أنبأت الخبر الزّميلة بالإدارة، الأكبر سناً، وكانت لا تزال على اتصـال بهـا هاتفياً، فتلقـى الخبـر فـي صـمت، دون مشـاركة، كـأن الأمـرٌ عاديـاً أن تسـوي زميلـة معاشها مبكراً لتلزم بيتها، وأن أمراً ذلك لا يهمه. وكان صلاة الظهر وشيكة، فاستأذن لتجديد وضوؤه، ليخلـو إلـى نفسـه. مشـي إلـى المسجد وهو يشعر أن روحه تتلاشى، ونزل به حزن شديد، ورغبة إلى البكاء، أن لم يعد هنـاك أمل في رؤيتها حتى آخر الأجل..؟!.

ولمَّا نمى إلى علمه أن وكيل الوزارة؛ معروف بالشقة المقابلـة، المخـازن، يسعى في سلطانه، تثاقل عن لقائه، كعهده، إلا أن يُسْتدعى، وقال للزملاء: لِيُبْقِ كل على ما في يده. قد أقبل فـي عملـه، ولا ينبغي لأحدٍ أن يغير من عاداتـه، طالمـا أنـه لا يستحْي منها. وتابع يقرأ من ورده، وكان الوقت صباحا، يتتبعه البعض، وآخرون يعملون. وهرول له المسْتَرْهبون. ولما أقبل فنظر في الحجرة المجاورة التـي هـي إحدى حجرتـي إدارة الاستخدام الخـارجي، ولـم يعـرج عليـه، ظـل جالسـاً، لأنـه تجاهله. ثم ظَنَّ أنـه قد راح. وفجأة رأى من عرش بذراعيه بـاب الحجرة وقـال يوبخه:

- أَلَمْ تعلم أن رئيسك هنا، فتقوم فتقف؟. فأسدل عينيه ليخفـي غضبه، ولا إرادياً قام. ولمّا فكَّر هنيهة الغضب يشمله، عاد فجلس في صت. وتحدث الجميع عن

انعدام الذوق!!. وحمدوا له، أنَّه لم يَردْ. وعجبوا لصبره. وكان وكيل الوزارة قد انصرف، لما رأى إلى صمت الجميع وإنكارهم، فترك الباب، وانقلب إلى الصالة، وتلَبثَ في مرافقيه يتحدث، ويصدر الأوامر، ثم رفع صوته يسأل عنه:

- .. أين الشيخ فلان؟. فقام إليه. فأقْبَل عليه وكيل الوزارة بعناية يحدثه، ويريه ملاحظاته، وظل هو حزيناً، مضطراً إلى إيمائه من رأسه يصدق على الملاحظات أو يردد ونفسه غائبة:
- نعم. نعم.. وبشرة وكيل الوزارة:
- المكان الذي أحدثك عنه خمس نجوم؛ يليق بهذه الإدارة ؟. فأعرب في لين؛ أن البعض لا يرغب في الذهاب معه؟. فانقلب صارماً:
- من لا يرغب في الذهاب معك آتيك بدلاً منه؟ فقط يقدم طلباً، يحدد فيه المكان الذي يرغب النُّقْلَةُ إليه فأنقله إليه. فنهضت الزميلة الأكبر سناً. وفي شجاعة جعلت تثنيه عن قراره:
- يا أستاذ فلان، إن أحداً لم يَشْتَكِ هذا المكان. بل هو الأنسب لطبيعة عمل هذه الإدارة ؟. وأعربت بقوة؛ وهو ينظر إليها ولا يجيب؛ المكان الذي تريد نقلنا إليه، سيادتك، ناءٍ، ولا تجري عليه المواصلات، والمشوار شاق علينا، فكلنا أصحاب أعذار كما ترى، سيادتك. وكانت تقوم في مشقة مائلة الجذع: أنا عاملة عملية الغضروف، والأخت سُمية تشتكي القلب، وكانتا ممن يطلبن البقاء، ولا يرغبنَّ النقل. واستشعرت حميتها، فتَلَطَفَتْ:
- نحن مجموعة متآلفة متفاهمة نحب عمل هذه الإدارة. فاستوقفها في قطع:
- يا أستاذة، قَدمِي طلباً، وحددي أقرب إدارة، من إدارات المديرية أنقلك إليها. فردت:

- نحن لن نترك العمل مع الشيخ فلان؟. فامتن لكلامها، وغسل بعض همه، غير أنه أخذته الشفقة، خشية أن يزجرها هذا، وقد جعلت تناقشه محْتَدَّة، وكان قلبه كل هنيهة يرجف لأجلها، يرجوها لو توقفت، كي مر الأمر بسلام ؟.. فلما خلا بمعروف، قال يستعتبه:
- الزملاء والزميلات غاضبون ؟.
- مِمَّ ؟!.
- من عبارة؛ ألَمْ تعلم أن رئيسك هنا فتقوم فتقف؟. فأسرع يدعي الغضب:
- لا تذكرني ؟ أنا أحاول النسيان. من له حق في الغضب هو أنا، ولولا أنك الشيخ فلان، لكان لي تَصرفٌ آخر. وأعرب، أنه لا يجد انتقاصاً لكرامته أن يقوم لرئيسه. ؟.قال:
- سيادتك لم تأت للحجرة التي كنتُ فيها؟ ولو أتيت لنهضت، وطلبتك أن تجلس إلى مكتبي، لكنك مررت تفتش ؟. فأسرع في عزته:
- أنا لا أجيء لأفتش، التفتيش له ناسُهُ!!. ورجع فانْبَسَطَ معه: وهل أنا لو سمعت أن معالي الوزيرة قدمت الديوان، أظل قاعداً حتى تأتي لمكتبي ؟. ذا أنا بمجرد أن ينمو إليَّ قدومها سأنهض فوراً في استقبالها، وقيامي لن ينتقص من كرامتي. لا تذكرني؟ فأعود فأغضب وأكد: يجب أن تكون في هوى رئيسك ؟. فأجابه في نفسه: لا فائدة من هذا، وقد نصحت له ؟، وقال:
- بل القانون بيننا نلزمه ؟. فرفض إمضاء مكاتبة عرضها عليه، وتساءل ليهينه:
- قيل إنك تفهم في إلحاق العملة، فلم أر. فأراد أن يبين له، فقاطعه:
- لا تستخرج لي ما أحفظه عن ظهر قلب، خُذْ، خُذ؟. ولَملَمْ المكاتبات بعضها في بعض، وأزاحها عن أمامه. فغضب:

- .. بهذه الطريقة؟ لن يصلح أن يتعامل بعضنا مع بعض ؟. وجعل يساوي بين الأوراق المختلفة، لينصرف. قال:
- إذاً، انتظر بالخارج حتى نهاية اليوم، لنرى كيف يتعامل بعضنا مع بعض. أن تحدث وكيل وزارة..

فنزل من المديرية، ولم يأبه له، فأعاد كتابة المكاتبة التي جار على محتواها قلم وكيل الوزارة الأحمر، فاستنسخها؛ بالضبط كما كانت، وقال للزملاء:

- لو اجتمع هذا وأفراد مديريته جميعاً ما استطاعوا صِياغة كهذه، لكنه يعتقد أنه لا يفهم في الكون إلا هو.. كان قد قام بحملة مشتركة على مقر إحدى شركات إلحاق العمالة، فوجد المقر يعج بالمرضى. فكتب إلى الوزارة.. مقر شركة كذا..لم يعد كائناً؛ حيث تنازلت عنه الشركة لصاحب العقار؛ الذي قام بدوره بتأجيره لمستأجر جديد؛ الدكتور فلان، كمركز للتحاليل الطبية. برجى؛ التكرم بعرض الأمر على معالي الوزيرة، لمخالفة المادة ٢٣ فقرة (أ) قانون العمل ١٢ لسنة ٢٠٠٣ والتي تقضي بإلغاء الترخيص؛ ويقتضي الشأن العرض على معالي الوزيرة.. فأراد وكيل الوزارة أن يزيد: وأن الشركة خالفت أمراً جوهرياً من القرار الوزاري ١٣٥ لسنة ٢٠٠٣ بأنها تزاول النشاط في غير المقر الذي حصل الترخيص عليه. وكانت الشركة هذه من الشركات لم تحصل من السفارة السعودية على "الباص وورد" بسبب أن كثرة التراخيص للشركات العاملة في هذا المجال- فاقت الطاقة القصوى للسفارة. فلم تمنح السفارة أكثر من خمسمائة شركة جديدة حق الدخول على موقعها الالكتروني لاستخراج تأشيرات للمواطنين للدخول للعمل لدولة السعودية، فظلت هذه الشركة ضمن تلك الشركات كالبيت الوقف؛ لسنوات تتكبد إيجار مقارها، ومرتب موظفيها ولا تُحصل مليماً، تنتظر حل المشكلة من وزارة

القوى العاملة، فهي من منحتهم الترخيص. وابتسم معروف للمكاتبة التي أعيدت صياغتها بالصيغة ذاتها، فاعتمدها، وكان مزاجه رائقاً، وعقب:

- ما لك حل؛ أنت عنيد. فبادله الابتسامة، وكان قد هيأ نفسه لمجادلة هادئة:

- سيادتك، هذه الشركة لا تعمل لعدم حصولها على "الباص وورد" ولولا الحَتْمُ، ما عرضت لشأنها. لقد نصحت لهم: إن كنتم جئتم للدخول في هذا النشاط لمجرد التقليد والربح المريح، لمجرد معرفتكم لبعض أصحاب أعمال بدولة السعودية، فلا أنصح لكم بهذا النشاط لأن الطريق مغلق منذ أكثر من ثلاث سنوات بسبب مشكلة "الباص وورود". وإن كان تواجدكم في الدول العربية والأجنبية فأنصح بالدخول فيه ؟. فكانت الإجابة الحاضرة: أطلعنا على شروط الحصول على الترخيص؟. لعل المشكلة تُحَلَّ؟. فذكرت لهم: أن الوزارة، تمنح التراخيص فقط، ولا يعنيها حل، طالما أنكم تتقدمون إليها بطلب الترخيص لمجرد أن لديكم نقود ؟. وقال: سيادتك، أنا لم أشاهد قيام الشركة بمزاولة النشاط في غير المقر الذي حصل الترخيص عليه، ولم يتقدم إلينا أحدٌ بشكوى نستدل منها على ذلك؟. يكفينا أن المقر لم يعد كائناً لإلغاء الترخيص ؟..

وعاد أخوه الذي يُلِحُّ في التضرر من وَضْعِ الحضانة، ويطلب إلغائها أو البحث عن مقر جديد خارج البيت الشرك الذي يملكانه ويقيمان فيه معاً؛ فضاق به صدره:

- الحضانة لن تتوقف. وكان قد غادر المسجد، فخرج يسعى في أثره، فلحق به. وجعل يُحَدِّثُه في شحناء كغريم سوء، وظل هو يعتصم بالبصير، لا يريد أن يهينه. وتلقى منه حديثه الخشن، وسكت فلم يجبه.. ويوماً- على عادته المستعجلة- وَضَعَ الخمسة والسبعين جنيهاً، نصيب أخيه من إيجار شقة الحضانة في جيبه، وكان أخوه لم يزل يقضي ما فته، فوضع النقود في جيبه، وخرج ولم ينتظر ريثما يفرغ من الصلاة فيعطيها له مناولة، وهذا جائز، فقد كان صلى الله عليه وسلم؛ يجيب

أصحابه وهو في الصلاة، فيومئ لهم. ففوجِئ، بعدها، أثناء جلوسه للأذكار التي تكون بعد الصلاة بأخيه يعيد إليه النقود. فأخذها غاضباً وعزم ألا يعيد عرضها عليه. فهو لم يسرقه، بل يعامله بالفضل، لأنه تعالى: قال وآت ذا القربى حقه. ويعتبر أبناءه أبناء له. ورفض أن يأخذ مقابل لسكنى ولدي أخيه لحجرتين بمنافعهما في الدور الرابع، والانتفاع بالسطح. و عن طيب خاطر رضي، أن يقتسم وأخوه إيجار الدور الأول؛ شقة الحضانة، بعد أن يخْصِمَ مائة جنيها؛ إيجار سَكَنِ الوالدة، إذ تقيم في بيت البنات، في حجرة وصالة ومطبخ وحمام، تكفل هو وأخوه إيجارها عن والدة. وعرض ردَّ النقود على الوالدة، فقالت في حَسْمٍ غير معهود عنها:

- سأتصدق بها ؟ هذه الشقة شقتي. والبيت كله أنا من نقلته طُوبَة، طُوبةً طوبة فوق رأسي، فأين كان هؤلاء ؟. إن كان لا يعجبهم استمرار الحضانة، فليبحثوا لهم عن مَطَرح ؟.. فأقام عاما يعطيها المبلغ، وأثناها عن موضوع التصدق به، فدخلت به في جمعيه. وقال لها: حتى إذا عاد يسأل عن حقه أُعْطيه إياه ؟. وعاد أخوه لفتح الموضوع، وعاد هو لنفس الإجابة، فردّ أخوه في جفاء كعدُوٍّ:
- هيّ عافية؟. فاشتد غضبه على أخيه لنبرة الجحود ولغة التشاجر. وكان قد جاز الشارع جميعه، وأخوه يلاحقه، يتحدث حتى بلغ به الدكان؛ الجزء الأمامي لشقة الوالدة، واجهة الدور الأرضي لبيت البنات. فمضى به إلى جانب، مبتعداً عن باب الدكان، وتوقف ونظر في وجه أخيه في شدة غضب، فخفض أخوه بصره، بعدما قال بالعبارة التي قال. فأمره وهو في غاية الأسى:
- انصرف كي لا أُهينك ؟؟. وتابع سيره؛ فتابع أخوه سيره إلى جواره، حتى صعد سُلَمَ البيت، وبلغ باب الشقة، وأخوه في تلابيبه، كأنها نهاية الدنيا، فتوقف. فتابع أخوه يستميت:

- الموضوع هذا لازم له من حل ؟.
- قلت لك انصرف. وأدار المفتاح في الباب ودخل، وكان أخوه لا يزال يقف، فأعاد عليه:
- انصرف عَنِّي، الله يهديك؟. وأغلق الباب دونه، وما كان يفعلها أبداً حتى في حق ألدِّ أعدائه، لكنّه لم يجد له طاقة. وأغلق الباب دون أن يدعوه للدخول؛ فعلها جد وهو حزيناً

وأحيط به؛ فكأن المصائب يتلاحق بعضها آخذٌ بذيل بعض، وآسى للتنازِعُ الذي دبَّ في كل شيء، فيوماً في صلاة الفجر، لم يسبق إلى المسجد إلا هو، وثلاثة من الحزب المشاقق؛ أبو سريع الجالس المصندل تلقاء القبلة، والذي في قلبه مرض الجالس لمُآزره. وعن يمينه مُمَدَدُ الساقين معاون سائق المكروباص الذي يصيح: جديلة؟. وتقدم المؤذن ليشرع في الإقامة، فعزم أن يُرِيهم أن جلوسهم كذلك للتعاون على الإثم والعدوان لن ينفعهن. فاجِأهم بالوقوف تلقاء وجوههم في القبلة. فنهض الذي في قبله مرض فوقف إلى جواره، فدُهِشَ:

- وهل أنت مَنْ تصل بالناس؟!. فلم ينظر إليه ولا إلى من يؤمهم، ومكث في القبلة ظهره للمصلين، كحمار أُسْلِكَ في عربة، ليس له أن ينظر إلى حمله الذي سينقض ظهره!. فنظر في الوجوه، وكان لم حضر للصلاة حتى اللحظة غيره، والثلاثة هؤلاء، وشيْخ كبيرٌ، ضعيف البصر، ليس له من الأمر شيء، ثُمَّ هو صهر معاون السائق، لا يرتجى له نصرة، ومدرس الصنايع.. أخٌ لَقِيَه يوماً وجهاً لوجهٍ، في الثامنة والنصف صباحاً، وكان يهرول إلى عمله متأخراً، لم يأخذ السيارة، فتوقف على عَجَلٍ حفياً بالأخ، لِمَا يجده من حرصه على شهود الجماعة، فسأله عن سر هذه الرجوع المبكر من العمل. وتعرف عليه. مدرس فني صنايع، سنتان بعد الدُّبلوم، عائد ليعمل على تاكسي، يرتب شأنه مع الإدارة، بتناوب الخروج المبكر جداً من المدرسة مع زميلٍ له،

فَبُهت!. ولام نفسه على الحفاوة، لِمَا أخبر به الأخ، وقد تحدث عن أريحية كاملة، وراحة ضمير!. وعلم بسِرِّ شهود الأخ جماعة المسجد؛ الفجر دائماً، والظهر أحيانا إذا اقترب بالسيارة نحواً من هنا، والعصر دائماً، حيث رجوعه للغداء، وصلاة المغرب أحياناً أو العِشاء إذ يجعلهما نهاية سعيه، ومستقراً له. فذهب عنه كل إعجاب به! وعلم منه كذلك لِمَ يفتقده يوم الجمعة، وأيام الصيف؟. فهو نازح من الريف، نزيل إحدى عمارتي الإسكان الشعبي لمباركُ، يؤب بزوجته وبناته الثلاث الصغار لزيارة والديه في قريتهم وقضاء الأجازة الدراسية هناك. ففكر هُنَيْهةً، وقال يحرضه ويحرضهم:

- إن كان هؤلاء يريدون أن تصل لهم؛ فصل لهم ؟. فَخَرِسَ الجميع. فترك القبلة وتأخر، وهو على مثل اليقين أن أحداً لن يرْضَاه أمامًا، فهو ليس إلا أميِّاً. وكان أبو سريع قد حَرَنَ، لأنه سَبِقَه إلى القبلة، فظل جالساً. فظنه سيستحْيي أن يشارك في الأمر، ولن يدخل القبلة بعد الذي حدث. ولمَّا عاد ينظر وراءه، وكان قد خطا خُطُوات خلف الصف، رأى أبا السريع يقف في القبلة. حَثه الذي في قلبه مرض وأمره؛ أن قم ا؟. فرجع مجاهد إلى الصف، ونظر إليه في اشمئزاز بالغ وقال يؤذيه:
- أنت مريــض ؟. فظل واقفاً في القبلة بلا حراك كصنم، ينظر إلى لا شيء. وتحدث مُنْتَصراً الذي في قلبه مرض:
- ولِمَ أنت فقط من يُصل للناس؟ أُصَلِّ أنا كما أنت تصل. فتوجّه على الفور بالخطاب إليه، باشمئزاز بالغ:
- أنت رجل مريــض ؟!. فغمغم معاون السائق بشيء يُؤازره، وكان يقف يمينه فلاحقه مجاهد ناعتاً:
- وأنت مريــض؟. فتضاحك للخبر:
- كلنا مرضى.؟. قال:

- لا. أنت مريض، وهذا مريض، والتفت إلى أبي سريع الذي يقف في القبلة جامداً ينتظر اصطفاف الصف، وهذا مريــض؛ ثلاثتكم مرضــى؟. فرجع معاون السائق يتضاحك:
- هيئ! هيئ! كلنا مرضى، كلنا مرضى!. فرجع يؤكد له:
- ثلاثتكم مرضى ؟؟. فرجع معاون السائق يردد: كلنا مرض؟ كلنا مرضى؟.. وعقب التَّسليم نشب كلام يسير، وقام مجاهد ينصرف وهو ينعتهم بذات الوصف. فتقدم مدرس الصنايع للفصل، ودافع عن الذي في قلبه مرض كأنه يلومه:
- هو رجل كبيــر ؟!. قال:
- لا، الكبير كبير بعمله؛ هذا مُستكبر، لا يَكُفَ أذاه.. ثُمَّ كان المسجد قد خلا من أبي سريع، ونظر هؤلاء فلم يَروْا إلا هو واقفاً؛ وكان لا يغير من عادته؛ يمكث منتظراً انتهاء الإقامة. وإذ لا يسرع إلى القبلة، في حضوره، أحدٌ، حينئذ كان يتقدم إلى القبلة في سكينة. وفجأة، وكانت الإقامة لم يكن فُرِغَ منها، فإذا بمدرسُ الصنايع- الذي يأكل حراماً؛ يُزَوِّغُ من المدرسة- يهرع إلى القبلة وهو يراه. ووقف يَتَضْضَعُ لا يرفع ناظريه إليه، ينتظر اصطفاف الصف. فراح ينظر إليه نظرة حادة، تناولته من أخمص قدميه حتى رأسه. وتَأسّى في نفسه بهذا الحديث "ما تَضَعْضَعَ امْرُؤٌ لشيء يُريدُ به عَرَضَ الدُّنْيا إلا ذهبَ ثُلُثا دينه". والعجيب أن الأخ مضى لا يتجاوز في قراءتِه جزء عامة، وكثيراً ما كان يخطئ به، فلا يرده غَيْرُهُ. إلا أن يكون الموضع بَيِّناً للكافة، هُنالك تكون احتفالية عظيمةً؛ إذ ينهض كل من هبَّ وَدبَّ ليصوب له. وعقب التسليم، يكون الأخ مَخْزياً جداً، فيُهرول، يفرُّ خرجاً، كركاب أرجف عليه؟. فبالإضافة على أنه طويل، كانت ساقاه طويلتين جداً بالنسبة لسائر بدنه، كالبعيرِ!. يجأر هو في نفسه: أئمة، بعضهم أفسد من بعض! وضاق صدره

جميعاً؛ فكلما حال بين أحدهم والإمامة، هوى فيها غيره؟!.. وكان وكيل الوزارة، مدير المديرية، كما يحب أن يخاطب بهاتين الصفتين كلتيهما- في اليوم الثاني لانتخابات الرئاسة- قد أصدر أمراً، بنقل إدارة الاستخدام الخارجي من المختلط قلب المدينة، إلى مساكن الميناء عمارة "١٠" أطرفها؛ وَأُرْسلتْ إليه جميع سيارات المديرية. وَأخْبرَ بضرورة التنفيذ الفوري للنقل، وأن المكان أصبح جاهزاً؛ شقة "لوكس" بالكامل، وأن خدمة النت أُدخلت بها. وأمام الأمر الواقع، تم تنفيذه لأمر النقل في يومين.. ومن تاريخه، والعمل مرتبك تماماً؛ كثير من الملفات والسجلات بعضها مُكَوّم فوق بعض على الأرضً، وثلث القوة الوظيفية لا تجد مكاناً للجلوس، ويرفض سيادته حل المشكلة أو مجرد الاستماع له. وأبلغ سيادته أنه لم يعد له شأن بهذه الإدارة، وأنه فوض شأنها لوكيل المديرية الذي لا حول له ولا قوة. وأعلن الوكيل أن الحل في الصبر. فَطَلبَ الرجوع إلى مكانه القديم؟. فقِيل َلمجاهد له: انس! فاستنفرته العبارة، وكان يَمقت الهدم لشيء قد بناه؛ وقام له لعدة سنوات- منذ عام ١٩٩٦م- فشكا مدير المديرية إلى المحافظ، وإلى وزيرة القوى العاملة، وإلى دولة رئيس مجلس الوزراء، ولرئيس الجمهورية المنتخب انتخاباً نزيهاً، أبرق إليه مهنئاً بمناسبة فوزه الساحق، يحدث.. فخامة رئيس جمهورية مصر العربية؛ المكرم/ عبدالفتاح السيسي

- تهانينا، ودعاءنا لكم بالتوفيق في حمل الأمانة، وأن يؤتيكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. مقدمه لسيادتكم، مجاهد منصور.. مدير إدارة الاستخدام الخارجي بمديرية عمل الدقهلية. باحث، ومُطَوِّرْ لنشاط إلحاق العمالة المصرية بالخارج. عدد من تم إلحاقهم للعمل بالخارج بمعرفتنا رغم الأحداث التي مرت بها مصر خلال السنوات الثلاث الأخيرة؛ ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣ على التوالي ٣١٠٧، ٦٣١٤، ٥٥٤٨ حالة تعاقد. الموضوع؛ لمّا نما

لعلمنا، قبل الانتخابات الرئاسية، رغبة الأستاذ/ فلان.. مدير المديرية نقل إدارة الاستخدام الخارجي إلى مكان ناءٍ أطراف مدينة المنصورة، مساكن الميناء عمارة " ١٠ " تقدمنا بمذكرة لسيادته نوضح أن المكان بالإضافة إلى مشقته على الزملاء والجمهور المتعامل مع الإدارة، غير آمن، لا يسمح باحتواء الأثاث ومستندات الإدارة، ولا لمجرد جلوس زملائي، وليس به خدمة "النَت" التي هي عصب عمل هذه الإدارة. ولأنه صدر من سيادته تصرفات كثيرة شبيهة؛ حيث نقل زمرة إدارات، وكثير من الزملاء والزميلات وكثير من السادة المدراء، يتعسف في استخدام السلطة. كلمنا سيادته في غاية الوُدِّ أن الزملاء بالمديرية يشعرون أنه يُنَكَّل بهم. وأن الإدارة الناجحة هي التي تقنع العاملين بجدوى القرارات التي تُتَّخذُ. وأن الناس بعد ثورتين، لا تقبل إهانة. وذكرناه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم من وليّ من أمر المسلمين شيئاً فرفق بهم فأرفق به.. ففوجئنا في ٢٧ /٥ / ٢٠١٤ اليوم الثاني للانتخابات الرئاسية بصدور الأمر بنقلنا للمكان الذي بيَّنَّا. وَأُرْسلتْ إلينا جميع سيارات المديرية، وطلب منا التنفيذ الفوري للنقل. وتم وضعنا أمام الأمر الواقع، فتم النقل على يومين. ومن تاريخه، وإلى الآن، والعمل مرتبك لدينا تماماً، ونحن إدارة نتعامل مع الجمهور، وإننا لهذا السبب "فخامتكم" تقدمنا ببرقية مماثلة إلى كل من السادة محافظ الدقهلية، ومعالي وزيرة القوى العاملة، ودولة رئيس مجلس الوزراء، ولا مجيب. فاضطررنا إلى رفع شكوانا لسيادتكم. وتفضلوا فخامتكم بقبول أحَرَ التهاني، وخالص الدعاء. أن يجري الله على أيديكم التَّعمير، والعدل، والبناء، وأن يسطر لفخامتكم في تاريخ مصر الحديث آية.

مدير إدارة الاستخدام الخارجي بمديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية

مجاهد منصور. ت أرضي.. م" ..."

* * *

ومن أغسطس ٢٠١٣ إلى يونيو ٢٠١٤ وشهود احتفالات في الميادين شعبية بهيجة بظهور نتيجة الانتخابات الرئاسية كانت أهم الأحداث ..

في أكتوبر٢٠١٣ قرار الولايات المتحدة الأمريكية تجميد المساعدات العسكرية جزئياً، وهو التوتر الذي أعقب حالة من الهدوء النسبي أنهت فترة طويلة من الشقاق منذ عزل مرسي. وأشارت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية أن تعليق تسليم المساعدات العسكرية الثقيلة سيستمر بناءً على توجيهات "أوباما" حتى يتحقق تقدم ملموس نحو حكومية مدنية منتخبة ديمقراطياً.. فوصف المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية* القرار بـ غير الصائب من حيث التوقيت، والمضمون، مؤكداً أن مصر يهمها استمرار العلاقات الطيبة مع واشنطن، وستتخذ قراراتها فيما يتعلق بالشأن الداخلي باستقلالية تامة دون مؤثرات خارجية. وسُئلَ سواد الناس عن رأيه في السياسة الأمريكيين، فعَبَّرَ أحدهم، فاستوقد فكرة فقال: لو طلب مني حلاً، لاستخرجت من كل ناحية رجلاً مُخلصاً، أوقفهم جميعاً على أبواب المساجد إبَّان الصلوات طلباً لفضل المال. ولاستغنت مصر من فقرائها قبل أغنيائها؟ ولجُمعَ في يومٍ واحد أضعاف، تلك المعونة الأمريكية!! إنها لا تهون إلا على الفقير؟. فابتهج مجاهد جداً للخاطر البسيط الذي تحدثت وسائل الإعلام؛ كلاعب كرة مجيد، وسعيها في طلب آراء المواطنين في وتوجيهات أوباما بخصوص المعونة الأمريكية، تتناولها بالتحليل..

وفي زمن التَّعَرِّي؛ لم يكن الاتحاد الأوربي أحسن حالاً. قرأ مجاهد في جريدة الأهرام تحت عُنوان؛ أيام الحسم.. وسط ترقب لاجتماع الاتحاد الأوروبي اليوم الاثنين ١٩ أغسطس في بروكسل لبحث الموقف في مصر. حذر "هيرمان فان" رئيس الاتحاد "وجوزيه بار وزو" رئيس المفوضية، كلاً من الجيش المصري

والحكومة المؤقتة أن الاتحاد سيعيد النظر في علاقاته مع مصر في حالة عدم وقف العنف والعودة للحوار. وفي نيويورك

دعا الأمين العام للأمم المتحدة " بان كي مون " إلى وقف التظاهرات العنيفة في مصر. منددا في ذات الوقت بما أسماه؛ الاستخدام المفرط للقوة من جانب قوات الأمن. وقال المتحدث باسم " بان " أن الأمين العام يندد بقوة بالهجمات على الكنائس والمستشفيات والمنشات العامة الأخرى ويعتبرها غير مقبولة، وأضاف، وأيّاً كانت الاعتراضات، لا يوجد أي مبرر لتدمير بني تَحْتية ومَبَانٍ بهذه الأهمية بالنسبة لمستقبل مصر..

وفي، ١٨ أغسطس كان وزير الخارجية قد رفض أي محاولة لتدويل الأزمة المصرية، ورأي.. فهمي خلال مؤتمر صحفي عقده بمقر الوزارة؛ أن هناك تخاذلاً من المجتمع الدولي، وغض الطَّرف عن عنف الإخوان. وإذا كان المجتمع الدولي متمسكاً بالشرعية وحقوق الإنسان، فعليه أن يوجه انتقادات لعنف الجماعة. فهناك تناقض صارخ بين الاهتمام بضبط النفس، والتخاذل الدولي في إدانة العنف على حد تقديره.. وعن فض اعتصامي أنصار الرئيس المعزول.. مرسي في رابعة، والنهضة، وما أوقع من القتلى والجرحى قال: نأسف لوقوع ضحايا بصرف النظر عن انتماءاتهم السياسي؛ الدولة وجدت نفسها بعد فض الاعتصام في مواجهة عنف مُبرمج، له أهداف محددة منها، ترويع وترهيب المواطنين. وسيتم دحر كل تلك الحركات بواسطة القانون.

وفي مطلع أكتوبر من نفس عام ٢٠١٣ دوى دويّ القنبلة الحوار الصحفي الأول مع الفريق أول عبد الفتاح السيسي الذي كان للمقادير تصريف حين غيرت مسار حياته على غير رغبة منه؛ من الالتحاق بكلية الطيران بعد تخرجه في الثانوية الجوية ليلتحق بالكلية الحربية. ولعل القدر كان يهيئه لدور أكبر. فبدلاً من أن

يصبح قائداً لسلاح الجو؛ وهو قمَّةُ المناصب القيادية للطيارين المقاتلين، صار قائداً عاماً للقوات المسلحة كلها، في ظرف تاريخي صعب، وعند مفترق طرق مصيري في تحديد مستقبل مصر وشعبها. ولا يعلم إلا الله وحده ما تخبئ الأقدار لابن حَيِّ الحسين الذي كانت صورته ممنوعة من الظهور وكان اسمه محظورَ الإفصاح عنه قبل ثلاث سنوات مضت بحكم حساسية منصبه، كمديرٍ للمخابرات الحربية. فأضحت صورته مَعْلماً، وبات اسمه هاتفاً على شفاه الجمهور المصري الواله بحبه، منذ الثالث من يوليو الماضي وقال الصحفي: مرتان لمعت فيهما عينا هذا القائد الصلب الجسور بالدموع خلال أربع ساعات استغرقها حوارنا في صالون مكتبه بمقر وزارة الدفاع يوم السبت الماضي، الخامس من أكتوبر. الأولى وهو يتحدث عن شعب مصر الصابر العظيم، وعن المصريين الذين خرجوا بعشرات الملايين يوم الثلاثين من يونيو، وهم، على حد وصفه، يهاجرون من واقع خافوا منه إلى واقع يأملون فيه. الثانية، وهو يتحدث عن والدته بعد البيان القنبلة الذي ألقاه يوم الثالث من يوليو، وإعلان تدخل الجيش لإنقاذ الإرادة الشعبية بعزل الرئيس السابق، يروي كيف احتضنته وهي تدعو له: ربنا يحميك يا ابني من كل شر.. ومرَّتان ارتفعت فيهما نبرة صوت هذا الرجل الهادئ الرَّزين؛ الأولى وهو يتحدث عن الذود عن حدود مصر: الحدود كرامة، ولا يوجد مصري يقبل المساس بكرامته. والثانية وهو يَرْوي تفاصيل لقائه مع خيرت الشاطر، نائب مرشد الإخوان يوم ٢٥يونيو، ورده العاصف على تهديدات الشاطر المبطَّنة بعمليات إرهابية إذا ترك مرسي السلطة: أنتم لتُحْكُمُونا لتِمَوِّتونا؟!. ومرة واحدة أحسَسْت فيها أن الرجل قد شعر بالخجل عندما سألته عما يقول لنفسه وهو يرى صُوَره مرفوعة بجانب صور عبد الناصر. فأجابني: يا رب أكون كذلك. وأكون على قدر الثقة؟. ومرة واحدة بدا لي أنه كان لا يود طرح السؤال، عندما سألته بإلحاح عن موقفه إذا خرجت جماهير الشعب، الذي يقول دائماً أنه تحت أمره

ورهن إشارته، وطالبته بالترشح لانتخابات الرئاسة. واستطرد الصحفي، وكنت أعرف موقفه في آخر لقاء لنا، منذ ثمانين يوماً تقريباً، أنه لا يفكر في مسألة الترشح للرئاسة، وأنه يعتبر توليه قيادة الجيش المصري هُو قمَّة أمله، ومنتهى طموحة. وأذكر يومها أنه ناولني ورقة زرقاء كانت تحمل مشروع بيان كتبه بخط يده يحمل هذا المعنى، وينوي إذاعته. لكني طلبت منه أن يرجئه، خاصة أن فحواه كان معروفاً، ولا يحمل جديداً. غير أني اعترف أنني كنت لا أريده أن يذيعه حتى لا يغلق الباب نهائياً أمام احتمالات ترشحه. وفي هذا الحوار، ألححت في السؤال حيث كان هناك متغيراً جديداً، هو طلبه يوم ٢٤يوليو نزول الجماهير، واستجابة عشرات الملايين له بعد يومين في خروج عظيم. ثم الرغبات المعلنة لقطاعات عريضة من أبناء الشعب تدعوه للترشح؛ فأعدت سؤالي بأكثر من صيغة لكنها كانت تحمل معنى واحداً: هل ترد رغبة الجماهير إذا أعلنتها بوضوح كاشف؟. فجاءت إجابته التي لم تغلق الباب: الوقت غير مناسب للسؤال؛ والله غالبٌ على أمره.. أي الله قاهرا على أمر نفسه فيما يريده؛ المناسبة؛ حين أمر يعقوب والد يوسفَ يُوسُفَ أّن لا يقص رؤيته على إخوته فغلب أمر الله حتى قصَّ. ثم إرادة إخوته قتله؟ فغلب أمرُه جل جلاله حتى صار ملكاً لمصر وسجدوا بين يديه. ثم أرادوا أن يخلوا لهم وجه أبيهم؟ فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم وافتكر يوسف فاشتكى: يا أسفا على يوسف.؟ وفكَّر مجاهد في نفسه؛ كان هذا من السيسي أسدد مقالة قالها في هذا الحوار، لاقى استنباطه استحساناً كبيراً عنده، ودل على قلب سليم، وقدر من الدين؛ وكان قد غضب منه، كما غضبت الجماهير لتصريحه في لقاء دهشور الشهير يوم ١١مايو مع رجال الفكر والثقافة والإعلان حين سأله الصحفي: كثيرون صدموا لتصريحك الذي قلت فيه: إن نزول الجيش سيعيد البلاد ثلاثين أو أربعين عاماً إلى الوراء، واعتبروه تخلّياً من الجيش عن الشعب. وفي نهاية اللقاء قلت: لا تستعجلوا. ما الرسالة التي كنت تقصد توجيهها يومئذ؟. قال:

كنت أريد أن أعطي فرصة للرئيس السابق لأن يُعَدِّلَ موقفه بشكل يحفظ ماء وجهه، واتصلت به بعد هذا اللقاء فقلت: الآن لديك فرصة لمبادرة حقيقية. وقلت له: أنا دفعت الثمن من كلامي، لأني خائف من بكرة، أنا ذات الوقت عملت لك موجة حين تأتي لتتكلم وتطرح مبادرة لا أحد يقول جاءت تحت ضغط؛ لا القوى السياسية، ولا المؤسسة العسكرية. وفي الوقت نفسه لم أرغب أن يحمِّل الرأي العام القوات المسلحة ما لا تطيق، لأني شعرت أن الرأي العام بدأ يحمِّل الجيش المسئولية أي عن مجيء هؤلاء للحكم، وينظر إليه على أنه المسئول عن هذا التغيير وأن عليه تنفيذ هذه الرؤية وخلاص وهذا أمر في منتهى الخطورة. لماذا؟ لأني لو تركت هذه الموجة أو هذه الرؤية تنمو في نفوس الناس على أن القوات المسلحة ستحل كل المشاكل، وتنهي هذه الأزمة، بين شعب في وادٍ، ومؤسسة رئاسة وحكم في وادٍ، فهذا معناه انقلاب، وأنا لا يمكن أعمل انقلاب، لأن فكرة الانقلاب غير موجودة في أدبياتنا، لصالح الدولة المصرية. لذلك أردت أن أوضح للناس أنني لن أفعلها، وبالتالي سيقول الناس: نحن كنا ننتظره، لكنه سكت ولم يفعل شيئاً. وأنا لا أريد أن ينكسر خاطر الشعب أو أن تتحطم آمالهم في الجيش بمجرد أن يطلب هذا المطلب ولا ينفذ، فقلت، على كل شخص أن يتحمل مسؤولياته. وأكدت أن هناك مخاطر شديدة جداً من فكرة الانقلاب، وأن الأنسب والأفضل هو الوصول لأي تغيير عن طريق صندوق الانتخاب. وهذا بعد المحاولات الإصلاحية. فاستطرد الصحفي: كنت تقصد في ذلك اللقاء استبعاد فكرة الانقلاب نهائياً من الأذهان، وأن تقول للناس عليكم التفكير في أي شيء آخر؟

- نعم لأنه خطر شديد أن يقوم الجيش بانقلاب.

- ولكن لم تقصد أن يصل إليهم أن الجيش سيتخلى عن الشعب؟.

- طبعاً، لا. وما حدث يكمل بعضه بعضاً، وهي صورة، من يريد رؤيتها يتابع ما جرى وما قلته يطابق الصورة، فسيجدها واضحة. واستخرج مجاهد معنى آخر أنه أَرِادَ أن يقول لمرسي، وقد تعالى طلب الناس من الجيش بالتدخل، وانتشرت شائعات حول تغييره: أنا معك. بدليل قوله لمرسي: أنا دفعت الثمن من كلامي. ولكن أعجبه منه هذا الفهم الرائق عن إيمان الفرد، وعقيدة تلك الجماعة، وهو ما قَلَّبه كثيراً حتى يستوعبه. فبعد استهلالية استقبال وحفاوة تظهر أدب جم لهذا القائد الجسور سأله الصحفي:

- قلت ننتقل إذن إلى فترة حكم الرئيس السابق مرسي؟ أذكر أنني سألت سيادتك بعد إعلان فوز محمد مرسي في انتخابات الرئاسة، وقبل تسلمه منصبه، هل يقدر مرسي على أن يتخلص من سطوة الجماعة ويصبح رئيساً لكل المصريين؟. قُلت: ليست المسألة هل يقدر؟ وإنما هل يريد أصلاً ؟؛ إذن كنت تتوقع أنه لا يريد أن يُغَلِّبَ مصلحة البلاد على مصلحة الجماعة. كيف توصلت إلى هذه القناعة ؟. وفي نبرة صدق أجاب:

- دعني أتحدث إليك مُخْلِصاً، فلم يكن أملي أن يَصْدُقَ هذا التوقع، كنت أرغب أن أرى عهداً جديداً يأخذ البلاد بعيداً عما يحيط بها من تهديدات، ويوفر مناخاً من الأمن والاستقرار والتنمية يحقق طموحات الشعب. أما عن قناعتي بعدم تغليب الرئيس السابق مصلحة البلاد على مصلحة الجماعة، فإنها تعود بالإضافة إلى السمات الشخصية للرئيس إلى إشكالية - ودون الإساءة إلى أحدٍ- نابعة من البناء الفكري والعقائدي لهذه المجموعة. إن هناك فرقاً كبيراً جداً بين النسق العقائدي والنسق الفكري لأي جماعة، وبين النسق الفكري والعقائدي للدولة، ولابد أن يتناغم الاثنان معاً. وحين يحدث التصادم بينهما تحدث المشكلة. ولكي يتناغم الاثنان (نسق عقيدة الجماعة، ونسق الدولة) يجب أن يصعد أحدهما للآخر؟ إما أن تصعد الدولة للجماعة، وهذا مستحيلاً.

وإما أن تصعد الجماعة إلى الدولة من خلال التخلي عن النسق العقائدي والديني للجماعة، وهذا ما لم يفعلوه. وجعل الناس تشعر بهذا الوضع وتخرج للتظاهر.. وهناك أيضاً نسق فكري وعقائدي للفرد، ولكن البناء العقائدي للفرد قد ينسجم مع الدولة، لأنه في هذه الحالة قد يختار الصعود إلى نسق الدولة والتناغم معها. لكن ذلك يصعب في حالة المجموعة لأن عقيدتها واحدة، وتتصور أنها لو فرطت في فرد منها فإنها تفرط في الفكرة نفسها. هذه الإشكالية ستواجه أي تيار لا يدرك أن إسلام الفرد، غير إسلام الدولة، غير إسلام الجماعة؛ هناك أشياء يستطيع الفرد أن يقبلها ويتعايش معها في ظل معتقداته ولا أحد يستطيع أن يجادله فيها، لكنَّ في أسلام الجماعة نحن أمام مجموعة التقت على أفكار- هم أحرارٌ فيها- لكن لا تستطيع أن تسحب إجماعها على أمر ما، فتجبر الناس عليه. وهذه هي الإشكالية الموجودة في إسلام الجماعة؟ لأن إسلام الجماعة لا يمتد إلى إسلام الدولة، فإسلام الدولة أكثر اتساعاً ومرونة لأن حجم الاجتهاد ضخم، والاجتهاد في جميع الأحوال لن يضر، لأننا لو أصبنا فسنحصل على أجرين. والسؤال: هل هناك أحدٌ يستطيع أن يجادل أن هؤلاء الإسلاميين حريصون على الإسلام ؟ لاشك في ذلك، لكن المشكلة أنهم لا يستطيعون التفرقة بين ممارسات الفرد فيهم كـ إنسان، وفرد في جماعة، وبين ممارساته في إطار نسق الدولة. وحيث حدث خلط، وعدم تناغم بين نسق الفرد والجماعة والدولة حدث ما نراه حالياً؛ جعلوا الناس ترى أن الإسلام قتل وتخريب وتدمير؟!. وأريد أن أقول لك إن صورة الإسلام حالياً في العالم أساء إليها من يطلقون على أنفسهم إسلاميين من خلال ممارساتهم. فبدا أن هؤلاء الحريصين على الدين أساءوا إلى الإسلام بصورة غير مسبوقة.

- أعرف أنك قلت للرئيس السابق ذات مرة، لقد فشلتم، ومشروعكم انتهى. متى حدث ذلك ؟ وكيف ؟.
- كان ذلك في فبراير الماضي. وكنت التقي به كثيراً. وكنا نتكلم كثيراً. ورغم أن الحديث في السياسة بين أي رئيس والقوات المسلحة مسألة موضع تحفظ فإنني كنت استشعر أن عليّ التزاماً أخلاقياً ووطنياً أن أتكلم بكل وضوح حتى لو أدى الأمر إلى ترك منصبي. وفي كل الأحوال لن أترك منصبي قبل الموعد الذي أذنه الله لي. وأذكر أنني قلت للرئيس السابق يومها مشروعكم انتهى، وحجم الصد تجاهكم في نفوس المصريين لم يستطع أي نظام سابق أن يصل إليه؛ وأنتم وصلتم إليه في ٨ شهور.
- في يوم ١٢ أبريل الماضي كان آخر اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يحضره الدكتور مرسي وكان هناك غليان ناتج عن شائعات تتردد تستهدف وزير الدفاع؛ أنه سوف تتم إقالته؛ بجانب قضايا حيوية تتعلق بالأمن القومي كـ مشروع قناة السويس وقضية حلايب؟. قال:
- " في هذا اليوم كان من الضروري أن ننقل إليه تقدير موقف. نحن نتحمل الإساءة، ولكن ما لا نستطيع تحمله أن الوطن كان معرضاً للخطر، ولابد من اتخاذ إجراءات عميقة للتجاوب مع مطالب الناس حتى تنفرج الأزمة. وهنا أود أن أؤكد على حقيقة. إن الذي شغلنا ما كان يثار حول الحدود المصرية خاصة منطقة حلايب، وما ارتبط بمشرع تنمية محور قناة السويس، أكثر بكثير مما كان يتردد حول إقَالَةٍ لِقادة. فالأمن القومي هو الذي يحظى بأولوية اهتمامنا.
- توليت منصب القائد العام ووزير الدفاع يوم ١٢ أغسطس ٢٠١٢ القريبون من المؤسسة العسكرية كانوا يقولون أنك ستخلف المشير طنطاوي عند تقاعده. أعرف أنك التقيته يوم صدور القرار. فماذا قلت له ؟. وماذا أجابك ؟.

- أولاً هناك ثوابت يجب أن تحكمنا في كل شيء. وأنا كثيرا ما أقول أن القوات المسلحة مؤسسة عسكرية تتسم بالشرف والإخلاص والسِّرُّ. حين تقرأ المشهد قد يتسبب لك في حالة لخبطة، وتتساءل يا ترى أيه الحكاية ؟. هل وراء ذلك تآمر أو خيانة أم تواطؤ؟. وأؤكد لك أن المؤسسة العسكرية وطنية لا تتآمر ولا تخون. والمؤسسة التي لا توجد فيها هذه القيم الإنسانية الرفيعة يجب أن تراجع نفسها. أما عن لقائي بالمشير طنطاوي فقد عُدتُّ بعد أداء اليمين إلى مكتب وزير الدفاع، وسلمت على المشير واحتضنني وقبَّلني مهنئاً.
- وماذا قلت له ؟.
- قلت له يافندم لو عاو زني أمشي، هامشي فوراً؟ لكنه قال لي لا: أنت عارف قدرك عندي، ومدى اعتزازي بك.
- من الشخصية التي تأثرت بها وتعتبرها قدوة لك أو مثلاً أعلى؟.
- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصحابته، اقتدي بهم في رشدهم، وفي فهم صحيح الدين.
- أخيراً، هل أنت متفائل بالمستقبل؟. فتبسم السيسي ولمع بريق عينيه:
- نعم؛ لأن ربنا موجود..

دَوَّى هذا الحوار دَوِيّ " القنبلة " وحصَّل ردود أفعال محلية وعربية ودولية واسعة. وشدد عدد من الخبراء وأساتذة الإعلام أن الحوار الذي انفرد به رئيس تحرير جريدة " المصري اليوم " مع الفريق أول عبد الفتاح السيسي، النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، والقائد العام للقوات المسلحة، ووزير الدفاع والإنتاج الحربي، والذي أُعيدَ نشره كاملاً بناءً على طلب القراء، عُدَّ انتصار مهني وانفراد نادر، ترتب عليه فتح نافذة أمل لدى المصريين وكشف عن جوانب خفية لـ شخصية السيسي ونشأة حياته. وفي ديسمبر.. الإخوان يذبحون سائقا بالمنصورة، ويحرقون سيارته.. مائة نفر أو نحو ذلك خرجوا من جامع الشناوي

بعد صلاة المغرب جاهزين للضرب؛ دخلوا يصلون ومعهم سكاكين!!؟.. ونزلوا وسط الشارع، بعرض الطريق يمشون. قادم سائق تاكسي بتاكسيٍ جديد فرحاً به يعلق صورة السيسي، معه زبائن. امرأة وابنتها راجعين من المستشفى. زمَّر ليمر؟ فرفضوا. وأبى هو إلا أن يمر، فاحتك ببعضهم. هجموا عليه هجمة الكلاب على كلبٍ غريب. أنزلوه من العربة، وهو يحاول أن يستميت بداخلها، جُرُّوه جَرّاً. مسكه واحد من مِنْخَاريه ورفع ذقنه، فطعنه آخر في زوره بسكين، فسقط بين أيديهم على الأرض، وهم متكالبون عليه كأنه ليس بشر، وكانت قد جاءته طعنه في ظهره من الخلف فتأوه، فرفع ذقنه، ففاجأه الآخر بالطعنة، وهم ينزلوه من باب السيارة، فوقع، فبرك عليه آخر وضربه بساطور ضربة قويه في فكه فانفلق. وأنزلوا المرأة التي كانت معه وهي تُصَوِّتُ، فأغمى عليها من المنظر، فسحبوها إلى جنب. وولعوا في صالون السيارة بعد رش فرشه ب " الاسبراي " فاشتعلت السيارة جميعها. كان أغلب الواقفين إخواناً، فتحدث بينهم شخص غريب يشاهد الشاب ملقى، غارقاً في دمه، يُطلّع في الروح، فسأل في وهن: ماذا فعل ؟!. فقال ذو لحية خفيفة، مشيراً إلى المرأة المغشيِّ عليها يخادع: أصله، خبط واحدة ثانية، وكسر رجلها. فتجبر أحدهم، في نذالة، فأعطى الشاب الذي يلفظ أنفاسه شلُّوتاً في رأسه ؟. وتابع الشاهد يروي لمجاهد هذه الواقعة الشاذة: سائق نقل ثقيل جرى معي على الصِّويت. وكان سائق التاكسي لا يزال ملقى على ظهره يتلوى يميناً وشمالاً، يُخْرِجُ النفس الأخير أو قبل الأخير. فأعاد نفس الشخص نفس السؤال الغبي دون أن يبدي أحدُنا شيئاً إيجاباً نحو إنقاذه، وكأنَّا مسحورون!؟، أعاد على الشاب ذي اللحية الخفيفة الذي لا يزال يقف منتظراً تمام خروج الروح، يتشفَّى، وكان سائق التاكسي شاباً جسيماً، وكان الإخوان قد ذابوا ولم يبق منهم داخل محيط الدائرة البليدة إلا الواقفين للفرجة، وهذا الإخواني الذي أجاب في غيظ:

يستأهل، وهو كافر. كان السائق يشهق؛ في آخر نفس. فاعترض سائق النقل الثقيل، به من القوّة ما يغلب بها ثمانية:

- وكافر لِمَ ؟؟. فأجاب هو يعلم أنه كاذب:
- أصله خبط ثمانية، ولازم يأخذ جزاءه ؟. فقال سائق النقل الثقيل:
- وأين الثمانية ؟!. فنظر ذو اللحية الخفيفة فوجد وجوها غريبة، ولم يبق من رفقائه أحدٌ، الكل قد فر، فأجاب في ذعر:
- ثانية واحدة!. كان الشاهد يقص على مجاهد؛ بينما الأخير قد فاضت عيناه من الدمع، كان أخو لأحد أصاحبه الذين يحضرون درس الجمعة بعد العصر في المسجد، وكان بيتهم مقابل المعهد الديني، لا يفصله عن موقع الحادث إلا نهر الطريق. قال: ولم نر له أثراً!! كله هرب!! وتحسَّر: وكأننا استفقنا من السكرة إذ صاح أحدنا:
- نادوا إسعافاً!. فقلنا في تخاذل، ونحن نرى الشاب الذي سكن، وماتت حركته تماماً، بينما ذراعيه مستريحتين في نصف تقويسه كهيئة النائم الغارق في نومه، كأن الموت قد أراحه:
- إسعاف أيه، ما انتهى، روحه طلعت؟!. وكان التاكسي الجديد قد دمرته النار تماماً، وكتب الإخوان على مقدمته بالإسبراي بأريحية من كانوا يمثلون تراجيديا، لا واقعاً، السفاح. وتصايح بعضنا بحثاً عن الجناة:
- أين ذهبوا ؟؟. واختتم الشاهد: سيارة مرور راكب فيها نقيب، وَقَّفَ يسألني في بلادة، عن زعقي الهستيري، وأنا عائداً آخذٌ أكلم نفسي:
- ماذا يا محمود ؟! فانفجرت فيه من غيظي:
- ماذا يا محمود؟ بجد؟!. وهو انتم فاضيين، ماذا يا محمود ؟! وصحت:

- آخركم، تقفون في كمين تهزون وتشربون شاياً؟. لا، عـادي. شويّت إخوان ماشيين، نَزّلوا سائق تاكسي من عربته وذبحوه. فترك "البوكس" ونزل يمشى إلى الناس، عابراً نهر الطريق إلى الجانب الأيسر وهو يتساءل:
- جد ؟!! جد ؟!!....

في هذه الآونـة، في منتصف يناير ٢٠١٤ رغم كل المفجعات تبارات الجرائد المصرية نحو أَهَمَّ الأحداث.. تسلم الأيادي؛ تسلم ستات بلادي؛ المرأة المصرية تحسم الاستفتاء على الدستور استجابة لدعوة السيسي؛ الملايين تزحف نحو صناديق الاستفتاء؛ النساء يَتزعمن المشاركة. الإخوان فشلوا في إفساد الحدث بمظاهرات ضعيفة وتفجير أمام محكمة إمبابة، وقتلوا وأصابوا تسعة في سوهاج، واستبعاد قضاة حاولوا تزوير الأصوات بـ لا. واستتبعت جريدة اليوم السابع تقول.. في أول ساعات الاستفتاء.. الناخبون يرفعون صور "السيسي" والسيدات يطلقن الزغاريد.. الكاتب الأسباني "ديفيد ألان ديتي" يصف الفريق أول عبد الفتاح السيسي: وزير الدفاع الحالي استطاع أن يوحد المصريين بعد التشتت الكبير في صفوفهم منذ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م. هناك إجماعاً عليه في الداخل والخارج. يبدو أنه الوحيد القادر على إنقاذ مصر من الهاوية. السيسي سيكون الرئيس القادم لمصر لأن المصريين يحبون جيشهم، ويسعون لاستعادة الأمن في البلاد تحت مظلته، وأبناء الشعب المصري يقدرون الدور الذي قام به لإرغام المعزول على الرحيل. .

وقالت صحيفة المصري اليوم.. الشعب يجدد الثورة في الصندوق.. اصطفت الملايين أمس في طوابير طويلة في الاستفتاء على التعديلات الدستورية التي تمثل الخطوة الأولى من استحقاقات خارطة الطريق التي وضعها عقب ثورة ٣٠ يونيه الماضي. وشهدت لجان الاستفتاء منذ الساعة التاسعة من صباح أمس إقبالاً كثيفاً من الناخبين خصوصاً كبار السن، والنساء اللاتي شاركن بقوة في التصويت،

وأطلقن الزغاريد في العديد من اللجان بعد قيام عناصر من تنظيم الإخوان بإطلاق الشماريخ على بعض اللجان من أجل إرهاب الناخبين ومنعهم من التصويت. وصدَّرت الجريدة صفحتها الأولى بزمرة سيدات أشرقت وجوههن البسماتُ؛ يرفعن علامة النصر ويزغردن. وشاهد مجاهد بسماتهن مشرقة صادقة ما أن تقع عين الناظر عليهن إلا ويبتهج لبهجتهن، وعالجت فرحتهن جميع جوائحه. وقالت صحيفة "الوطن" بصورة لطابور طويل جداً لنساء مبتهجات مصطفات رَدِفَ بعضهن أمام إحدى اللجان، بهذا العنوان "الفيل" دهس "النّملة" الصندوق يهزم الرصاص.. الملايين يتحدون إرهاب التنظيم في طوابير الاستفتاء، وصور السيسي تسيطر على اليوم الأول....

وقالت صحيفة التحرير في عدد خاص.. المصريون يزفون دستور ٣٠ يونيو بالرقص والزغاريد..صحف عالمية..الإقبال على الاستفتاء صفعة هائلة للإخوان..وصورة لامرأة شابة جميلة بهيجة رشيقة تزغرد بينما يدها الأخرى تمتد لتضع بطاقة التصويت داخل صندوق الاقتراع... وزير الدفاع وقيادات الجيش يتفقدون اللجان.. والمواطنون: بنحبك يا سيسي..

الوفد: نعم ولو كره المجرمون. فشل المقاطعة و" الإخوان" لجئوا للعنف لإثارة رعب الناخبين.. تفجير هزيل بمحكمة إمبابة.. و٦ قتلى في ناهيا وسوهاج وبني سويف خلال اشتباكات بين الأهالي والجماعة٥٠٠ جنيهاً وبطانية لكل مقاطع مقابل تسليم" الرقم القومي؛ أغلقوا ٣ لجان في ناهيا والأهالي ساعدوا الأمن في إعادة فتحها.. طلاب الإرهابية أشعلوا مدرعة شرطة، وإطارات في شوارع المنصورة..

اليوم السابع في الافتتاحية.. الشعب القائد والمعلم.. اليوم تمر الذكرى السادسة والتسعون لميلاد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. ويشاء الله العلي القدير أن

تتحقق في هذا اليوم مقولته الخالدة التي أكد فيها على أن الشعب المصري هو القائد والمعلم على مدار التاريخ الحديث والقديم.. ففي هذا اليوم نزلت الملايين من جموع الشعب المصري لترفض الإرهاب وداعميه، وتبارك خارطة المستقبل، وتعلن رفضها لمحاولات الترويع والترهيب بالصدور العارية والأصوات العالية، ولم ينل من عزيمته التهديد. خرج للمشاركة في الاستفتاء وهو يعلم أن خروجه ربما يكون بلا عودة. نزل وهو يعلم أن الشهادة في انتظاره، لكنه لم يبخل بروحة على مصر ومستقبلها. فمصر عنده كما قال الشاعر صلاح جاهين: أحب وأجمل الأشياء..من ناصر إلى السيسي مصر في انتظار زعيم جديد. طريق تشابهت تفاصيله بين قصة حياة صاخبة عاشها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، ومستقبل لم تظهر معالمه بعد، للفريق أول عبد الفتاح السيسي الذي عشقه المصريون بدرجات اقتربت من عشقهم لعبد الناصر..

* * *

الفصل السابع

من أشبه أباه فما ظَلَمَ! تأسى مجاهد في نفسه إذ تكالب عليه المتكالبون؛ أبو سريع، والذي في قلبه مرض، وسائق النقل، خليل أبو سريع، ومعاون سائق الميكروباص الذي يصيح: جديلة والجزار، ومدرس فني الصنايع الذي يُطعم حراماً، والناس لا تنصر!. فنصحه إمام المسجد أن ينؤ بنفسه، ويختار له بمعرفته شابين حديثي السن، قارئين يُقَدماهما، ويُعْلان للناس أنهما مُسْتخلفان، فإذا قام أبو سريع يستبق القبلة، سبقاه إليها وهما في عمر أحفاده، فيستحْي. وقال: واحتفظ أنت بنفسك وقيمتك. لقد بذل على مدى أكثر من خمسة وعشرين عاماً من الجَهْد ما يجعله غير مُلام؛ فالناس في النهاية قعدوا ينتظرونه دائماً أن يفعل لهم كل شيء، ثُم هم يجاملون للقرابة ولا يفعلون شيئاً!. وقال: وهم في النهاية لن يجدوا سوى الرجوع إليك. فخضع للفكرة. وكانا قد خرجا بعد صلاة العشاء يتباحثان، فاقتحم للحديث شخص ليس بطالب علم، ولا متعلم، ولا تعرف له استقامة، لا يأتي المسجد إلا لمّة، فقال للإمام:

- يا مولانا، في القرية أصوات جميلة شابة، نقدمهم بدلاً من هذا الجيل القديم الذي ينازع للإمامة. فآلمه؛ أن يُسَوِّي هذا، بينه وبين أبي سريع، وأن يُسَمِّي- في النهاية- جَهْدَهَ في تعليم الناس، وإبلاغ الرسالة، صراعاً على الإمامة، فرضخ للفكرة، واختار لإمام المسجد شابين جامعيين، عَرِّف بهما:
- الشيخ فلان، ابن أخي، قارئ مجيد، وحنجرة قوية، طب أسنان؟. فابتسم ابن أخيه ومدَّ يده على استحياء يسلم.
- أهلا وسهلاً. قال الأمام. وتأخر ابن أخيه، وتقدم الشاب الآخر فقال يعرف له:
- الشيخ فلان، طالب شريعة وقانون، صوت رخيم.

- أهلاً يا شيخ!. فمَدَّ يَدَه له. وفرح المستخلفان للمهمة، فقال لهما عقب رواح الإمام:
- تناوبا صلاة المغرب والعشاء بينكما ؟ المهم جاهزيتكما للقراءة، والثبات؟. أما الفجر فيختص به حسام محروس؟. قارئاً جيداً، وقلباً حيًّ، غير أن عيبه التردد؛ يحتاج لمن يجرُّه إلى القبلة جراً؟ ملأ الشيْبُ رأسه رغم أنه لم يجاوز الأربعين، استمر معه أكثر زمان درس الجمعة، ولم يزل معه حتى الآن. وقال:
- والأهم حضوركما للمسجد والأذان، وأن لا تطيلا القراءة، حتى يألفكما الناس. أومئ إلى أحدكما حال شروع المؤذن في الإقامة، فيدخل إلى القبلة غير هيّاب. وسأكون ظهيراً لكما، وأمدكما متى احتجتما إلى مدد. فقال ابن أخيه يطمئنه:
- اطمئن يا عم، ستجدنا جديرين بالمهمة. وكان لا يزال على استحيائه يبتسم، وظل الشاب لآخر صامتاً. وكلاهما طويلٌ، وكان ابن أخيه يلبس نظارة، وشديد النحافة، كأنه هيكل، في ظهره انحنائه عند المنكبين، طويل الرقبة، تبرز فيها تفاحة آدم جليةً، تخرج، ما شاء الله، صوتاً جَهْوَريّاً. أما الشاب الآخر فمستقيم الظهر رغم طوله، يحمل هيكله بَعْضَ اللحم، رشيقاً، إذا قرأ جاء صوته رقيقا كالخيط، أقرب إلى صوت الولدان الذين لم يبلغوا الحلم بعد، يجيد التَّغَنِّي، غير أنه سيئ الحفظ. إذا افتتح صورة حرص أن يتمَّها. جامد الملاح كأن تقاطيعه قُدّتَ من خشب، إذا تفرست فيه، يصعب ملاحظة، أحزيناً هو أم سعيداً ؟.. وفي اختيارهما رَاعَى الأمانة؛ فـ الأول، وإن كان ابن أخيه، أسموه " مجاهدَ " على اسمه، إلا أنه قرأ عليه في رواحه، وفي غدوه معه إلى المسجد القرآن جميعه، إبَّان أن كان وأخوه الأكبر طالبين في ثانوي. غير أن أبوهما أبى إلا أن يلحقهما بمنتسب لمعهد القراءات ممن يجيدون

الترويج لأنفسهم، أنهم قُرَّاءٌ معتمدون، وكان رد أخيه جافياً لمَّا عاتبه؛ قال: كما أحببت أن تقرأ القرآن على شيخ مُعْتَمد، أحببنا لأبنائنا ذلك ؟. فآسى لأن أخاه لم يعتبره قارئاً معتمداً، وأسرها في نفسه ولم يبدها له قال: هذا انحراف في القصد وطلباً للسمعة، وأظنه بتحريض من زوجته، ولا أعفيه من المسئولية؛ فالمرء لا يرضخ إلى شيءٍ إلا أن يكون في نفسه ميلاً إليه ؟. وكان قد فوجئ يوماً وهو ذاهب إلى مكتبة التوحيد بمن يستوقفه ليسلم عليه. وذكر له ولدا أخيه؛ وأنهما يأتيان عنده يقرئهما القرآن. وأنه يبعث له دائماً السلام، فهل يبلغان فضيلتك ؟. وكان هذا الأخ أميناً لمكتبة مسجد التوحيد، وكان يحفى به جداً ويخاطبه: يا شيخنا ؟ فلم يبد اعتراضاً، غير أن الخبر أمات ابتسامته فجأة، ووجد نفسه يقول:

- لا، لم يبلغانِي.. فوعد الأخ بمعاتبتهما.. وكان قد لحظ أن ابن أخيه انقلب يقرأ بـ قصر المنفصل، على عكس قراءته التي يمد فيها المتصل والمنفصل جميعاً، وإن ظلت مخارج حروفه صحيحة. ولحظ أنه لم يعد يهتم بالمراجعةً؛ يقرأ بمواطن مشهورة لا يجاوزها، فحزن لذلك. أما الولد الآخر؛ فعلى الرغم من بغضه أباه- الذي ظل زمناً منتسباً لجماعة أنصار السنة؛ تتلمذ عندها، وعمل كداعية حتى فَصِلَ، واستخدمه فرد الإخوان وحرضه في حضوره، استباق الإمامة تصغيراً لشأنه؛ فلم يمنعه ذلك من اختيار الولد للكفاءة، ولدواعي الموائمة، واستقرار حال المسجد. وكان من قبل لفرط ثقة أبيه به، وإجْلالاً لقدره، قد أرسله إليه إبَّان أن كان في إعدادي، حضر معه جَلْسة الجمعة بعض الوقت. وكان صوت الغلام جميلا، غير أنّه كان يفوته التجويد، ومخارج الحروف. وفي الانتخابات البرلمانية التي جرت بعد ٢٥ يناير، وحصول الإخوان فيها على أكثرية، عمل أبوه في وضوح مؤازراً للإخوان، وفي الانتخابات الرئاسية عكف يَحْمِلُ الناس ويستخرجهم من البيوت لانتخاب

"محمد مرسي" فانتقده شخص يدعو لانتخاب "شفيق" وقال يسخر منه: يا فلان، وحذف عنه كُنْيَة الشيخ، ألم تكن ضمن جماعة أنصار السنة؟ منذ متى أصبحت إخواناً ؟؟. فَأَعْرَبَ ولم يستحْيي: طول عمري إخواناً. فجاء الشخص وقال يخبره بالواقعة؛ قلت: طول عمرك وأنت إخواناً، أم قبضت؟.. فراجعه الشاب في أبيه، قال:

- حضرتك تدعو على أبي في الصلاة؛ فهل هذا يجوز؟. فمشى به ليحكي له من حكاية أبيه؛ وكيف أنَّه قدمه للناس إماماً، وكان يخشى أن يخطو خطوة تجاه القبلة، فاستخدمه فلانٌ، يعني فرد الإخوان، في حربي وحرضه أن يسبق إلى القبلة في وجودي، ليكسر شوكتي في الناس. وتعلم أني ليست بفاسق ولا فاجر أو جاهل، بل الأقرأ، والأعلم بالسنة، وأكبر سناً من أبيك؟. أتدري ماذا كان أبوك قبل أن أقدمه للقبلة يقول فيَّ، قال، أنت هنا في القرية أوسطنا نسباً، وهم يجلُّوك، كما كان صلى الله عليه وسلم أوسط قريش نسباً وكان فيهم الصادق الأمين. فظللت أصبر لعله يرجع، وفي كل مرة جاءني معتذراً كنت أسامحه وأقبل منه، إلا أنه كان يعود، حتى ضاق صدري. أتدري ما عيبي؟ لست حليماً. فأدعو الله لي: أن يزينني بالحلم، والعلم؟. ثمَّ وجدت لزاماً عليَّ زجره- فأنا أكره المتكبرين- كي لا يكون سكوتي إقراراً، ويتجرأ علينا الناس، فدعوت عليه زجراً، وأنا حزين!!.
- حضرتك فعلت ذلك أمام الناس. وقال صلى الله عليه وسلم: من نصح أخاه على ملئ فقد فضحه؛ فهل هناك دليل على فعل حضرتك من الكتاب والسنُّة؟ وهل يجوز أن يدعو مسلم على مسلم بـ أن لا يرحمه الله في الدنيا؟ ولا في الآخرة ؟؟. قال:
- فعلها ابن عباس في رجل كان يلحن في الأذان، ويتقاضى عليه أجراً؛ استدعاه أمام الناس، فقال: إني أَبْغَضُكَ في الله. وقال للحضور: هذا يلحن في

الأذان ويتقاضى عليه أجراً. لكنَّ حضرتك تركت الأولى، والدعاء بهذه الصيغة صعباً، لم أسمع به ؟. فاستطرد يبين له:

- ودعا رسول الله على الرجل الذي أمره أن يأكل بيمينه؛ فعاند وقال: لا أستطيع. قال: لا استطعت؟ فما استطاع أن يرفع يده إلى فيه.. وقال: ولولا أن يؤذيك رأيٌّ هذا، يعني، فرد الإخوان، في أبيك لذكرته. وآسى لنفسه: وأنا لا أدعو إلى دين أبي ولا دين أمي؛ بل أدعو إلى الله على بصيرة، فتكَاثرَ الأعداء، وتكالب عليَّ فلان، وفلانٌ.. وعَدَّهم له، وعمل أبوك لحزبهم، والمرء يضيق صدره من الظّلم؛ وقد قال تعالى (لا يحب اللهُ الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِمْ). وقال: ولم يمنعني ظُلْمُ أبيك من اختيارك أنت وابن أخي فلان إمامين للصلاة، لأنكما الأكفأ. فلَحَظَ من جمود ملامح الشاب أنّه قد بقى يحمل عليه في نفسهً، وأنه لم يعذره، فشق عليه ذلك، وكاد أن يعلن فيه: أتعلم ماذا قال هذا في أبيك؟؛ وكان قد وقع بينهما شراكه في مَحْلٍ، فاختلفا. وعكف وقد تعاونا عليه، يدعو: "اللهُمُ أذق بَعْضَهُم بأسَ بعْضٍ". ويوما خرج من المسجد عَقب إحدى الصلوات، فبادر باستيقاف فرد الإخوان، لبذل النصيحة، ليبرأ من ذنبه، ولم يكن قد عرف أنه ووالد الشاب قد افترقا في شراكتهما، فقال يصفه له: إن فلاناً هذا بِئْرٌ قَذِر. فعجب غاية العجب؛ أن يتودد هذا إلى عين الشخص الذي يبغضه! فقط من أجل أن يستخدمه ضده. ثم لم يتلبث والد الشاب أن أخبره- وقد جاء معتذراً إليه- وقصَّ عليه: كدنا نتشابك بالأيدي. وقال يشتكي: كنت أعْملُ ولا يعمل. وَجَرَتِ الرِّجلُ على السوبر ماركت، وألِفَه الناس، وأخذنا نكسب. فآثرت أن لا يتفرج علينا الناس، فتركت السُّوبر ماركت له، وأخذت ،فقط، قسطي في رأس المال. كان يتحدث ويصدق نفسه بقولة: نعم.. يكررها، ويرنو إليه؛ ففاض قلب له، وذهبت عنه كُلُّ مَوْجَدةٌ. أما هذا الولد

فلحظ أنه قد بقت في نفسه الموجدة عليه، رغم ما قصَّه. غير أنه رفق به، ولم يذكر له رأي نفر الإخوان في أبيه.

* * *

وكشفت الحرب القذرة عن ساقها؛ حرب الجماعات الإرهابية، وَقِيلَ الربيع العربي، في العراق وتونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، وهو حديث خُرَافَةٍ.. جماعة أنصار بيت المقدس نشرت فيديو عملية تفجير مديرية أمن الدقهلية، فقعد مجاهد وزوجته يشاهدانه.. ومضى الفيديو يعمل والزوجان منفطران حتى انتهاء دورانه. أُسْتُهِلَ بموسيقى تصويرية وعنوان.. الوكر الإجرامي المسمَّى مديرية أمن الدقهلية؛ مهمته، حماية القانون الوضعيّ المنازع لحكم الله، واعتقال حرائر المسلمين، واقتحام بيوت الآمنين وارتكاب المجازر بحق المتظاهرين. ومضى الفيديو يَعْمَلُ؛ في الصورة شخصان استدبرا الكاميرا، يلفان أسلاكاً لبراميل من المتفجرات، لتظهر أربعة أزواج من سواعد نَهْمَةٌ بفخاخ سيارة. ومع الدوران وحركة الصورة إنشاد.. دُقِ يا جبال، أيقظي الهمم. نصْنع الرجال، نحن في القمم. دُقِ يا جبال، دق يا.. لم يطق مُجاهدُ فأجابه، يتهمه: أيها الكذَّاب؟. من دعوتهم رجالا، يتوارى أحدكم لِيَقْتلَ غِيلةٍ، ويدمر مبنى لشعب وممتلكات لمواطنين، خسَّة ؟!. وتواصل الإنشاد مع حركة الأذرع المتعجلة للقتل: دُق يا جبال؛ دق يا جبال، دُق يا جبال، دق يا جبال. هيا للجهاد، فتية البلاد، بالعُدة والعتاد نُدَمِّرُ الفساد.

هيا للجهاد، هيا للجهاد، هيا للجهاد؛ هيا للجهاد.

هيا يا إخوان، نَردَعُ الطغيان، بالسيف والقرآن، والزاد والإيمان.

هيا يا إخوان، هيا يا إخوان، هيا يا إخوان؛ هيا يا إخوان.

- ويظهر في الصورة شاب دون الأربعين بائس، صاحب لحية خفيفة، يلبس جلباباً بيضاء، جعل يتحدث مسدلاً جفنية، يروح بجسده، للأمام والخلف إبَّان حديثه مستهلا بآية.يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ وأنت مسلمون. فتعقبه مجاهد: قاتلك الله ؟. ما علاقتك بالتقوى، وأنت قاتلاً لنفسك، مُغتالاً لغيرك، مُفسداً في الأرض؟. وقال لزوجه، وكان يثق بعقلها، وأنها ذات ذاكرة:
- دَرَّسَتْ للنساء هذه السورة وأخواتها، وبلغت الجزء الثاني عشر ذَكِّرينا بمعنى؛ اتقوا الله حق تقاته ؟. فانطلقت تحدثه وتؤنبه معاً: أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذْكرَ فلا يًنسى، ويُشْكرَ فلا يكفرَ. وعن أنس قال: لا يتقي اللهَ العبدُ حتى يخزنَ لسانهَ. وذهب سعيد بن جُبَير، وأبو العالية أنها منسوخة بقوله تعالى؛ فاتقوا الله ما استطعتم ؟.
- فما مناسبة الآية، بما يفعله هؤلاء ؟. قالت:
- لأن علي ابن أبي طلحة قال عن ابن عباس: لم تنسخ، وحق تقاته: أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط، ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. فابسم لذاكرتها المجيدة، وأتبع يستنطقها عن باقي الآية:
- ..فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ؟. فالتفتت إليه بنظرة ذات مغذى، لشيء تحسبه يفعله، ما يفعله! قالت:
- حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه، أنَّه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه. فاتقي الله وتُبْ؟ وقالت: أنصح أن لا تستمرئ ما أنت فيه، وألا تأمل في الدنيا كثيراً ؟. فأقسم عليها:
- بالله؟ وما الذي استمرئه ؟.

- لا تجادل ؟. فأقسم:
- والله لا أعرف؛ فذكريني ؟. قالت:
- أتضحك عليَّ أم على الذي خلقك؟.
- أنت مجادل. فيئس منها، فقال:
- دعينا نسمع هذا ؟. ورجع إلى الفيديو للإنشاد: جدد العهد واجنبني الكلام، إنما الإسلام دين العاملين. وانشر الحق ولا تخشى الطغاة. لو صدق العَزْمُ يعلو كل دين. وظهر على الصورة بطاقة تعريف بالانتحاري؛ الاستشهادي البطل، أبو مريم، إمام مَرعيٌّ محفوظ، تقبله الله. الغائر على وكر المنصورة. طالب العلم المجتهد، الخاتم لكتاب الله، الساعي بكل ما يملك لنصرة دينه، الخلوق، ذو الوقار، الخدوم لإخوانه، البكاء في صلاته، الغيور على دينه وحرمات المسلمين. كان دائم الإلهام، يريد دابته التي ينغمس بها في أعداء الله، يعني السيارة المفخخة التي يقتل بها الجيش والشرطة.. حتى يشفي صدور قومٍ مؤمنين..له صولات وجولات ضد المرتدين في مصر. أصيب بطلق ناري في أحداث رمسيس الأخيرة. واخْتَتَمَت البطاقة؛ فلله درُّك من فارس مقدام. وانطلق الشخص يعظ مسبلا العينين: أقول لكل مَنْ. ولبث هنيهة يفتكر، ثم مضى في عبارة مقطِّعة، أقول لكل من، سلك طريق الله عز وجل، أذكرهم بقول الله عز وجل.. فَهَدَى الله الذين آمنوا لِما اخْتَلَفوا فيه من الحقِّ بإذنه.. انطرحوا بين يديِّ الله، عز وجل، واسألوه الهداية، أن يعرفكم على الطريق. والله سبحانه وتعالى هو هادي الحيارى. ورجع ينظر نظرة شاردة. فجعل مجاهد يدقق ملامحه الحزينة، فحَزَرَ أن حتى هذه الآونة، هذا الأخ كان لم يزل حيران !. وتابع حديثه غير المترابط، إذا سألناه بصدق، وأُقْسِمُ، والله، إن الله عزَّ وجلَّ، لا يظلم مثقال ذرة. إن سألناه بصدق، سيهدينا عز وجل إلى الطريق. أدعوهم أن يلجئوا إلى الله بصدق. صدق الإنابة. بيد أنه لحظ

بالإضافة أنه مُغْتمٌ، أنه يستعين على استتباع حديثه بإسدال جفنيه، وأَخْذِ بَدَنه رائحاً غادياً للأمام والخلف. فبعد هنيهة من البحث عن العبارة تنادى: يا رب أرني الحق حقاً. وتساءل: أيُّ الطريق هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم؟. كلُّ الفِرَقِ تَدَّعي أنهم يسلكون طريق، محمد، صلى الله عليه وسلم. ونسى أنَّه لا ينبغي دعاء النبي باسمه مجرداً، فأعاد: وكثير منهم لم يسلكوا طريق النبي، صلى الله عليه وسلم، لأنهم تركوا القوة. طريق النبي؛ كتاب يهدي، وسيفٌ ينصر. طريق إقامة الدين ليس بالدعوة فقط. بل بالدعوة والجهاد. النبي قال للمشركين في مكة أيام كان مستضعفاً: والله يا معشر قريش لقد جئتكم بالذبح. فاستفزه مجاهد هذا الكذب:

- قاتلك الله!!. لقد ظل صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو كفاراً، وهم يؤذوه، يقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ولم يشْهِرْ سيفاً. ولما طلب منه أصحابة - وقد استعجلوا النصر- أن يدعو الله لهم، وقد اشتد بهم الإيذاء قال يغضب: إنَّ من كان قبلكم يؤتى بالرجل فيوضع المنشار على مفرق رأسه، فينشر نصفين، فما يزحزحه ذلك عن دينه، لكنكم قومٌ تستعجلون. ثم هاجر إلى المدينة، ولم يؤذن له في قتال. ثم نزل قوله تعالى.. أُذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلِموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير. أول آية نزلت في القتال. وقال يكلم زوجته، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فعرفت أنه سيكون قتالاً. ولما بايعه أهل يثرب ليلة العقبة، وكانوا نيفاً وثمانين، قالوا يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي؟ يعنون أهل منى ليالي منى، فنقتلهم، أي غِيلَة. قال: إني لم أُمر بهذا. فلما بغى المشركون وأخرجوه من بين أظهرهم وهمُّوا بقتله، وشردوا أصحابه، شرع الله لهم جهاد الأعداء فكانت الآية أول ما نزل في القتال. والتفت إلى قاتل نفسه وأردف يؤنبه:

- أيها الكذّاب المُخلط، الشرطة والجيش يشهدون أنه لا إله إلا الله، وليسوا كفاراً، يقومون بحفظ الناس بعضهم من بعض. وهذا الذي تزعم أنه الوكر الإجرامي يسهر على حماية أهلك. وقال لزوجته: أتذكرين يوم بَغَى بعض المتشردةِ على مول أبناء رجب، بعد حادث التفجير هذا؟ وكان قد أشيع أن صاحبه إخواني، فاتصل بالشرطة، فقِيلَ له: دع الشرط لما هم فيه!. رغم هذا لم ينقذه غيرهم. قال لي "مخيول"؛ الخلية النائمة: قابلت غلامين من الناهبين فرأيت أحدهم يرتدي روباً واسعاً عليه، فاستوقفه: هذا كبير عليك، لن ينفعك ؟. قال: هو ما وجدتهَ، فأعجبني، وخرجت قبل مجيء الشرطة. يستأهل لأنه إخواني. قال: فَسَكَتُّ. وكان مخيول أيام حكم الإخوان ينتفض إذا مُسَّ ما هو إخواني.. وأخبر الانتحاري، هذا هو طريق محمد صلى الله عليه وسلم.. أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فتعقبه:

- أليس الشُّرْطِ يشهدون أنْ لَّا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله ؟. ثُمّ ماذا عن قوله تعالى.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. وُقولوا للنِّاس حسنى.. وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تَعْتدوا، إنَّ الله لا يحب المعتدين ؟ وقال لزوجته: فلما نزلت آية القتال في المدينة كان رسول الله يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه. وقوله.. وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم؛ إنَّما هو تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله. أي كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر. اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِلوا، ولا تقتلوا الوليد، ولا أصحاب الصوامع؛ يعني أهل الكتاب المسالمين.. ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم. قال: يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية، ولا جزيه هنا للأهل الكتاب الذين يسكنون مصر لأن الجزية تضرب

إذا كانوا يعيشون في كنف المسلمين وحمايتهم، وهم هنا يُجَنَّدون معنا، يدافعون عن مصر كما ندافع عنها نَحْنُ، فلا جزية تضرب عليهم. فسألته:

- لكن قتادة وغير واحد قال: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، إنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف؟. قال:

- بل باقية، محكمة لمن أراد منهم الاستبصار في الدين، فيُجادَلوا بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيهم، قال تعالى.. أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري، وهو ما أميل إليه. فقالت:

- فقوله صلى الله عليه وسلم..قاتلوا من كفر؟ وقوله تعالى.. إنَّ الذين يكفرون بالله ورُسله، ويريدون أن يُفَرِقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعضٍ، ونكْفرُ ببعضٍ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، أُولئك هم الكافرون حقاً..؟ وقولة تعالى.. وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافة..؟. قالت: فاليهود آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة السلام. والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم صلى الله عليه وسلم، فأخبر تعالى عنهم.. أُولئك هُمُ الكافرون حقاً. أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به، إذ لو كانوا مؤمنين برسولهم لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح منه دليلاً وأقوى برهاناً.. فأتوا بسورة مِمِّثله وادعوا شهدأءَكم من دون الله إن كنتم صادقين.. الآية. وقوله.. لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم.. لقد كفر الذين قالوا، إن الله ثالثُ ثلاثةٍ. قال السُّدِّيُ وغيره نزلت في جعلهم المسيح وأمَّه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار ؟. وقال:

- وما تقولي في.. وقولوا للناس حسنى. و، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. وقوله صلى الله عليه وسلم، وهو يوصي من يغزوا: ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع؛ يعني أهل الكتاب المسالمين. وقوله.. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا

إليهم، إن الله يحب المقسطين. يجب إعمال كل هذه الآيات والآثار كي يكون الحكم صحيحاً. وقوله تعالى.. ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم. قال مجاهد نفسه: يعني أهل الحرب. فإذا أرهبناهم إلى الإسلام خالفنا هذه الآية وغيرها كقول الله لنبيه.. ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض كُلُهُم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.. فعجبت:

- أنت تُضلُّ أمَّةً؟!. وكانت ملاحظتها الدءوبة هي علاقته بالنساء، وعقيدتها التي لا تتزحزح، ولهه بهن. غير أنها، كانت تستفتيه، فكان يتوقف عن إجابتها لاتهامها له:
- ولَمَ تستفتينِي ولا تثقي لي؟. فتضحك:
- كم من عالم بأمر الله وهو فاسق؟. فيحار في إقناعها. وكثيرا ما كان يجهش للبكاء من عظم البلاء، ويبتلع دمعه ويسكت.. كان الانتحاري قد أكد، أن طريقة إقامة الدين، دعوة وجهاد، كتابٌ يهدي، وسيف ينصر. أما عندما يقولون ندعو الناس إلى شريعة الله، حتى كلُّ الناس يقولوا هـ نطبق شرع ربنا تبارك وتعالى من غير مجهود ولا بذل. والـ، الكفار ينـ ينتظرونه، َلا يقاتلونه؟. استحالة الكافر هـ يسيبك تحكم بشريعة الله. هـ يقول لك احكموا أنتم بشريعة الله وأنتم مسلمين موحدين- يخطأ في الصرف- ونحن أصحاب الكفر هـ نتركـكم تحكموا بالشريعة، وتجلسوا كِده، وطبقوا الشريعة، وتحاربوا اليهود، وتحرروا المسجد الأقصى. الأعداء لن يتركونا هكذا ؟. نعبدَ اللهَ، ويتركوننا !؟. بل عندما تتكلم، فِي، حَاكِميّة الله عز وجل يحاربوك. يعني؛ لم ترفع سلاحاً ويحاربوك. فكيف لو رفعت سلاحاً ؟. فأعداء الله عز وجل متربصين. يَعُدُّون للـ للمسلمين العُدةَ حتى يُـ، يُبيدوهم عن بكرة أبيهم. فأبناء التيار الإسلامي لا بد أن يفهموا ذلك. أن أعداء الله عز وجل يمكرون بنا، ويمكرون بدين الله عز وجل. ويـُ، يمكنون للـ علمانية، ويمكنون للأنظمة

الوضعية. يحترمون قرارات الكِنيست على أوامر الله عز وجل. والله، ويقسم، والله، سألت بعض ضباط الجيش- الذين يزعم الناس أنهم حماة الدِّيار- سألته والله، قلت له: لو أن المسجد الحرا، ويصحح. المسجد الأقصى٠أُحتل من اليهود، دخل عليه اليهود، ودنسوه، وشَرِبوا فيه الخمْرَ، سألته لوَّ أخذتني العاطفة، وظهر على صدره في هذه اللحظة هذه العبارة، الاستشهادي البطل، أبو مريم، إمام مرعيٌّ.. تقبله الله.. فعقب مجاهد للعبارة:

- قاتلكم الله جميعاً!!. إماما ويخطئ في النَّحْو. تقبله الله! تتألهون على الله، وقد قال تعالى.. ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً... واستتبع الانتحاري يحدث: فـ أخذتني الحمية وذهبت لأحرر المسجد الأقصى، قال: والله لو اقتربت لقتلتك. فرجع يتعقبه:
- وهل اليهود يتركوك تمر يا غبي؟. وهل المسجد الأقصى يحرر هكذا، بمجرد تسلل شخصك الانتحاري عبر الحدود؟. وقال لزوجته:
- هم كذلك يعطون اليهود تكأة ليغزونا، ويعودوا لاحتلال سيناء ويملئوا الدنيا ضجيجاً أنهم ظُلِموا، وأن مصر تعتدي، وتخرق اتفاق السَّلام، لا تحترم المواثيق. وتابع لزوجته:
- والمصيبة أن الضابط لم يستطع أن يجيبه؟!.. وتابع الفيديو يعمل وتابع الانتحاري يُحَدِّثُ: قلت له تقتلني وأنا ذاهب أحرر المسجد الأقصى؟. وقال يحرض ضد الجيش: قلت له؛ طيب أنا لو قتلتك ؟ هـ تقابل ربنا تقول له أيه ؟. هؤلاء يحمون اليهود. فتعقبهَ:
- يا كذَّاب، هؤلاء يمنعون أمثالك إعطاء اليهود سبباً لهدم المسجد الأقصى، واحتلال سيناء، وقيام الحرب في لحظة لم نخترها نحن ؟؟. ورجع الانتحاري يتعتع: والذين يزعمون، وبعض الناس المصريين البسطاء يزعمون أن هؤلاء

هم حماة الديار، وأقسم والله، هم حماة اليهود. ومضى يحرض: وترون ما يحدث في طابا وشرم الشيخ من أفعال الكفَّار الأنْجاس، لأنهم لا يغتسلون من الجنابة، يتقلبون في رمال أرض مصر عرايا ويحمونهم أفراد الشرطة والجيش ولا يحمون المصريين البسطاء. ونَكَسَ رأسه ثم شرعه، وأخذ يعدد على هامات أصابع يده: نصيحتي إلى من يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبـ محمداً، صلى الله عليه نبياً ورسولاً، يَلْحَنُ، رغم وجود حَرْف الجَرَ، أن يكون عبداً لله، أن يكون في صف الله عز وجل، وأن يرى بعين قبله قبل أن يرى بعين رأسه، ينظر، هل، هذه القوانين التي يستنونها في الجيش المصري، هل هذه قوانين ترضي الله عز وجل؟؟، القوانين التي يشرعونها لمرور السفن من ميناء السويس، تمر من أرضنا، لضرب المسلمين في العراق أو ضرب المسلمين في سوريا، ترضي الله عز وجل؟ إن مات على إيمانه بهذه القوانين، وعلى ولائه لـ بشار وجنُودُه، يَلْحَنُ، سمعنا من قبل على شحنة المتفجرات التي صدروها من مصر إلى بشار. أليس هذا ولاء لنُصَيْريين على مسلمين؟ ويدَّعون بعد ذلك السلام. الذي يقتل الـ مسلمين، من الجيش والشرطة، ليس له نصيحة إلا القتل. وعاد ليظهر على الصورة: الاستشهادي البطل، أبو مريم أمام، تقبله الله، الغائر على وكر المنصورة.. واستمر صاحب الاسم والصورة يكرر: ليس له نصيحة إلا القتل، لأنه لا يَرْعوي للكلام، ويتجرأ على قتل المسلمين لا ننصحه بالكلام، بل نقتله، كما قتلهم، حتى يكون عبرة لمن تسول له نفسه أن يقتل مسلماً. فقال مجاهد يحدث زوجته: اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يقتص لنفسه دون السلطان، وليس للناس أن يقتص بعضُهم من بعض، إنما ذلك للسلطان أو من نَصَّبه السلطان لذلك، وهم هنا المحاكِمُ، وتنفذ الدولة الحكم، وهم هنا الداخلية. ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض.. وبرر

الانتحاري للقتل: لأن من لم تنفعه عينه لم تنفعه أذنه. رأوا الساجدين فقتلوهم؛ أناس ساجدين، يلحن، في الفجر يقتلون؟!. وبعض الناس كانوا يزعمون أن هؤلاء الجنود محترمون، لا يقتلون الأبرياء. فتعقبه؛ بل سجدوا خدعة بالصلاة بينما كان هناك من يتسلقون الأسوار، يهجمون على الحرس ليحرروا مرسي؟. ظن هؤلاء الغوغاء أن الجيش كالشرطة، سيتركونهم يقتحمون عليهم المنشأة العسكرية ويهزمون فارِّين تاركين لهم مرسي. وقال: ألم تر قادة الحرس عندما أقترب هؤلاء من الأسلاك فحذَّروهم. ونادوا قادتهم، فتقدم إليهم صفوت حجازي والبلتاجي، وأمر قادة الحرس الجنود فشرعوا فُوَهات البنادق نحو السماء، يُعْلِمُونَهم أنهم آمنون، ولا بغية في قتلهم. وقالوا: جميعنا مصريون، لكن ليبتعد الجميع عن الأسلاك ؟؟. نقل التلفزيون المشهد عند محاولة هؤلاء الاقتحام. ذهب هؤلاء إلى هناك ومعهم كاميرات، يصورون، ويحرضون للصورة في الداخل والخارج بأن الجيش يقتل المتظاهرين.. وقال الانتحاري تخنقه العبرات إذ هي لحظات ويقبل على، المَوْت، فـ استعينوا بالله عز وجل، واصبروا. أوصيكم بأن تجهزوا العشرات. بل المئات من أمثال القوافل، يعني السيارة المفخخة. وإن شاء الله، وإن قبلني الله عز وجل، أنتم أخذتموني على عيبي، إن شاء الله سأكون بينكم، أن يقبلكم الله عز. وأن يبارك في سعيكم؟ وأن يؤمنكم؟ وجزاكم الله خيراً ؟ وأسأل الله عز وجل أن يجمعني بكم في جنات النعيم، في دار السلامة ؟؟..

ودنت جداً لحظة اقتحام السيارة المفخخة لمبنى مديرية الأمن، فأخذ الانتحاري يدعو وهو يقود سيارة التفجير نصف النقل، يجري بسرعة شديدة في شارع الجمهورية، قبل أن ينحدر في سرعة إلى الشارع الفاصل بين المبنى، ومسرح المنصورة القومي، أخذ يتحدث وقد أجهش إلى البكاء.. ربنا يثبتكم يا أخوة، ويعزكم. تحملوا ما علهش؟. وتلفت وقد غار الدم من وجهه فابيض كالشمع،

تلفت: ما النعيم يدرك بالنعيم. وكرر، النعيم لا يدرك بالنعيم. وظهر على شاشة الفيديو؛ آخر كلمات الأخ، تقبله الله، قبل دقائق من تنفيذ العملية.. نسأل الله عز وجل؟ ونسي سؤاله، وتذكر أهله، فخنقته العبرات: اتحرمنا من أزواجنا، اتحرمنا من عيالنا. ولكن في سبيل الله. والله العظيم، كله يهون. والله- لا تحرمنا يا رب ؟. والله، والله العظيم- لا تحرمنا يا رب ؟. كلمة أخيرة، والله- ولا أعفي نفسي- لَو الإنسان، يَعْني، مع زوجته وأولاده على ضفاف النيل. وتهدج صوته وغلبه البكاء- في نعيم، في الدنيا مقيم، ولا منغص ولا تعب، والله العظيم، ثم، يعني، إذا حرمَ العبد من الشهادة فذلك الحرمان، واللهِ. ونسأل الله أن لا يحرمنا؟ يا رب؟. ويجازي إخواننا كل خير؟. بارك الله فيكم ؟ ما تركنا أزوجنا يعني، ولا أولادنا ولا أهلينا زهداً فيهم، ولا ضاقت علينا الدنيا، ولكن لله عز وجل. فالناس بـ تسيب أولادها، يعني لـ خاطر دنيا حقيرة، ولكن تركناهم لله عز وجل. وتبدى على الشاشة مبنى مديرية الأمن وبعض نور ساهرٌ بعد منتصف الليل. وجاءت تلك العبارة: تقبل الله منك يا أبا مريم؟. وانقطع صوت المتحدث، وخيم هنيهة سكون الموت، وبدت هذه العبارة؛ وكر الدقهلية قبل تفجيره بلحظات. وأظلمت الدنيا قبل سماع دوي انفجار هائل، دوي الرعد في يوم قاصف، وسُمِعَ أشياء كثيرة تتهشم، وارتفع إلى السماء لسان لهب عظيم كاشف. فانطلق ردف الانفجار صوتٌ قدم لصاحبه بـ صوت الشيخ المجاهد؛ أبو حمزة المهاجر، تَقَبَلَهُ اللهُ. انطلق ينشد يلهب الحماس: أبِيدوا سيطرا تهم. اقْتحموا مُعَسكراتهم. قَطعوا أوصالهم. انزعوا أفئدتهم من أجسامـــــهم.. اليــــــــوم يوم الملحمة. اليـــــــــــوم لمح المشأمة. اليـــــــــوم نسفك الدما. العِرضُ يشكوا المظلمـــــــــــة. واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ومن قتل دون أهله فهو في سبيل الله. فتعرضوا للشهادة، واحرصوا عليها فإن القتل في سبيل الله غاية مازلنا نتشدق بها. قال "الدحروق" القتَّال: من خير ما عاش الناس له. رجلٌ ممسكٌ عنان فرسه في سبيل

الله يطير على متنه، كلما سمع هيئة أو فزْعةً طار على متنه يبتغي الموت والقتل مظـــــانه؛ فهل أعظم من هذه هيئة يا جنود الله ؟. فيا قوافل الشهداء انطلقي على بركة الله. حَولوا سيطرتهم نــاراً، وديارهم دمـــاراً، اجعلوا دمائهم أنهـــاراً ؟؟ كان المبنى المقابل لمديرية الأمن، مسرح المنصورة القومي مبنى قديما فأنهار، ولم يأخذ الانفجار الهائل إلا شيئاً يسيراً من زاوية من زوايا مديرية الأمن، وبقى المبنى قائماً كجبل لم تهزه ريح. اصطدم الانتحاري بالسيارة بالزاوية التي كان يخرج منها نورٌ ساهر. ولما كان المبنى راسخا، جاءت الهزة عنيفة، والتفريغ الهوائي بالانفجار عاتياً فتهشمت تماماً الأبنية الزجاجية المحيطة بمديرية الأمن، واستحال الزجاج داخل مديرية الأمن جذاذاً، تقاطع مع ابن آدم الضعيف وتطاير يقتله. كان بالزاوية هذه، في تلك الساعة المتأخرة، الواحدة بعد منتصف الليل، اجتماعاً لقيادات من الشرطة فراحوا جميعاً ضحايا. وأحس سكان مدينة المنصورة الهزة العنيفة حتى الذين في أطرافها. وعقب الانفجار الهائل، خرج الآلاف من منازلهم.. المقدم؛ سامح عبد الفتاح" رئيس قسم العمليات " في ذلك الوقت* أحد مصابي التفجير يروي: لم يمر وقتها على وفاة والد زوجتي سوى ثلاثة أيام؛ رتبة شرطية كبيرة قتل أيضاً في حادث إرهابي، وكنت في مكتبي، وكان أعلى مدخل المديرية، في الجانب الآخر للمبنى البعيد عن التفجير، وفي نحو الساعة الثانية عشرة وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل سمعت صوت انفجار ضخم، أعقبه صراخ وأصوات استغاثة ونحيب وظلام دامس، ورأيت وُجُوهاً لم أرَها من قبل داخل المديرية. واقترب مني عدداً من المواطنين، لا أتذكر منهم سوى (خيري محمد الجو جري) أحد أصدقائي الذي جاء مسرعاً بعد سماعه الدويِّ. ولم أدر بما حدث، ولم أفق من الغيبوبة التي دخلتها إلا بعد أُسبوع من وجودي في مستشفى المعادي العسكري. في المستشفى حاول الجميع أن يخفي عني ما حدث، وكنت أريد أن أطمئن على زملائي، وبعد إلحاح مني أخبرتني زوجتي بما حدث.

استشهد صديقي المقدم سيد رأفت. وصاحب القلب الطيب العميد سامح سعودي. وفاضت عينا مجاهد وزوجته وهما يتابعان الصورة عبر برنامج العاشرة؛ مكثت في المستشفى شهوراً. بعدها سافرت لاستكمال العلاج في انجلترا، والآن في حال أفضل، لكني لم أستطع العودة للعمل حتى الآن لوجود نسبة عجز في ذراعي اليمنى، وأخضع لجلسات علاج طبيعي..

وقال المقدم محمد زين، رئيس قسم التحريات: كان يوماً صعباً علينا جميعاً؛ كنت على وشك مغادرة مكتبي، وقمت بجمع متعلقاتي للعودة إلى المنزل، إلا أن هزة عنيفة رجَّت المكان من حولي، وفجأة فقدت الوعْي. ولما عاد لي وعي، فوجدت خراباً، ونقلت إلى المستشفى مع زملائي، وكان لدينا إصراراً للثأر لشهدائنا، وتمكنا من ضبط مرتكبي الواقعة، وعاد الأمن من جديد إلى الدقهلية، والحمد لله هي من أكثر المحافظات الآمنة الآن بفضل جهود جميع أفراد الشرطة..

وقالت زوجة المقدم سامح سعودي؛ أنها مرت بلحظات عصيبة عقب تلقيها نبأ استشهاد زوجها في العام الماضي، خاصة أنه ترك لها أولاداً ثلاثة، سما، ونُهى، ومحمد. بنتاها لم تتقبلا الأمر في بدايته." سما " البالغة من العمر عشر سنوات ظلت تردد لفترة طويلة: أنا عوزه بابا يرجع ؟. وقالت الزوجة الثكلى: أنا متأكدة أن الله سبحانه وتعالى هـ يعوضني خيراً في أولادي. زوجي كان رجلاً ملتزماً في عمله، محباً لأداء واجبه، الجميع يشهدون له بحسن الخلق، فبأي ذنبٍ قتل ؟. وبكت، وبكى لبكائها مجاهد، وكان قد شاهد الدَّمار حول مديرية الأمن؛ سيارات مهشمة، وأخرى من شدة الانفجار عجلاتها للسماء، مقلوبة على ظهرها. وثياب، ووجهات لمحال طارت، وكُبْكِبَتْ الأشياء بعضها فوق بعض. وأسرع الأهالي في هذه الساعة المتأخرة إلى المكان وشوهدت سيدة يحجزها ذووها وهي مفجوعة تريد أن ترد بين الحطام وهم يمنعونها.. وانتهى الفيديو ووقف دوران الصورة،

فأظلمت، وظهر هذا الشعار لمرتكبي الجريمة.. دائرة بداخلها خريطة للعالم، ونسخة من القرآن مفتوح، إلى جواره بندقية آلي فوهتها نحو السماء مشروعة، وَكُتَبَ على برواز الدائرة شطر آية.. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ، ويكونَ الدينُ كله لله.. وفي الأفق تلوح سيارة مفخخة قادمة. وأسفل الشعار، أسفل الصورة، الجماعة المنفذة للتفجير تعلن عن نفسها: أنصار بيت المقدس. وهذه العبارة، عبارة.. يا قدس قادمون. فبادرهم مجاهد بهذا الدعاء:

- قاتلكم الله ؟.. وقصَّ على زوجته: في الفتنة الكبرى واقتتال المسلمين زمن أمير المؤمنين عثمان، جاء رجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألم تسمع ما ذكر الله في كتابة " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا.. فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.. فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟. قال يا ابن أخي أعَيَّر بهذه الآية، ولا أقاتل، أحبّ إليّ من أن أعيّر بالآية.. ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً.. قال، فإن الله تعالى يقول.. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةً؟. قال: قد فعلنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلاً، وكان الرجل يفتن في دينه، إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كَثُرَ الإسلام فلم تكن فتنة. وأتى رجلان في فتنة الزبير إلى ابن عمر فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج ؟ قال: يمنعني الله أن حرَّمَ عليّ دم المسلم. قالوا: ألم يقل الله: وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةً، ويكونَ الدينُ كله لله..؟ قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدينُ كلُّه لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنةً، ويكون الدين لغير الله..

* * *

وكان شريفاً في الخصومة، وكان مدير المديرية يكذب، ويرهب بسلطانه بعض الذين على رؤوسهم بطحات، يستذلهم بها، يحرضهم ضده، لم يترك سبيلا مائلاً إلا سلكه. وقعت في يده صورة البرقية التي أرسلها إلى رئيس الوزراء، فأرسل فوراً مدير إدارة الشئون القانونية إلى إدارة الاستخدام الخارجي، وأمهر البرقية بعبارة هام وعاجل، لإجراء التحقيقٍ.. كيف يترك العمل المدعو، مبالغة في أهانته، ليتآمر ويحرض العاملين بالمديرية ضد مدير المديرية وإحداث قلاقل تضر بالشأن العام؟.فردَّ هذا الادعاء الصارخ:

- كذبٌ مُفترى !!. فسأله..ناجي؛ مدير الشئون القانونية، فقال:
- ما هذه العبارة البليغة يا مولانا !؟. قال:
- الصدق؛ أثناء سيري للقيام بحملة مشتركة مع مكتب تفتيش عمل ثان المنصورة على بعض شركات إلحاق العمالة المصرية بالخارج مرَّرت بالمخازن أسأل عن مديرها السابق، فلان، وكان بينه وبين مدير المديرية خصومة الكل يعلمها، أعلمني بتضرره هو وطاقم موظفيه من عزم مدير المديرية نقلهم إلى المجزر. فأردت تعضيد شكواي لدى دولة رئيس مجلس الوزراء ببعض توقيعات للمتضررين، من تعسف مدير المديرية وسوء استخدامه للسلطة، وإضافتها إلى توقيعات زملائي بإدارة الاستخدام الخارجي على البرقية - وكانوا جميعاً قد وقعوا إلا الخلية الإخوانية النائمة؛ مخيول- وقص، فلمحت من شباك الحجرة عنصراً من المخازن أعرفه شكلاً، ولا أدري على وجه الدقة ما اسمه، ولا صفته، فأومأت إليه ؟ دون أن أغادر مقعد القيادة، وقد توقفت بالسيارة في الشارع للحظة. فخرج إلـيَّ الشخص، فسألته عن مدير المخازن الذي صمم على تصعيد الخلاف بينه وبين مدير المديرية بعدم الإدلاء بأقواله إلا إمام النيابة الإدارية. قال: الأستاذ شعبان خرج معاشا منذ أكثر من شهر. وأخبرني أنه خَلَفَهُ كـ مسئول جديدٍ للمخازن. فسألته

وأنا لا أزال جالساً في مقعد القيادة: ألستم متضررين من عزم مدير المديرية نقلكم للمجزر؟. بلى، أجابني في لهفة، فقلت، فإني عازم على إرسال فاكس إلى رئيس الوزراء بخصوص تعسف مدير المديرية وسوء معاملته للعاملين، وسوء استخدام السلطة، فهل ترغب في التوقيع معنا؟.قال؛ نعم.فدفعت إليه البرقية وقلت: ها؛ اقرأ ووقع هنا ؟. فتخابث: سأدخل فأجمع عليها توقيعات جميع العاملين لدي بالمخازن ؟.. وغاب دقيقتين ورجع بالبرقية دون توقيع، وقال مبرراً لذلك: هو لم ينقلنا بعد. سننتظر. فإذا نقلنا بعثنا بمثلها. فَغَضِبَ عليه وقال لهذا العنصر الرديء المراوغ: لو قام مدير المديرية بتعليق أرجلكم بالسقف فأنتم تستحقوا ذلك!. ومشى إلى مدير منطقة المنصورة وكان في طريقه، على بعد خطوات منه، فدخل فاستدعاه إلى الخارج فحدثه عن عزمه: ذكرت لي قبلاً أنك لا تحب فلاناً، وأنَّ من صفته، كذا وكذا؟. قال: نعم. وأنا أعرف أن الأنا عنده مرتفعاً، وأنه نرجسياً جداً. لذلك أنا طوال الفترة الماضية لم أصعد إليه غير مرة أو مرتين، وهو يتحاشاني، لكنه لم يُسئ إليِّ. فعارضه: لكنه يسئ إلى غيرك، ويهين من يتعامل معهم، ويتعسف في استخدام السلطة، فهل إذا أساء إلى غيرنا، ولم يسئ إلينا، لم يتوجب علينا الشهادة ؟. قال: آسف يا شيخ ؟ أنا الآن ضيف على المديرية، لم يتبق لي من مدة خدمتي إلا شهرين، أود أن أقضيهما في سلام؟. أنا خارج معاش في سبتمبر. فغضبٍ، فأكدَ عليه: ألن توقع معنا ؟.قال: أعفني يا شيخ . واستتبع في فتحة صدر، أنا لست ممن يشتكِي، ويأخذ بطريق البرقيات؟ أنا آخذ حقي بيدي ؟. فزهد فيه، وعلم أنه مدع شجاعة. وليس بشجاع. وقرأ عليه ناجي من نص البرقية.. عناية دولة رئيس الوزراء، المهندس، إبراهيم محلب. العاملون بمديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية يجأرون من التعسف وسوء استخدام السلطة من

السيد مدير المديرية، فلان..إلى الدرجة التي كاد العاملون في المديرية أن يَقَعُوا به ؟؟

- س، ما هو قولك فيما وجهه إليك السيد وكيل الوزارة مدير المديرية من أنك تركت العمل وذهبت إلى وحدات المديرية لتقوم بتحريض العاملين ضده لإحداث القلاقل التي تضر بالشأن العام وصالح العمل ؟. فعزم في نفسه، أن خير وسيلة للدفاع الهجوم، وتذكر نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسوله موسى وقد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، والدخول إلى بيت المقدس، فاعتذروا بأن هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها يوجد بها قوماً من العمالقة الجبارين وإنا لا نقدر على مقاومتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها. فحرضهم رجلان لله عليهما نعمة مشجعين، منهضين لهم على قتال عدوهم.. أُدْخلوا عليهمُ الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون.. فتحدث إلى المحقق في حزم:

- لم أترك العمل، وها تقريري اشتراكنا في الحملتين اللتين قمنا بالأمس مع مكتب تفتيش عمل ثان المنصورة. التقريران يثبتان أننا أدينا واجبنا المنوط بنا في ذلك اليوم خير قيام، واستخرجنا بموجبهما في حق الشركتين مناط التفتيش مخالفتين تعرضان على سيادته غداً أو بعد غد لأخذ موافقته على تحرير محضرين ضد الشركتين، وهو ما يؤكد أننا قمنا بعملنا بكل دقة وأمانة ولم نقصر. أما ادعاء أننا قمنا بتحريض العاملين في المديرية ضد السيد مدير المديرية فهذا مجافي للحقيقة، بل سيادته هو من يحرض العاملين بالمديرية بعضهم ضد بعض، ويفسد علاقة التعاون بين الإدارات. فَسَلْهُ: كيف وصلت إليه صورة الفاكس الذي أرسل بالأمس إلى دولة رئيس الوزراء؟. وكان ذلك بعد الانتهاء من عملي وقيامي بمهمة التفتيش. وحكي له من حكاية؛ مسئول المخازن الغير أمين الذي عين في مكان المفروض أن صفة من يعين عليه أن

يتصف بالأمانة، هو، بتحريض من وكيل الوزارة، من قام بتصوير الفاكس على آلة التصوير بالمخازن، ونقله إليه. وإلا ما كان المفترض من سيادته أن يقبل منه صورة الفاكس ويرحب بالوشاية؟ وقال، ولمَّا كان مشروع دستور جمهورية مصر العربية ٢٠١٣ في مادته ١٤ نَصَّ على أن الوظيفة العامة مهمتها.. رعاية مصالح الشعب. وأنه نصَّ في مادته ٨٥ باب الحقوق والواجبات.. أن لكل فرد حق مخاطبة السلطات العامة كتابة وبتوقيعه.. ونصَّ كذلك في مادته ٩٧.. أن حق التقاضي مصون ومكفول للكافة. لذا قمنا بشاكية سيادته لدولة رئيس الوزراء للأسباب التي بينا. وأن العاملين بالمخازن هم من كانوا قد جاءوا إليّ مراراً للشاكية إبان. فابتسم ناجي فسأل: وما معنا كلمة إبّان يا مولانا؟ قال: أي وقت أن كنا مجاورين لهم في المقر القديم للإدارة. جاءوا يشتكون إليَّ من تعسف مدير المديرية ومن سوء استخدامه للسلطة، وتضررهم من مشروع نقلهم من المختلط إلى المجزر. وأنهم تكلموا مع سيادته في تضررهم من نقلهم إلى مكان ناءٍ، أطراف المدينة. فقال: لم أكن لأرجع في قرار قد اتخذته. وقد حدث نفس الشيء معنا ونقلنا نقلاً تعسفياً إلى هنا. وعندما طالبنا بالعودة للمقر القديم الذي ظللنا فيه سنيناً لمَّا وجدنا المكان الجديد لا يستوعبني والزملاء، وأنه غير مجهزاً بخدمة النت التي هي عصب عمل هذه الإدارة فقال سيادته لي: انسه.؟ ولأن العمل لدينا ارتبك ارتباكاً شديداً منذ نقلنا منذ عدة أسابيع حتى الآن، ولا نستطيع أداء واجبنا الوظيفي. وفاض كالسيل.. ولأن سيادته يهين كل من يتعامل معه، ويسئ استخدام السلطة؛ دخل علي يوم كذا. كان يمر على بعض الإدارات، ولأنني لم أقم بترك عملي لأدور في الزفة، وجلست على مكتبي أؤدي عملي. جاء سيادته، فوقف على الباب وأهانني أمام جميع الزميلات والزملاء قائلاً: ألم تعرف أن رئيسك هنا فتقف؟. وتلك إهانة بالغة. قد نصّ دستور ٢٠١٣ في مادته الـ ٥١

نَصَّ، أن الكرامة حق لكل إنسان ولا يجوز المساس بها وتلتزم الدولة باحترامها وحمايتها. واسأل جميع الزميلات الموقعات معي على البرقية وليس فيهن واحدة من غير هذه الإدارة، فهن متضررات مثلي، سلهنَّ عن هذه الواقعة البالغة الإهانة. وأنا مدير هذه الإدارة، وأنه كذلك يعرقل العمل ويحرضهن ضدي ؟. فعبر مدير الشئون القانونية، خارج نطاق التحقيق، وقال في حماس:

- يا مولانا لا أحد يستطيع أن يهينك، فشخصك الكريم محل احترام وتقدير من الكافَّة، وسنعرض الشأن على سيادته.؟. ولأن جميع الزميلات أقررن بجملة تلك الوقائع، اضْطُرَ سيادته إلى حفظ التحقيق، ولم يستطع إحالة أول تحقيق خاص بمجاهد إلى النيابة الإدارية، واعتبر ذلك نصراً. لكن في ذات الوقت كان فرار ابن أخيه، واقتحام الشاب الآخر، ابن فلان، حليف الإخوان الإمامة لجميع الصلوات. لم يعد هذا الغر إلى التريث فيدخل القبلة حين يومئ إليه، بل اقتحم إليها اقتحاماً دون أن يلتفت، وكأنه أضحى أمامهم الراتب، وكأن شخصه بات نكرة. وبان فخر الولد بنفسه، لمّا لمح إعجاباً من العوام لصوته الرقيق، وتطريبه. ولم يقتصر اقتحامه للمغرب والعشاء كلاهما، بل اقتحم لصلاة الفجر، وَجَارَ على الأخ الذي عُيِّنَ لها، وكان في عُمْرِ أبيه، إلا أنه كان كثير التردد، لا يرد القبلة إلا أن يحثه إليها مراراً، ويطالع إليه في أسفٍ، فكيف يؤمّه وهو شيخه !؟. فغضب لتردده، ونظر إلى الشاب في شدة بغض ليَرْدَعه، فلم يأبه لنظرته. فأرسل إليه من يعظه ويذكره، أن صلاة الفجر هي لفلان. فجاءته الإجابة: الناس تطلبني، وأنه الأجدر للإمامة. وكان عبد الناصر من أرسل إليه ليؤنبه، أنّه أصبح لا ترك القبلة لغيره حتى في صلاة الظهر والعصر اللتين لا تحتاجا لترقيق صوت ولا لتطريب. فذكر أن فرد الإخوان

قال لوالد الشاب في حضوره، هذا الولد أولى ألا يُهْمَلْ، و أحق بالإمامة. فأجاب عبد الناصر:

- إن الشيخ مجاهد هو من قدمه، ولا ينبغي أن يدخل إلى القبلة حتى يومئ إليه ؟. فردَّ فرد الإخوان في شدة بغض:
- ومن أعطاه هذا الحق ؟. قال:
- أعطاه؛ أنَّه فينا الأقرأ، والأعلم بالسنة، والأكبر سناً من فلان بن فلان. فجحد هذا الحق:
- بل يدخل إلى القبلة دون حاجة إلى إذنٍه، فهو لا يختلف عني ولاعنك؟. فعجب فقال:
- سبحان الله ! هذا؛ لا يستطيع أن يقرأ آيةً واحدةً صحيحةً، ولا يحفظ جزء عامَّة ؟ شيءٌ غريب ؟. فقال عبد الناصر:
- لقد قلت له منحه ذلك الحق رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: يؤمكم أكثركم قرآناً، وهو يحفظ القرآن، جميعاً عن ظهر قلب. قال:
- فلانٌ يدرس في معهد القراءات، وهو لم يدرس ؟.
- بل قرأت القرآن على شيخي، إبراهيم القلماوي، المدرس بمعهد القراءات غير أني لا أحدث ولا أحب الفخر. فقال عبد الناصر:
- لقد قلت له: فمن يصوبه إذا أخطأ أو يمده إذا احتاج، أليس الشيخ مجاهد؟ فلم يجب. فأكد له: بل أرسله إليَّ أبوه إلي، فشهد معكم جلسة الجمعة حين كان غلاماً، وكان يلحن كثيراً، ومازال يلحن، وفرَّ من الجلسة ولم أجد له التزاماً. وقال:
- هذا الشخص، يعني فرد الإخوان، ما لحق بشيءٍ إلا أفسده !؟..

ولمَّا مر به الشاب، وكان يدخل إلى المسجد، فألقى عليه السلام لم يجبه، لعله يزجر أو يجيء فيعتب عليه، غير أن الولد عاقبه؛ فأسرع، عقب الصلاة، مُتَعَمَّداً

أن يجوزه، ومر دون أن يلقيَ عليه السلام أو يكلمه. فغضب فأتبعه: قاتلك الله ؟. واستنكر سائلاً؛ ومن أدبك؟! وكان يعلم أنه أكبر من أبيه بتسع سنين، فجاء الغر ليعاقبه! وكانت جرأة شديدة من الغلام أحزنته، لا يفعلها هو مع من يكبره. والناس في بلادة تنظر ولا تحرك ساكناً؛ فحدجه بنظرة بغض وقال يسمعه:

- يااااه؛ البعيد، ليس عنده رائحة الدم!! وتساءل للأخ حسام أهذا قد أصبح فرضاً علينا كل صلاة ؟!. فأجاب يهدئه:

- يا شيخنا؛ من شابه أباه فما ظلم ؟. قال:

- هذا منزوع الحياء. فرجع حسام، ليمسك بعضده، ويهدئه:

- خلاص يا شيخنا، دعه ؟. ولم يغضب أحد من الناس، ولم يأبه الشاب لشيء، وكبر ودخل ليؤمهم!!.. بل الأعجب ما واجهه ذات فجرٍ، حين نام هذا الغر عنه، ولم يصادف وجوداً لأحدٍ غيره، وأبى أبو سريع، ومساعد السائق الذي يصيح، جديلة، والذي في قلبه مرض، وأقيمت الصلاة، وتخلف جميع إخوانه. فوقفوا جميعاً متربصين، لا يدرون من سيدخل فيصلي بهم ؟. هو يأبى لأنه تركها. ويأبى أبو سريع لأنه مُنعها. فتلفت جاهل فلمح ابن الذي في قلبه مرض داخلاً المسجد فصاح فرحاً وكأن لا وجود له:

- جاء الأستاذ فلان. وأردف يحثه، صَلِّ بنا يا أستاذ فلان. فهرول الأخير إلى القبلة. وواجههم ولم يلتفت إليه، وكان قبلُ مهما استدعاه لها، يرفض رفضاً باتاً أن يؤم في حضوره. فآسى في نفسه؛ الحمد الله على كل حال؟. وعقب الصلاة نهض خارجاً من المسجد وهو يشعر بمقته للجميع. واستمر يفعلها؛ ليعلن بخروجه السريع من المسجد عن عدم إقراره للتصرف، المخالف للسنة، كلما اقتحم القبلة في حضوره ابن الذي في قلب مرض. فاستوقفه ليحدثه

ويصافح، وكان يبدي له تقدراً كلما لقيه، رغم الخلاف الذي يعلمه بينه وبين أبيه:

- لاحظت أن حضرتك فعلت شيئاً ما كنت تفعله؟. جعلت تنصرف عقب الصلاة، ولم تعد تجلس للأذكار التي بعدها، بل تسرع بالخروج، وكأني بك غير راضٍ. فامتن لاهتمامه، في نبرة حزينة، وقال:
- أحياناً لا يحتمل قلبي، فأبادر بالخروج من شدة الهم، والشعور بالغربة. قال:
- يا مولانا، هذا يحدث من شدة انتشار الجهل بين هؤلاء فلا تأس. فشكره. وانتظر أن يفعل أمام هؤلاء، تطييباً للخاطر ويعلمهم الأدب، ولو مرة واحدة، أن يعزم عليه قبل أن يبادر إلى القبلة- وهو لن يفعلها، ولو أقسم عليه أمام الجميع. وأبداً ما كان لم يفعلها، بل يبادر، فيعطي ظهره للمأمومين، ويشرع في الصلاة، ويحدث بجملة سريعة على استحياء.. استقيموا إلى الصلاة، ويسرع في الصلاة دون أن يلاحظهم استقاموا لها أم لم يستقيموا، تحاشياً النظر إليه. فكان لا يجد إلا أن يبادر بالخروج عقب الصلاة ويواسي نفسه فيقول: هذا يؤثر على الحق رضاء أبيه، وهل ينتج الحنظل إلا حنظلاً!.. والأشقى؛ أنه كلما عاد إلى البيت مغتماً، يلقى من زوجته تقريعاً. وإذ يقصُّ عليها ما يلقاه من سوء الأدب تتساءل غاضبه:
- وهل نحن لن نرتاح من موضوع المسجد هذا أبداً ؟. أتظلون طول عمركم، تتشجارون على الإمامة ؟؟.
- نتشاجر على الإمامة!؟ .يستنكر عليها، فترجع عن التقريع الشديد؛ وإن ظلت تلومه:
- فعلت كل ما تستطيعه؛ فأرح نفسك؟. أم سنظل عمرنا كله في هذه الحرب ؟؟. فيخبر في ضراعة:

- فقط، نريد أن نصلي في صلاةً صحيحة ؟. قلت لابن هذا، يعني الذي في قلبه مرض، أنت تقرأ اهدنا الصَّراط، بفتح الصاد؟ والصحيح، الصِّراطَ، بكسرها، فاستكبر، فقال:
- بل أنت من سَمِعتها كذلك. لم يحدث أحدٌ أنه سمعها مني؛ صَراط. وهو من قال لي: إن هؤلاء ينتشر الجهل فيهم، فمن ينتظر أن يحدثه أن قراءته لفاتحة الكتاب غير صحيحة. ثُمَّ هو لا يمكث، فيقيم صلبه من الركوع، ويطمئن. والاعتدال من الركوع والاطمئنان فيه ركن، والإخلال بذلك يجعل الصلاة غير صحيحة. وإذا كانت الصلاة سرِّية، لا يطمئن في قراءة الفاتحة. قالت:
- صل هنا أو اذهب إلى مسجد غيره، ودعهم يهلكون أنفسهم ؟. فيخبرها محزوناً:
- لا ينبغي لمثلي أن يهزم، ويترك الجماعة، ليصلي في البيت ؟ ثمّ أين المسجد الذي أذهب فأصل فيه؟. أقرب مسجد، مسجد التأمين الصحي أو سندوب، ويستحيل المحافظة على الذهاب إلى هناك في كل الصلوات، لطول المسير؟. فتنقلب غاضبة:
- فاصبر على أذاهم، ولا ترجع إليَّ من كل صلاة نَكِداً؟. وتصيح:
- أنا لم أعد أحتمل منك ولا منهم هذا ؟!.. الحسنة التي جعلت تؤلف بينهما هذا الغلام؛ السيد محمد السيد، ابن الثلاثة سنين، ابن أميرة الصغيرة- وبهذا الإطلاق يميزونها عن أميرة " الكبيرة " زوجته، وعمتها .دُخلَ بأميرة الصغيرة بمجرد بلوغها الثمانية عشر عاماً، وكان زوجها هو الآخر ابن الواحد والعشرين عاماً، وحيد وَالِدَيْه، طالب في كلية أصول الدين، يأخذ السنة في سنتين!، لم يفلح حتى تاريخه في الحصول ليسانس أصول الدين، غير أنه يعمل وهو طالب في ثانوي، وعمل كذلك وهو طالب في الجامعة، ولم يُعَوِّل على دراسته الأزهرية كثيراً. فأراد أبوه أن يفرح بخلفته، فخطب له أميرة،

وهي طالبة في ثانية ثانوي، وكان أبوها قد رحل عن الدنيا صغيراً، ابن خمسين. ولم يتلبث هذا الأبُ المُتَمَنِّي أن رحل فجأة دون أن يفرح بخلفة ولده، وكان يدعى السيد، كما كان يدعى المرحوم والد أميرة الصغيرة. ودخل الزوجان بمجرد حصول أميرة على الشهادة المتوسطة، وبلوغها ثمانية عشر عاماً، وهي السن التي يُسمح أن يكتب فيها على المصرية، حتى يكون الزّواجُ موثقاً. وكان والد الشاب ميسوراً، ترك لابنه فدانين زراعيين، وبيت على أربعة طوابق به بعض السُّكان، وآخر على طابقين يسكنه وأمُّه، ومعاش عن أبيها، وكان يعمل في الحكومة، أما هو فكان فلاحاً، لا دَخْلَ له، سوى الفدانين الزراعيين. ودخلت أميرة الصغيرة في البيت الذي يسكنه بعض السكان، في الطابق الأخير منه. ولأن الأم لا تستطيع أن تنفك عن وحيدها الذي رجع يبيت في حضنها بعد رحيل والده. فلمَّا دخل الزوجان أخذت تغار، وآست لفراق زوجها، وذهاب وحيدها إلى حضن غيرها، وللنساء في ذلك أطوارٌ غريبة، فما انْفكت الأم تنقم على البنية، وتَسْتعبدها لكل شيء، لا لشيء، إلا لتلك النعمة التي منت بها عليها، أن زوجتها وحيدها. وتدخلت في حياة الزوجين، في كل صغيرة وكبيرة حتى في العلاقة الحميمة، وحدثت البنية بكلمات خادشة للحياء، إلى درجة إلف أميرة بعض الكلمات الخارجة، التي لا ينبغي، أبداً، لمن هنَّ في سنها، ولا من وسطها أن يتحدثن بها، فكان يقع بينها وبين عمتها الخصام إذا جرى على لسان البنية من تلك الألفاظ التي لم يألفوها تتحدث بها حين كانت بينهم. وحدث لها من عمَّتها- أميرة الكبيرة- باستمرار تقريعاً شديداً، وكانت لا تنفك تخاصمها كلما التقتا في بيت الأسرة، حتى تقلع عمَّا تعلمته من المرأة صاحبة اللسان الزفر، أمِّ زوجها !!. ولأن الزوج كان لا يزال يأخذ مصروفه من أمه، كان لا يستطيع أن يخالفها في شيء، يحيف على زوجته حيفاً كبيراً. وحدثت جلسات كثيرة للصلح. ونفد صبر الفتاة

للاستعباد، والشتم، خاصة عندما تعدى إلى المحروم أبيها، وكان ذا خلق، عزيزاً على الجميع، فردت على أمَّه الشتم، فضربها ضرباً شديداً، وكان قد أخذ ذهبها بدعوى باطلة رغم أنه أزهري، قالت أمه: الذهب ملكنا لأنَّا من دفعنا ثمنه، رغم علمه أنه صَداقُ البنية، نَحلة خالصة لها طبقاً للشرعة. زعمت أمه، أنه يحتاج لشراء بعض أغنام، يربيها للاتجار، ليستعين على المعيشة. فأعطته أميرة ذهبها لضعفهما في مواجهة أمِّه، وكانت لا تمتنع أن تشتمه بأبيه، وتقذفه بالنعال إن حاول الدفاع في موقف حق عن زوجته، فيفر من أمامها خارجاً من البيت. ويعود إلى التذبذب بينهما، ثم ينقلب على زوجته. بل تعدي عليها مراراً بالضرب المُبَرّح. فنفد صبرها، وذهب احترامها له- وكان أهلها يكظمون الغيظ، يدهشون لصبرها على الاستعباد والإهانة وضعف الزوج عن أخذ حقها، تخذلهم كلما همُّوا بالتدخل، تود لو تعيش- وصدق الشعراوي في موعظة له، ذمِّ فيها موقف رؤساء الدول العربية: من أراد أن يكون قراره من رأسه، فليكن طعامه من فأسه- ففاض قلب البنية مقتاً للزوج ولأمِّه، فكالت لهما مِمَّا كالاها، فضربها ضرباً مُبَرّحاً، فوصفته بأنه ليس رجلاً، وأنها خارجة من هذا البيت الملعون، لتدعه يرجع لحضن أمه.. وعادت للبيت الذي فيه درجت وهي حامل. ولأن الزواج وقع سريعاً لزوج لم يشق في إنشاء البيت، وقع الفراق أسرع.. في بيت أبيها وضعت- وهي لم تبلغ بعد عامها العشرين- السيد، أسمته كذلك على اسم المرحوم أبيها، وعلى اسم والد زوجها الذي اشترط كي يذهب لتسجيله بوزارة الصحة ويعترف بنسبه إليه، أن يسموه " السيد " على اسم المرحوم والده، وكان ذلك شنيعاً مريباً، زادها منه نفوراً وكراهية !!. واسترعت السيد وفي بيت أبيها، فَغُذِّيَ فيه. وأبدى مجاهد فيضاً من المودة، وعرض وعمتها أميرة الكبيرة، لنفقة هذا الغلام، ولكل ما تحتاج إليه الأم الصغيرة من

مصاريف كسوة، وبعض الطعام الذي تشتهيه، ومصروف جيب. واستدعتها عمتها للعمل معها في الحاضنة. فبالإضافة إلى مساهمة جدتها لأبيها بعد إضافة راتب الحضانة، وكان زهيداً، مائتي جنيه، لا يكفي علاج الطفل إذا مرض، ولا ثمناً لما يحتاجه من لبن للتغذية، لأن أمها لجهلها، ولقلة درايتها، لم تفطن لجذب حلمة ثدي الأم الصغيرة بعد الولادة مباشرة، فعسر على الطفل الرضاعة، وامتصاص اللبن من الحلمة الغائرة في الثدي، فدرج هذا المسكين منذ ولادته على الرضاعة الخارجية. ولأن الزوج وأمَّه البخيلة، لم يبادرا بإرسال مليماً واحداً نفقة الغلام، بل جعلت تحرضه كلما حَنَّ إلى الطفل: دعهم يربوه لك، وسيعود إليك في النهاية جسيماً، فهم يلهون به، ويحرموننا منه ؟. فتكفلت جدتها لأبيها بنفقة الرضاعة الخارجية. أمّا الحفاض الشهري لبول الغلام وغوطه، وبالإضافة إلى الثياب الجديدة له ولأمه، خاصة في العيدين، وفي كل مناسبة سعيدة، فتكفَّل به مجاهد عن طيب نفس، وكان يقول لزوجته، أميرة الكبيرة، عَمّتها:

- إياك أن تشتهي البنية أو تحتاج والغلام إلى شيء ؟ فلا ينبغي أن نجمع عليها هَمِّ الحاجة، وهمَّ فراق عشرة الزوج وهي صغيرة ؟ كل ما تحتاجه لنفسها وللغلام نغنياهما. ويقسم، والله إن هذا ليسعدني، كان أبوها السيد، أحبكم إليَّ، وإني لأكره الموت، ويخفف عَنِّي منه أن ألقى مثل أخاك في الدار الآخرة. كان سلم لقضاء الله، هيناً ليناً على غير صفتي الحادة. ودوداً سلم القلب كأميرة الصغيرة. على غير صفتك الشاكة والغير ودودة..!!.. وكان مدير المديرية بعد برقية رئيس الوزراء يسلط عناصر من إدارة التفتيش المالي والإداري كل يوم، وأحياناً في اليوم مرتين للتفتيش على الحضور والانصراف لعله يُمْسك بشيء يَسْتَّذله به، ويكسر عِزَّته بتوقيع أكبر الجزاء عليه، فوجد الإدارة تعمل كأنهم موظفو بنك، لا وَهَنَ، مشغلون بإنجاز

المتعاملين، وكانوا جميعاً أمناء فائقين، على رأسهم هو. فجزئيات وفنيات نشاط إلحاق العمالة لم يستطع مدير المديرية أن ينفذ إليه منها أبداً، وكان قوي الحجة يهابه كل أصحاب هذه الشركات، غير أنه مع الهيبة كانوا يوقرونه، لأنهم يجدون عنده حلولاً لمشكلاتهم جميعاً. وكان يقول لزملائه يثبتهم: هذا، والله، يدفعنا بتسليط جنوده علينا، الالتزام بأكل الحلال. فصاحت مسئولة الصادر والوارد: وهل كنَّا نأكل حرامًا يا شيخ مجاهد !؟ أو لسنا ملتزمين حتى يأتي هذا فيعلمنا الالتزام !؟. فأخبرها: لكني أراكم مهمومين بتسليطه. هذه البلدة؛ مصر، والله بلدنا، ليست بلدة لأحدٍ غيرنا؟. ويسرر هن إذ يلمز تاريخ مدير المديرية مع الحزب الوطني، وزمن الإخوان وتعلقيه شعارهم على ياقة بزته، واليوم يسوق علينا الشرف، لا لجرم اقترفناه، فقط لأننا أعزة، نكره البغي. فليكن همَّكم قضاءَ حوائج الناس، فهذا، والله أجره عند الله عظيماً؟. ولن ينال هذا منّا مهما يسلط جنوده..إن وَلِيّيَ اللهُ الذي نَزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين .. وظل مسيطراً بالحجة والإكرام، والدفاع عن عناصر هذه الإدارة، فلم ينفذ مدير المديرية إلى لُحْمتها، وكنَّ جميعاً متحابين سهل القيادة، حتى الزميل عبد الحي الذي يَفْرقُ من المسئولية، ومخيول، الخلية الإخوانية النائمة. فمكر مدير المديرية مكراً عظيماً. أدخل عنصراً شيطانياً مشهوراً بالمشاكسة وعدم الانضباط، موظفً رِذِلٌ، بل رذل جداً، يدعى الشر بيني؛ مُقدراً أن يخرج معاشاً في نهاية ٢٠١٥م أي بعد عام ونصف العام تقريباً، بائعٌ لقضية الوظيفة من يومه. ولأن مدير المديرية قد نقل للإدارة منذ شهرين، استرضاءً لمجاهد، وتحفيزاً لقبوله النقل، زميلة منقبة بدلاً من الزميل عبد الحيَّ، الذي خرج معاشاً منذ عدة أشهر. وكانت الزميلة أيضاً من النوع المسالم السهل الأمين، فتعلمت عمل الإدارة في عمر وظيفي قصير جداً- أقل من شهرين- فلماّ نمى إلى علم مجاهد صدور الأمر بنقل " الشر بيني " إلى

إدارة الاستخدام الخارجي، ثُمَّ جاءه أمر إداري مفاده.. وكيل الوزارة، مدير المديرية؛ قررنا نقل السيد/ فخري مرسي الشر بيني من إدارة تراخيص الأجانب بالدرجة كبير باحثين إلى إدارة الاستخدام الخارجي اعتباراً من ١٧/ ٧ / ٢٠١٤. فصاح الجميع تحذيراً: إياك يا شيخ مجاهد قبول هذا الشخص، وحلوله بهذه الإدارة ؟. ولأنه كان قد سأل عنه- لمَّا نمى إلى علمه موضوع نقله إليه- سأل عنه كُلَّ من يعرفه أو عمل عنده، فجاءه نفس التحذير؛ إياك، ثُمَّ إياك، شخص يجر على المتعاملين معه كُلَّ المتاعب. فكتب في اليوم التالي: مذكرة للعرض على الأستاذ/ مدير المديرية مفادها .. إيماءً إلى قرار سيادتكم رقم.. بتاريخ.. والوارد إلينا برقم ٥٧٦٤ بتاريخ ٧/١٦/ ٢٠١٤ والذي قررتم فيه، مادة أولى، نقل أ، فخري مرسي الشر بيني من العاملين في المديرية- إدارة تراخيص الأجانب بدرجة كبير باحثين، للعمل بإدارة الاستخدام الخارجي. نحيط سيادتكم بأن الطاقة القصوى للإدارة لدينا أربعة مفتشين وهم متوفرون لدينا جميعاً، ولا يوجد للزميل عمل لدينا بالإدارة، وأن تكديس الموظفين دون حاجة يؤدي إلى عرقلة العمل بالإضافة إلى ضيق المكان. برجاء التكرم بالإحاطـــة

وإمعاناً في المكر السيئ، أصدر مدير المديرية في اليوم الذي عرضت عليه تلك المذكرة الآتي:

قرار رقم.. في ١٧ /٧/ ٢٠١٤..وكيل الوزارة – مدير المديرية: بعد الاطلاع على قرار رئيس الجمهورية..؛ بشأن نظام الحكم المحلي ولائحته التنفيذية. وعلى القانون..؛ بشأن نظام التأمين الاجتماعي وتعديلاته. وعلى القانون.. ؛ بشأن تعديل بعض أحكام القانون.. وعلى قرار محافظ.. بشأن التفويض في بعض

الاختصاصات. وعلى الطلب المقدم من مدير إدارة مركز المعلومات والإحصاء بشأن الحاجة الماسة الملحة بعودة السيدة / أماني لطفي.. إلى إدارة مركز المعلومات والإحصاء، وعلى المذكرة المقدمة من السيد / وكيل المديرية. قرر نقل السيدة/ أماني... من العاملين بإدارة الاستخدام الخارجي بالدرجة الأولى خدمات اجتماعية. للعمل بإدارة مركز المعلومات والإحصاء اعتباراً من ٧/١٧ / ٢٠١٤ بدون بدل سفر ومصاريف انتقال.

ثانياً: على إدارة الشئون المالية والإدارية تنفيذ هذا القرار وإبلاغه للجهات المختصة للعمل به فور صدوره..

فاستدعى الزميلة وحدثها: إن هذا لا يستطيع نقلك رغماً عنِّي، إلا إن أردت أنت ذلك. إنَّه يتعسف بإصداره هذا القرار، ويسيء استخدام السلطة ؟. فأنبأت؛ أنه استدعى مديرة مركز المعلومات- التي كانت تعمل معها قبل انتقالها لإدارة الاستخدام- فاضطَّرها إلى كتابة طلب بحاجة الإدارة الماسة إلى عودتها، وأن الزميلة اتصلت بها تعتذر إليها، لعلمها بعدم رغبتها في العودة للعمل بإدارة مركز المعلومات، لقرب إدارة الاستخدام الخارجي من مسكنها، كما أنَّها ما طلبت النقل إلى إدارة الاستخدام الخارجي إلا من أجل والدتها المريضة منذ ٥ سنوات طريحة الفراش، لا تتحرك إلا أن تحركها، وأنها تهرع إليها بعد عودتها من العمل. ولهذا السبب أيضاً كانت تعمل هنا في إدارة الهجرة التي لا تزال كائنة في حجرة مقتطعة من هذه الشقة التي حلت بها إدارة الاستخدام الآن، بجانب بعض الإدارات؛ إدارة العمالة الغير منتظمة، وإدارة فرص العمل. ولأن إدارة الهجرة متوقفة عن النشاط منذ أكثر من عامين انتقلت أماني لطفي للعمل بمركز المعلومات. وطلبت الانتقال إلى إدارة الاستخدام الخارجي بعد أن انتقلت الإدارة لهذا المكان؛ والآن هي لا ترغب في هذا النقل، لكنها تخشى. وكان قد

وصل ردف الأمر الإداري خاصتها خطاب من المديرية؛ إدارة شئون العاملين؛ هذا نصه..

السيد الأستاذ/ مدير إدارة الاستخدام الخارجي

تحية طيبة؛ وبعد.

برجاء إخلاء طرف السيدة/ أماني لطفي.. من العاملين طرفكم، وذلك لنقلها إلى مركز المعلومات والإحصاء اعتبارا من ١٧/ ٧/ ٢٠١٤. فأعربت الزميلة عن قلقها، قالت:

- أخشى إن لم أنفذ أمر الإخلاء أن يضعني في رأسه، ويتصيَّد لي، لإنزال العقاب ؟. فقال يربط على قلبها:
- - لن يستطيع، طالما أنك لم تتقدمي بطلب نقل، ولا ترغبي في ترك العمل في هذه الإدارة. ومن ناحيتي لن أنفذ طلب الإخلاء. وكانت خائفة جداً، فمضت تنظر إليه فأكد:
- أستطيع حمايتك متى ثبتِ على رأيك. فخفضت بصرها على استحياء تحدث:
- لا أريد أن أترك العمل في هذه الإدارة، بل أرتاح نفسياً مع جميع الزميلات هنا، ولظروفي الخاصة التي تعلم بها حضرتك؟.
- إذن انتبهي! لا تحذري المواجهة! هو من يجب أن يحذر. انظري كيف يدفع الناس ويتواري؟. لم يتخذ القرار بشكل مباشر. وتلا عليها من قرار نقل المدعو/ فخري الشر بيني فقرأ: وعلى الطلبات المقدمة بالنقل من بعض العاملين وموافقتنا عليها. وبخصوصك: وعلى الطلب المقدم من مديرة مركز المعلومات والإحصاء بشان الحاجة الماسة للعمل بعودة السيدة/ أماني لطفي، يَكْذِبُ، وعلى المذكرة المقدمة من وكيل المديرية. وعقب؛ على الرغم أنه قام بنقلك في ٢٨/٥/ ٢٠١٤ من نفس الإدارة يعني منذ أقل من شهرين. وبعد أن

دربناك على العمل وأصبحنا في حاجة إلى مجهودك. هذا يدعي ويكذب، ولا يستطيع أن يواجه بل يرهب فقط الضعفاء. قالت:

- الزميلة مديرة مركز المعلومات، قالت أنها قامت بكتابة هذا الطلب وهي تعلم بعدم رغبتي للعودة للعمل بمركز المعلومات، وأنه اضطرها إلى ذلك اضطراراً . فتساءل:

- فأي مديرة هذه؟!. وأي مدير مديرية، هذا الذي يتوارى ويحرض الموظفين بعضهم ضد بعض ؟؟. فخضعت الزميلة واستمرت عاملة معه بالإدارة. ومن جانبه لم يقم بإخلاء طرفها. فأرسل مدير المديرية في شأنها مدير إدارة التفتيش المالي والإداري؛ موسى هلال، وكان من أحباء مجاهد، وكان محباً للفكاهة. ورغم أن شخص مجاهد ليس بالطويل، إلا أن موسى متى وقف إلى جواره، لن تنهض أُمُّ دماغ موسى، إذ هو أَصْلعُ، أن تبلغ منكب مجاهد، غير أنَّه بالغَ المَكِّر، وكان قد عمل عملية قلب مفتوح، وتركيب ثلاث دعامات، إلا أنه لم يتلبث أن عاد للتدخين. وكان مجاهد إذا ضبطه يعظه:

- يا أخي، حدثتك أن التدخين حرامٌ، ووعدت أنت أن تقلع إذا ألزمتك الحجة، وقد كان. ثمَّ تعال؛ فأنت تستغرق في تدخين سيجارة واحدة عشرة دقائق كما قدرت أنت. وتصلي الصَلاةً المَفْروضة، إن أتقنت، في خمس دقائق؛ يعني أربع سجائر تدخنها وأنت ملازم للمعصية، تكاثر وقت الصلوات الخمس المفروضة. هذا إن أديتها جميعاً. يعني أربعين دقيقة من التدخين، تأكل معصيتهن حسنات الصلوات الخمس في اليوم جميعاً. أفلا تخشى السيئات، وتفخر أنك تدخن علبتين في اليوم !؟. أو يقول له بعد الجراحة:

- يا أخي؟ عملت عملية خطيرة، وشفاك الله وعافاك، أفلا تشكر؛ لا، بل تعود لنفس الآفة؟ شأنُك غريب جداً يا ابن آدم.!؟. فيسرع في القص كذلك:

- لقد عشت تجربة موت حقيقي؛ استخرجوا قلبي وظلوا يعبثوا به؛ عشر ساعات وأنا بلا قلب، أعمل على جهاز!. وتوقف قلبي مرتين بعد أن أعادوه لصدري، فينهضون له بالتدليك والضغط فيرجع يعمل. يا مولانا؟ هذا العبد؛ يشير إلى نفسه، مات فحِيا، لقد كانت الأزمة تأتيني فأشرف على الموت ؟. فيتابعه بالحجة:
- فأولى لك أن تشكر الله؛ فتحافظ على صحتك، ولا تعصيه ؟. فالتدخين حرام. ولقد قام الغرب الغير إسلامي بأبحاث أثبتت أنه مضر بالصحة ؟. فيجادل:
- يا إمام؛ ألم يقل الله.. فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ؟!. قال:
- أطَّلعت الغيب، فعلمت أجلك ؟!. أجاب سريعاً:
- حاش لله. فتابع يؤنبه:
- سَمِعتْ.. فإذا جاء أجلهم. ولم تسمع.. ولا تُلْقُوا بأيدِيكم إلى التهلكة؟..ولا تقتلوا أنْفُسَكم إن الله كان بكم رحيماً؟. يا أخي، وإذا كان أَجَلُك آتيك بسبب أو بغير سبب، فليأتك وأنت على طاعة ؟. عند هذا الحد، ويقلبها موسى هذراً:
- يا مولانا هو وأنا أشرب بانجو؟ كلها سيجارة.؟. يا مولانا؛ قد كنت أشرب الشيشة، ثم بطلتها وذهبت إلى السجائر، وبعد علبتين في اليوم، الآن أشرب بعض علبة، العلبة يبقى منها لليوم الثاني. ويصيح فجأة كأنه وجد ضالته:
- يا إمام، الطبيب نفسه يدخن. ويبالغ في الهذر، الطبيب قال لي: لا بأس من السيجارة، لكن إياك والحشيش؟. فعلم أن استمرار حديثه لن يأتي بنتيجة، فسأله عن سبب زيارته:
- أقابضٌ أنت أم زائر ؟.
- بل قابض. أرسلني مدير المديرية، لإخلاء طرف أماني لطفي. فردّ في حدة:

- لن أفعل. وسأطلب إحالة الموضوع للنيابة الإدارية. كيف يقوم بنقل الزميلة من أُدارة مركز المعلومات، بعد أقل من شهرين، بعد أن تعلمت هنا عمل الإدارة، وأصبحنا في حاجة إليها، يقوم بإعادتها إلى نفس الإدارة! فإما أن يكون القرار الأول خطأً يحاسب عليه؟ وإما أنه يكيد لنا؟ ويسعى لإقحام عنصر مشاغب غير مرغوب فيه، لا دراية له بعمل الإدارة. قولاً واحداً؛ لن أخلي أماني لطفي. ولن يستلم المدعو فخري الشر بيني العمل لدينا بالإدارة. وقد تقدمت بمذكرة في الشأن في تاريخ ١٧/ ٧/ فنصح كذلك:
- يا مولانا ؟ إنك إن أصررت، قام بتشكيل لجنة إخلاء إداري، لكن العبها صح ؟. وانفرد بالزميلة، وقال يحدثها:
- هل ترغبين في النقل من هذه الإدارة، والعودة للعمل بإدارة مركز المعلومات؟. قالت:
- لا. فقال: ولا تقدمتْ بطلب للعودة للعمل بمركز المعلومات؟. فقال موسى:
- انتظر أنت يا مولانا ؟. فقالت الزميلة على استحياء:
- ولا أرغب في ترك العمل في هذه الإدارة ؟. قال: ها؟ وقدم لها ورقة بيضاء، وقال يملي عليها: أقر أنا/ أماني لطفي..من العاملين بإدارة الاستخدام الخارجي بمديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية؛ بأنني لم أتقدم بطلب نقل من إدارة الاستخدام الخارجي إلى أي إدارة أخرى، وأنني لا أرغب في العمل في غير هذه الإدارة التي أعمل بها الآن، إدارة الاستخدام الخارجي. وهذا إقرار من بذلك. وقال اكتبي، فكتبت: المقرة بما فيه؛ وكتبت، أماني لطفي. قال: أرِّخي؟. فأرخت ٢٠ /٧/ ٢٠١٤. ثمَّ خلى بمجاهد نجياً، قال:

" كذا تلعبها صح" وقال يفطمه: أولاً، عندك دليل مكتوب على رغبة الزميلة في عدم ترك العمل معك إذا استدعاها مدير المديرية يرهبها أو يغريها لتغيير موقفها ؟، أضف إلى ذلك حاجة الإدارة الماسة لعملها خصوصاً بعد تدريبها على أعمال

الاستخدام الخارجي، وأنها انتقلت للعمل بهذه الإدارة بدلاً من الزميل فلان، الذي خرج معاشاً، وبناءً على المذكرة التي قدمتها أنت له في هذا الشأن، فكيف يعاد نقلها إلى نفس الإدارة ؟! فأمّا أنه يقوم باتخاذ قرارات غير مدروسة، وهذا إهدار للطاقات والموارد البشرية وإضاعة للوقت؟ أو يفعله كان رد فعل على المذكرة التي قدمتها أنت، يظهر نواياه لإقحام هذا العنصر المشاغب ليحدث لك مشاكل في الإدارة. ؟.. وسطر تقريراً، أرفق به صورة من إقرار للزميلة؛ بأنها لم تتقدم بطلب نقل من إدارة الاستخدام الخارجي، وأنها لا ترغب في العمل في غير هذه الإدارة التي تعمل بها الآن. ورجع بالشأن على مدير المديرية، كأنه عنصر محايد، وليس ساعياً لتحقيق رغبة سيادته كـ وكيل للوزارة. فغضب الأخير، وبكته تبكيتاً، وأنه يسير مع هوى مجاهد. ورفض استلام التقرير منه، وهاج وماج:

- كيف تذهب، وتعود دون تحقيق أمر الإخلاء ؟؟. فقال موسى:
- سيادتك؛ الزميلة قدمت لي إقراراً خطياً أعلنت فيه عن عدم رغبتها للعودة للعمل بمركز المعلومات، ورغبتها في الاستمرار في إدارة الاستخدام، لقربها من مسكن والدتها، طريحة الفراش، تقوم هي على رعايتها. وذكر لي مدير إدارة الاستخدام الخارجي حاجة الإدارة لمجهود الزميلة التي تدربت مدة شهرين على نشاط إلحاق العمالة، وأثبتت سرعة استيعابا ومهارة ؟. فصاح في غضب:
- يا أستاذ؟ يمتنع مدير إدارة عن تنفيذ قرار وكيل وزارة، فأرسلك لإخضاعه، وتنفيذ الأمر الصادر منّا إليه، فتأتني أنت بالمبررات؟؟. ينبغي لك أن تسير في هواي ؟؟. وأراد موسى أن يقول؛ لا ينبغ لي أن يسير في هوى أحدٍ، بل لمصلحة العمل وللحق، فتلجلج. وصاح مدير المديرية في عنصر من سكرتاريته:
- يا عزة!!. فهرعت إليه المسكينة. قال:

- فوراً يجيئني ماهر، وكيل المديرية ؟.. وفوراً جاء يَعْرجُ، وكان يَزُجُّ بإحدى ساقيه قليلاً:
- أمر سيادتك ؟؟. وقام تضعضعا بشكل كوميدي ينتظر إملاء رئيسه الغاضب. فتلبث الأخير هنيهة، لغلبة الضحك عليه، من شدة تذلل وكيل المديرية وخضوعه، رغم أنه الرجل الثاني في المديرية. ثم قال يحدثه، وأمسك عن الابتسامة، يتابع النظر في المكاتبات التي بين يديه، بمهرها بإمضائه، في صرامة:
- شكل لجنة فوراً برئاسة سيادتك للتَّسليم الإداري، لتنفيذ القرار الإداري ٢٨٦، وعضوية فلان من الشئون القانونية، ومدير التفتيش المالي والإداري- وكان قد قال لـ موسى برأسه؛ أن اخرج؟. فخرج قبل دخول وكيل المديرية، يسبه في نفسه من شدة من الإهانة- وتابع مدير المديرية في أمره:
- تنطلق في الثامنة من صباح الغد لتسيلم فخري الشر بيني العمل بإدارة الاستخدام الخارجي. فأجاب:
- عُلمَ سيادتك، ويُنَفَّذ.. وأُرسلت إشارة فورية باستدعاء أماني لطفي للمثول بين يديه، فوراً بديوان عام المديرية، وكانت الساعة الواحدة وخمس دقائق بعد الظهر، وكان مجاهد خارج المنصورة في حملة مشتركة على بعض شركات إلحاق العمالة، فاتصلت به الزميلة على الموبايل وهي خائفة تستشيره في أمر صعودها للقاء مدير المديرية، من عدمه؟. فأجاب:
- لا مانع، ولكن اثبتي. لا يستطيع نقلك من الإدارة، إلا أن تخضعي أنت لذلك، ولا يستطيع أن يؤذيك. معك مبررك..الإدارة قريبة من مسكنك، ومسكن والدتك المريضة التي ترعينها. وأنت مرتاحة في صحبة الزميلات هنا، وأثبت مهارة في أعمال الإدارة. وقلت أنا في تقرير موسى أن الإدارة في حاجة ماسة إلى مجهودك، وأنك تجلسين مع الزميلات المفتشات في غرفتهن،

ولا مكان لديَّ لجلوس هذا الذي يرغب نقله لهذه الإدارة. وقدمت إقراراً برغبتك في الاستمرار بالعمل في هذه الإدارة ؟. قالت:

- أخشى إن رفضت أمر الإخلاء أن يؤذيني. سأتصل بزوجي ليأتي فيذهب معي إليه، وسأتصل بحضرتك أعلمك بما تم؟ فأكد مراراً:

- لا تَخْشِهِ، وعبري عن رغبتك في الاستمرار في العمل بالإدارة، واثبتي ؟.

وانتظر لعلها تجيب، فصمتت. فقال في غَمٍّ وقد استشعر الخَوَرَ:

- مع السلامة !.

- مع السلامة !.

* * *

الفصل الثامن

ألا لعنةَ الله على الظالمين..؟ إذ لمَّا قَدِمَ فخري الشر بيني إدارة الاستخدام؛ الموظف الأرذل، لو اجتمع بشخص، فاستشعر من الشخص طيبةً، كان منتهى أمل الشخص أن يأتي الغد، والمكان خُلْواً منه، لشدة رذالته! وناس مصر ديدنهم الطيبة، مسالمون يريدون أن يحيوا؛ فخلى مجاهد يحدثه في شَجَنٍ عن الخلاف الذي بينه وبين مدير المديرية، وعن السبب الحقيقي من وراء إرساله، ردَّ: لا علم لي بهذا الخلاف الذي بينك وبين فلان، ولم يُكَنِّه، قال لي: تنتقل لإدارة الاستخدام الخارجي؟ لخلاف بيني وبين القائمة بعمل مدير إدارة ترخيص عمل الأجانب، امرأة لا تفهم شيئاً على الإطلاق في أعمال الإدارة؛ أبيض يا وَرْد ! ادَّعت أني تحرشت بها، فآثرت السلامة حماية لنفسي، فقبلت النقل. فقال مجاهد بصرامة، وحَزَرَ أنَّه يكذب:

- بل نقلك إلى هنا للخلاف الذي بيني وبينه. شكوته إلى العديد من الجهات لنقله التعسفي للإدارة إلى هذا المكان البعيد، الغير مُجَهَّزٍ، والذي لا يتسع لمجرد جلوس المنتسبين إليه، فنقلك هنا، رغم أني لم أطلب باحثين، لعلمه أنه مكان شديد الالتزام، ليحدث بيننا خلافاً، فيتصيدني وأنت بالجزاءات. وأقسم صادقاً:
- والله يا أخي، لو جئتني في ظرف مناسب، مَا وسعني إلا أن أرحب بك، فأنا لا أرد زميلاً يرغب في العمل معي؟. فاستمر يكذب:
- أنا لا عِلمَ لي بالخلاف الذي بينك وبين مدير المديرية، ولا دخل لي على الإطلاق بالموضوع. ولأن المديرية لا حديث لها إلا عن هذا الخلاف، أكد له مجاهد:

- يا أخي، مدير المديرية نقلك إلى هذه الإدارة الشديدة الالتزام. وأراد أن يقول: وأنت شخص غير ملتزم؟ إلا أنه خشي أن يجد له مبرراً، أو يجرحه، فَعدَلَ إلى:
- يا أخي، العمل في هذه الإدارة كثيف، وشديد الالتزام، فنحن نتعامل مع جمهور، في عقود عمل، ووثائق سفر ؟. فردَّ:
- هذه مسائل شكلية.. هنا عارضه في حزم:
- عدم الالتزام مشكلة عامة؟. كيف لا يعدو مجيئك إلى هنا عن الاحتياج لمجرد كرسي تقعد عليه؟. وأسرع في زجره:
- ما جئت إلى هنا إلا لتعمل ؟؟. قال:
- منذ ثلاث وثلاثين سنة وأنا أعمل؛ والآن أجهز نفسي للخروج للمعاش، وقال: كل إنسان له ظروف خاصة الحاكمة. فنظر إليه مجاهد ينتظر بياناً؛ فاستتبع يَقُصّ:
- ليس لدي زوجة مثلك، تكنس لك الشقة، وتجهز لك الطعام، وتغسل لك الثياب. كل ذلك أقوم به بنفسي ؟. قال:
- تزوج إذن ؟. فاستخف يبتسمّ:
- عند عروسة ؟. فأجابه بصدق:
- نعينك من هذا الجانب، ونبحث معك. وكان قد استعلم عنه، ضمن من استعلم، مديرة تراخيص الأجانب، غريمته ومديرته السابقة فأفادت أن: خروج هذا الشخص معاشاً نهاية نوفمبر ٢٠١٥ م، ما يعني، أنه لا يزال أمامه سنة وبضعة أشهر؟. وقالت: أنا متأكدة أن تاريخ ميلاده هو هذا..، هو شخص لا يحب العمل، ولا هم له إلا التزويغ، يبتاع المشاكل، وكنت أنا علاجه. علمته الأدب. وضحكت: أنا دائماً جاهزة للشهادة يا شيخنا ؟. أطلب أي معلومات

أمددك بها. فاغْتمَ لطول مكث هذا، الغير مرغوب فيه. وإذ بان له عدم رغبته في العمل، أسرع يلومه:

- سنة وبضعة أشهر بلا عمل؟. فهأهأ الشخص، وقال يستخف:
- اِعمل أنت ؟.
- أعمل أنا !؟. ما شاء الله؟. وأنت قاعد !؛ مذهب من هذا ؟!. وكان مُلتحياً، وكانت لحيته شعثاء، وحاجباه كثيفان يقومان في تعامد، كأنهما قرنا شيطان. وكان يُحدّق في محدثه بشكل وقح. فظل مجاهد ينظر إليه في حدة حتى أجبره على خفض بصره.
- قلت لك لي ظروفي الخاصة .
- ومالِ ِالظروف الخاصة والعمل ؟!. كلنا لدينا ظروف، ولا نمتنع عن العمل؟ لأننا نأخذ راتباً، وينبغي أن يقابله عمل؟. فعاد لاستهتاره:
- اِعمل أنت. فثار من مخاطبة موظف جديد له بهذه الصِّيغة، فردَّ في حزم:
- بل كلانا سيعمل. ستعمل أنت ؟ وأعمل أنا. فتأوّه فجأة:
- آه ؟. أنا خلاص؟ فَصَلتُ؟ وأخذ يجري راحتيه فوق رأسه، ضغطي علا، الضغط عندي غير مُنضَبطٍ. ؟ فظل ينظر إليه في غضب. فاستتبع الشخص في سوء أدب:
- على فكرة؛ أنت تتحدث كثيراً !!. فقام عنه وهو شديد الغضب، وخلفه في الحجرة منبوذاً، يرغبُ عنه كُلُّ أحد، وصبر على ما بدر منه لعلمه أن مدير المديرية ينتظر هذا بالضبط ؟.. وكانت هذه أضبط الحوارات التي دارت بينه وبين هذا الشخص الشديد الرذالة، على مرِّ عامٍ، شهد مشاكسات ومشاحنات تخطت أحياناً إلى التدافع أو الاشتباك بالأيدي، ترجمها مجاهد في سبع عشرة مذكرة للعرض على مدير المديرية يحيل فيها الشخص للتحقيق، ويطلب نقله من الإدارة لخروجه عن مقتضى الأدب مع رئيسه المباشر. وخروقات

ومخالفات جسيمة لنظام الحكم المحلي ولائحته التنفيذية ارتكبها هذا الموظف، فصدف عنها مدير المديرية، بل قام بتحريضه على كتابة مذكرات مضادة، للتشويش على الحقيقة. فاستوقح الموظف، وازداد رذالة، لأمْنه العقاب، وبلغت وقاحته أن قال في شأنه أمام الزميلات:

- أعمل المذكرة، وستأخذ أنت بها الجزاء ؟. فأشهدهن عليه:
- أسَمِعت يا مدام فلانة؟ أَسَمعت يا مدام فلانة؟ أسمعتِ يا مدام فلانة؟. وكنّ معه في الحجرة ثلاث، فالتفت الأرذل، يتحدث إليهنَّ في وقاحة وسخرية:
- اشهدي يا مدام فلانة؟ واشهدي يا مدام فلانة؟ واشهدي يا مدام فلانة ؟. فصمتن جميعاً، وآلت كل واحدة منهن على نفسها، وبدا على وجوههنَّ الكراهة، كراهة الشهادة. فتمادى الموظف في التعدي: بل هات ورقة، أكتب لك شهادة؛ أنك تكتب المذكرات، لتأخذ أنت بها الجزاء. فأعاد عليهنَّ؛ وهنَّ لائذات إلى الخُرْس:
- أسمعت يا مدام فلانة؟. وأنت يا مدام؟، وأنت يا مدام؟. واستخرج للأرذل ورقة بيضاء ليكتب، فجبن:
- كيف أوقع على بياض؟!. لكن أكتب المذكرة أوقع بها لك ؟
- انتظر؟. ها أنا ذا أكتب، أنك قلت أن مدير المديرية يطلعك على مجريات الأمور عنده، ويقول لك أن فلان، الذي هو أنا، يعمل المذكرات، ليأخذ بها الجزاء. فتأود بجذعه كمن أجاءه حِمْلٌ ثقيل، وكان يقف لصق مكتبه مبالغةً في الاستفزاز، فجبن:
- أنا لا أتحدث عن لسان مدير المديرية؛ لكن مجرد توقع. فبكته:
- كن شجاعاً، وقل أنك تحدثت بما تعلم، لعلاقة بينكما، وأنك من رجالاته. فلم يستحْيِ؟!:

- نعم، أنا من رِجَّالاته، لكنّي لا أتحدث على لسانه. وما ذكرت مجرد توقع. فَجَاراهُ مُجاراةً:
- انتظر، ها أنا ذا أقول، أن ما ذكرت كان مجرد توقع، بعد أن راجعتك لأخذ توقعيك على ما قلت، وقد قلت اليوم في حقي كَيْتَ وكَيْتَ. فعاد يتأوّد، يتقدم للأمام ويتأخر، كأنه وقف دهراً، وأخبر:
- وهل أنا سأنتظرك حتى تكتب، الساعة الآن التاسعة. أعطني دفتر التحركات؟ لقد تأخرت عن موعد الذهاب لأخذ جلسات العلاج الطبيعي على ظهري ؟. فقال للزميلة المختصة بالسّجل، وقد ضاق بهذا الأرذل، ومدَّ ذراعه، وزفر زفرةً طويلة:
- هات يا مدام صباح السجل ؟. فتباطأت في استخراجه، وأخذت تنظر إليه في عتاب؛ فكيف يطيع هذا الأبعد، الذي يصنع معه كل يوم المناكفات، وسوء الأدب. فاحتمل نظرتها، وأعاد:
- هات يا مدام السجل!. وكمِنت الزميلتان الأخرايتان لا تهمسان ببنت شِفه، لا تنظران، ولا تشاركان بشيء، وأنبأ وجهيهما أنهما مركوبتان، تفكران في شأن شهادتهما الجديدة، لعظم ما يحدثه هذا الأرذل معهنَّ من المضايقات عقب قيامهما بها. ولما أن أراد الشخص أن يسجل في خانة الوقت الساعة العاشرة، وكانت التاسعة وخمس دقائق، فأراد مجاهد أن يحيل بينه وبين ذلك، فضرب بظهر يَدِهِ يَدَهُ بطريقة وقحة ينحيها، وقال:
- أوعى؟. فأصر على كتابته الوقت الصحيح، ونزع السجل من يده وعَدَّله. فعقب الشخص بشكل ساخر:
- استرحت ؟.
- نعم. قال:

- أجعله ما تشاء ؟. يعني وقْتُ الخروج، وضحك، هيئ، هيئ. وأردف بخصوص التوقيت؛ ٩.٠٥ وكأنَّا في محطة قطار!. ورمى القلم على المكتب، وهرول مُدْبراً يعفر، كأنه شيطان أو كإنسان الآلة؛ ينقل ساقيه كأنهما قطعة واحدة بلا مفصل !!. وأتبعه مُجاهدُ بصره، يفكر في شأنه حتى اختفى..!؟

وفي المسجد صابر كذلك؛ يناجي ربه: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصْراً كما حملته على الذين من قبلنا؛ ربنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنَّا، واغْفِرْ لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على هذا الغر القسيِّ القلب ابن فلان؟. وعلى الذي في قلبه مرض فلان، وعلى فلانٍ، وفلان، وفلان. يَعُدُّ النّفر السيئ. ويرى الذي في قبله مرض يسرع في الحفاوة بالشاب الغر الذي يقتحم للإمامة كلما حضر المسجد:" إزّيّك يا سي أحمد؟ " وينشط لمصافحته مبتسماً، ينظر من طرفٍ خفي ليرى أثر ذلك عليه. فيمد الشاب يده إليه في توانٍ، لعلمه أن الناس يكرهونه، وينأون عنه، وأنَّه لا يفعل ذلك إلا نكاية. ومرَّات وجد ابنه قاعداً ينتظر الإقامة، فيقتحم الشاب إلى القبلة، ولا يَلْتفتُ فيعزم عليه، ليصل بالناس؟؛ ولأن ابنه أكبر من الشاب، وذا مؤهل عالٍ، وصوت رفيع، فتَغير وجه الذي في قلبه مرض غَضباً. لحظ ذلك، فَقَدَّر أن النَّصر قريبٌ، وقرأ في نفسه الآية.. أو يلبسكم شيعاً، ويُذِيقَ بَعْضَكم بأس بعض.. أي بالشيع والأهواء المختلفة يُسَلِّط بعضكم على بعض.. وكان يعلم مناسبة نزول الآية؛ أنَّ رسول الله صلى ذات يومٍ الصبحَ فأطالها، فقال له بعضُ أهلِه: يا نبيَّ اللهِ، لقد صلَّيْتَ صلاةً ما كنت تُصَلِّيها ! قال: إنها صلاةُ رَغْبةٍ ورَهْبةٍ، وأني سألْتُ ربي فيها ثلاثاً. سأَلْتُه ألاَّ يُسَلِّطَ على أمتي عدواً من غيرِهم فيُهْلِكَهم، فأعطنيها. وسأَلْتُه ألا يُسَلِطَ على أمتي السَّنةَ فأعطنيها. وسألتُه ألاَّ يَلْبِسَهم شِيَعاً ولا يُذِقَ بعضَهم بأْسَ بعضٍ فمنَعَنيها. فَعملَ أن لا يتواجد حين الإقامة حتى ينفرد الخصمان، ليقع بعضهم في

بعضٍ؟؛ فأخذ الذي في قلبه مرض يرجف في المسجد غضباً يقول لكل من دنا منه: ابن فلان لا يترك فرصة لغيره ؟ ويتساءل: أين أبوه ؟! لا يجيء المسجد، وقام يرسل لنا ابنه ليتولى الإمامة بالنيابة؟ هِيِ مقاولة!؟. فتجنبه الشاب، وعاند، وكان يرى أنه الأحق بالإمامة، قرأهم القرآن جميعه. فكيف بابن هذا الذي يُلَحِّن، ولا يقرأ إلا ببضع آية. وأنّه جميل الصوت. وسره إعجاب عض العامة الذي يرتسم على وجوههم عَقِبِ تسليمه، فلم يأبه لإرجاف الأب، وقد صار له مُعْجَبون؛ وقال مجاهد في نفسه. بيد أن الأب يقاتل من أجل ولده؛ فكلم الإمام مرات، وزاد وعاد، حتى ضاق به صَدْرُ الإمام فعيَّن للصلاة شخص آخر" كارم " استرجي خرج معاشاً مبكراً، فأقام على رعاية المسجد، ولصلاة الفجر خاصة، وكان مجاهد قد أقرأه في درس الجمعة بعض أجزاء القرآن، وكان كارم صريحاً لا يهاب، ويحفظ له فضله ويدافع عنه في غيبته وفي حضرته، ويثني عليه من لباب قلبه، ويقول لكل أحدٍ، ممن يستقطبهم النفر المعاند: أنا لا أدافع عن مجاهد لأنه ابن عمي، إطلاقاً. إنه ذو فضل عليَّ وعلى هؤلاء، وكان سبباً في التزامي. كنت في غفلة، وكنت لا أصلي الفجر، فأصبحت ملتزماً لا أضيع فجراً. وهو من علم كل هؤلاء الذين تسمعونهم يقرءون. هو من علم فلاناً، وفلاناً، وفلاناً. وَيَعُدُّ لمتحدثه أسماء الأئمة البدلاء. بيد أن ابن عمه كانت تغيب عنه الفطنة، وأن فرد الإخوان، الكاره له، استدرج كارم ليحقق له من أغراضه؛ يستخفي ويدفعه دفعاً للترويج لهم في شأن. غير أن استدراجه كان لا يؤثر في استمراره في الذود عنه، ضد فرد الإخوان نفسه إذا أراد أن يلمزه في علمه أو في تقواه أو في أحقيته بالإمامة. وكان يسوؤه أن كارم يلحن في القراءة، وإن كان ذو حفيظة قوية، يمسك بالقرآن الذي تعلمه معه حين كان يجلس معه في درس الجمعة. فلما استدرجه فرد الإخوان ليستقي المعلومات عنه، وعن النفر الذي يجلسون معه للدرس، حثه وأَخٍاًّ له متعلماً تعليماً متوسطاً أن ينفصلا، وينشئا مع أخ لهم ثالث جلسة درس

في البيت في أهليهم. وأغلق على فرد الإخوان الباب الذي كان يتلصص عليه منه. وكان كارم قوياً في احتمال الأذى، غليظاً على النفر المعاند، يهابونه، له معهم معارك. وأخذ الشاب يتخلف عن إمامة بعض الصلوات تاركها لابن الذي في قبله مرض. ثم وقع في الغفلة كأبيه، وبات يتخلف عن النهوض لصلاة الفجر تماماً، فزاره للنصيحة كارم وصاحبه عبد ناصر؛ زارا الشاب ووالده. وكان عبد الناصر من جلسائه أيضاً ومن شيعته المخلصين، ولأنه صاحب حرفة، كان لا يتلبث أن يسقط مع مشاغل حرفته والطلب الكثير عليه. فيرجع إلى التخلف عن الجلسة وعن القراءة. فيواصل في حثه، والعود للجلوس للدرس؟ ثم لا يتلبث أن يغيب، وهكذا دواليك. زار الصديقان بتحريض من كارم والد الشاب. ولو علم حينها، بتلك الزيارة لنهاهما عنها، فالولد وأبوه من أبواب الفتنة، وأن الانقلاب على العقابين نتيجة لها مقدمات، وأن من شابه أباه ما ظلم، ولكنهما ذهبا، وقاما يعاتبانه على تركه الجماعة شهوراً، خاصة صلاة الفجر؟. قال:

- بصراحة؛ المسجد لا يسعني، وابني. نعم. ردد يصدق نفسه. وقال ينظر لدَهِشتهما:
- نعم؛ المسجد لا يتسع لقارئين للقرآن.؟. فقالا له؛ أن ابنه، أخذ لا ينهض هو الآخر لصلاة الفجر؟. قال:
- لا ينبغي لابني أن يصلي مأموماً ؟. فقال عبد الناصر:
- سبحان الله؛ الشيخ مجاهد، الله يبارك فيه، وهو أقرأنا وأعلمنا، يتقدمه أحدنا، فيقف مأموما، ولا يترك الذهاب للمسجد ولا يتخلف عن صلاة الفجر ؟!. فخضع لهما فأجاب:
- نعم. وطأطأ رأسه. وانتهى الحوار عند هذا الحد، وكان يرى أنه وابنه، أندى صوتاً، من مجاهد، إلا أنه لم يستطع أن يجهر لهما بالقول، ولا أن ينقض ما قالاه، فقاما عنه، وكانا قد جاءاه في شأن مشاركة ابنه مع من يشارك في

صلاة التراويح بالناس في رمضان، فأخبر؛ أنه وجد لابنه مسجداً يصلي فيه بالناس . ومهما يكن الشخص غير مجيد، فإن يلقى مع الجهل ترحاباً، إذ لما أقبل رمضان، وبحث النفر المعاند عن من يصلي لهم التراويح بأجر فاختلفوا، وَكَلَ الإمام الشأن إلى كارم، فجاء إلى مجاهد يستشيره فعين له ثلاثة نفر، فيهم الشاب، وابن الرجل، وحسام محروس. فاستنكف هذا أن يصليَ ابنه مأموما، وذهب به إلى مسجد "مدشة، البركة؛ القائد حالياً تزلفاً إلى السيسي" اغتصب أصحابها؛ صعايدة، وفدوا الناحية في الثلث الأخير من حكم مبارك، فاغتصبوا قطعة أرض زراعية، أماتوها في غيبة الدولة، وأنشئوا مطحنة للحبوب، أطلقوا عليها " شركة البركة " زمن رواج التيار الإسلامي. وتوسعوا فَبنوْ مسجداً إلى جوارها ناصية الطريق، بعد القرية بقليل، على قطعة أخرى قاموا بتبويرها، وتبوير الأرض خلف المدشة، وخلف المسجد، بعرض ستة أفدنة على الأقل برشي موظفي مديرية الزراعة والجمعية. ولأن لهذا المسجد أئمة من دعاة السلفية، فلم يجد الشاب بينهم رواجاً، فهَمَّ للرجوع إلى مسجد القرية، فتقدم الجميع، وكان شهر رمضان قد انتصف، وظهر تعاون بين المجموعة التي عُيّنت للصلاة. وفجأة ظهر الشاب ورآه مجاهد في صلاة العشاء يجلس تلقاء القبلة ينتظر الإقامة، فحزن أن يكون أحدهم قد عاد فدعاه. فلمّا فُرِغَ من الفريضة، نهض الشاب إلى القبلة- وكان الشخص المقرر لصلاة التراويح ذلك اليوم عبد ناصر؛ عين الشخص الذي ذهب مع كارم إلى والده يطلبانه، فنهض الشاب فصلي بالناس، وَظَنّ الجميع أن عبد ناصر هو من استدعاه فتبين الأمر عكس ذلك. فقيل له:

- ما فعلته اليوم كان خطئاً كبيراً ؟. كان المقرر أن يصلي بالناس اليوم هو فلان، فجئت أنت فقدمت نفسك دون استئذان ؟؟. فردّ في لجج:

- عملت كخطئكم يوم تجاهلتموني، وأنا الأقرأ، فجعلتموني أصلي مأموما. فقيل له:

- هذا غرور..؟؟. وحَمَلَ عليه النفر الثلاثة المتعاونين على الإمامة، ورجع الناس عن نصرته فَهُزم، فرجع إلى مسجد القائد يصلي لدعاة السلفية لبعض الوقت مأموما. وهاب كهيبة أبيه، ولم يرَ مجاهد له ظل ناحية مسجد القرية، واعْتُبِرَ ذلك له نصراً عزيزاً !!..

ولم يترك الموظف الأرذل؛ فخري مرسي الشر بيني عُنصراً إلا وترا ذل عليه أو تشاجرَ معه.. يأتي فيقف مُتَسَمِّراً إلى جوار إحدى الزميلتين العاملتين على جهازي الكمبيوتر، يطلب منها نموذج لأجازة أو نموذج لخط سير. وتكون الزميلة قد أعطه بالأمس بدلاً من الواحد ثلاثة كي لا يعود، كَراهة للتعامل معه. فيأتيها من الغد ويظل واقفاً تلقاء وجهها، يُلِحُ مُتعجلاً، لتلبية طلبه. ويكون قد ذهب فأخفى في درج مكتبه ما أخذَه بالأمس ويدعي أنها ما أعطته شيئاً أو يؤكد أنه استهلك ما أعطته له. فإن وجد الزميلة شديدة الذاكرة، مُصممةً أن لا تعطيه، لما أعطته بالأمس- فالعمل كثيفٌ جداً، خاصة في حق هاتين الزميلتين العاملتين على جهازي الكمبيوتر لإصرار مدير المديرية على أن جميع المكاتبات التي تعرض على سيادته تكون غير مخطوطة باليد، مكتوبة كمبيوتر. وكانت الزميلتان تقومان بتسجيل ومراجعة كل ما يرد من طلابيات للعمالة المصرية من أصحاب الأعمال بالخارج، وكتابة التعاقدات اليومية على الجهازين، والتي اعتاد المتعاملون مع هذه الإدارة أن تنجز تعاملاتهم، أولاً بأول، لا يبيت منها شيءٌ. بالإضافة إلى كتابة جميع المكاتبات التي تتعامل فيها الإدارة مع جميع الجهات، ويُطلب نَسْخُها. فلا تكف المسكينتان عن العمل من لحظة أن تجلسا إلى الكمبيوتر صباحاً حتى نهاية اليوم- وتَضجَّ الزميلة لانشغالها بأمر هام، فيجيب هذا الأرذل:

- ليس هذا بأهَمِّ منِّي يا أستاذه؟. فتجأر:

- يا أستاذ فلان، قد أعطيتك بالأمس. فيدفع بإخبارها، ويكذب:

- يـا أسـتاذه، كـان هـذا منـذ كـذا، ولـيس بـالأمس، ولـم يعـد عنـدي منـه شـيءٌ؟. ويصيح:

- يا أستاذة أريد الذهاب؟. يا أستاذة لقد تأخرت؟؟ ويظل تلقاء وجهها يعيقُها عن العمل، حتى يضطرها إلى ترك ما بيدها، وتلبية حاجته العاجلة. وقد تجأر وقد ضاقت به:

- لم يعد عندي من نماذج غير هذا. اذهب فصوّره عدداً، واحتفظ به عندك؟. فلا يذهب لحاجته، ويعرف ورق التصوير أين هو، لكنه يتحدث إليها:

- أريد ورق تصوير ؟.

- عندك في كذا.

- الدولاب مغلق ؟ فتضُجَّ به.

- ها؟ وتعطيه ورق كمبيوتر من الطابعة أمامها، والذي ليس للتصوير. فيتأود بجذعه فجأة كأنه، وقد صدمه شدة الكراهة التي أولته الزميلة، ودفعها بالورق الغالي إليه أنه وقف دهراً، فيوليها الأدبار، ثُمّ لا يكاد أن يمر يوم أو يومان، ويرجع لنفس الموال، حتى كادت الزميلتان أن تختنقا ؟!.. وشبيها من ذلك، ما يفعله مع مسئولة الأجازات إذ يأتيها يطلب رصيد أجازاته؟، فإذا فتحت الملف خاصته، لتحسب ما أخذه، وما بقى له من رصيد، نزع الملف من يدها في فظاظة، ومضي يتصفحه، يطلع على مذكرات العرض على مدير المديرية التي يحيله فيها مجاهد للتحقيق، فيصيح الأخير في الزميلة:

- يا أستاذة، خذي الملف منه ؟. فتناشده الزميلة في غير حول:

- لو سمحت يا أستاذ فخري الملف ؟. فلا يستجيب، ويظل يطالع المذكرات المكتوبات فيه. فيلومها مجاهد في غضب:

- يا أستاذه ممنوع أن يطلع على ما هو محفوظ عندك ؟. فتضجّ الزميلة:

- هات يا أستاذ فلان؟؟. وتمد يدها لتسترد منه الملف فينؤ به عنها، ويمضي في التصفح. هنالك ينهض مجاهد فينزعه منه ويرده إلى الزميلة، ويأمرها أن تنتبه فلا تطلعه على شيء مما ينتظره من تحقيق كي يفاجأ، فلا يقوم بتقديم مذكرات مضادة ليشوشر على الحقيقة. ويأمرها إن جاءها، أن تطلبه الذهاب إلى مكتبه، وقد أعلمها ما يريد، أو تطلعه على الاستدعاء الوارد من الشئون القانونية منفرداً، للتوقيع بالعلم، قبل أن تقوم بحفظه في الملف كي لا يعود فينتزع منها الملف، فيطلع على ما لا ينبغي أن يطلع عليه!؟.. وأنْكَ من ذلك ما يفْعَلُهُ مع أقدم الباحثين إذا غاب مجاهد عن الإدارة لشأن أو أخذ إجازة، فقامت بعمله كمدير للإدارة بالنيابة مدام" سُوزي" كما كان يدعوها هذا الأرذل تصغيراً لشأنها؛ فإذا عاد أسرع يشكوها إليه:

- هذه متسلطة، محبة جداً للرياسة ؟!. فيسأله:

- مَنْ ؟!. فيجب:

- مدام/ سُوزي؛ وإنما هي؛ م، سوزان. ويتزلف إليه:

- يا أخي، ما بـ تصدق قيامك في أجازة لتتحكم، وتعاملنا بفظاظة ؟ ويدعي كذباً؛ تقدمت إليها بإذن حتى تعتمده لألحق بصلاة الظهر وأشهد جنازة جار لي أو قريب. أو يقول: لأحضر حفلاً أقيم للزميل فلان، بمناسبة خروجه للمعاش، كان يعمل بالإدارة المجاورة لي حين كنت بالمجزر. فصاحت تبكتني:

- كل يوم تنْتحل أعذاراً للانصراف ؟!، فتركت الأذن أمامها، وانصرفت فلم أرد، صيانة لغيبتك، ولم أحدث معها المشاكل ؟. ويكون العكس تمامًاً ما حدث؛ إذ يبادر عندما لا يشهد حضوره، فيسألها عنه؟. فتجيب:
- اتصل فأخبر أنه لن يأت اليوم. أو قام بأجازة؛ فيجيبها دهشاً:
- هو لم يخبرني أنه سيقوم بأجازة ؟. وتخبر المسكينة:
- أوصاني مُشدداً حسن أداء العمل في غيبته، وأن نتعاون جميعاً على ذلك، وأن لا آذن لأحدٍ بالانصراف قبل إنجاز أعمال الإدارة، وأن يمكث - على الأقل- أحد الرجال بعد انصرافنا، يكون مسئولاً عن غلق المقر حين يحل ميعاد الغلق- وكان مدير المديرية قد تركهم بلا عامل يتولى هذا، ويتولى كذلك نظافة المكان- وشدد عليَّ أن لا ينصرف من الرجال أحد قبل حلول ميعاد الانصراف- وكان ميعاد انصرافهن في الواحدة والنصف، وانصراف الرجال في الثالثة والربع- وأن انصراف من ينصرف من الرجال قبل هذا الميعاد يكون على مسئوليته. فيصيح، ويرمي بالأذن على سطح مكتبها، وينصرف قبل أذان الظهر بساعة على الأقل، من غير أن تأذن له أو تعتمد له الإذن. وتكظم المسكينة غيظها، فلا تقوم بكتابة مذكرة، والتقفيل عليه، وتكتفي، فقط، بالاتصال لتخبره بما حدث. ومن جانبه يكون قد شدد على الزميل أن يتعاون مع المديرة بالنيابة، ومع جميع الزملاء، لإنجاز العمل، وعدم إحداث إي مٌحْدَثٍ، والانتظام بالإدارة حتى نهاية اليوم. وعند حضوره سيعوض الجميع، ويتحمل عنهم، فيأذن لمن طلب الإذن، طالما كان هناك من يتعهد القيام بعمله. وقبل أن تقوم الزميلة بالإخبار عما حدث في غيبته تفصيلاً، يكون هذا الأرذل قد أسرع إليه- بمجرد عودته- فينتحل أعذاراً، ويلح إلحاحاً، ويقسم، فيأذن له، فتشرع الزميلة في معاتبته، وقد علمت بالإذن له:

- يا أستاذ مجاهد، لقد أمات كل الأقارب والجيران ليشهد جنازاتهم، فلمَ أذنت له؟. فيستفسر كأنه لا يعلم:
- من ؟. فتضحك:
- وهو فيه خلافة؟ س، س؛ كمن هو في خط سير دائم؛ لأنه يومياً في إذن، منذ قدم هذه الإدارة، لم يمكث يوماً واحداً من بداية الدوام حتى نهايته. فيجيبها:
- دَعِكِ منه. أنا أعرف ما يحدثه معك في غيابي، وصبرك عليه، وتعلمين أن بقائه على رأس العمل، يكلفنا أكثر مما يعوزنا بانصرافه. ويدعو الله:
- اللهمَّ انتقم من فلان! يعني، مدير المديرية الذي أرسل هذا لعرقلة عمل الإدارة وإرباكها؛ اللهم أشقق عليه، وعلى فخري الشر بيني، كما شقا علينا. فتضحك تقول:
- آمين!!. فيسترضيها:
- ظل يطاردني منذ الصباح، ويلقي إليَّ بأعذاره، ويتذلل، ويقسم، ويلح، وأنا لا أطيق إلحاحاً، فأذنت له..

ومبالغة في النكاية؛ لم يكتف مدير المديرية، لإرباك عمل هذه الإدارة الهامة بإقحام أشد الموظفين مجافاة للانضباط الوظيفي فخري الشر بيني الذي يجيء متأخراً، وبمجرد حلوله، تحل معه الأعذار، فيبتدره قبل أن يَهِمَّ بالتوقيع في الدفتر؛ فاكر الموضع الفلاني الذي كلمتك بشأنه، منذ كذا يحين زمانه! لابد أن أنصرف اليوم في خصوصه لمراجعة مكتب التموين، لاستبدال الكارت الذي فسد إدخاله، فلم يستقبله الجهاز على الإطلاق، وقال ليَ البقال ينبغي أن أراجع عاجلاً مكتب التموين الذي أتبعه، كي أتمكن من صرف تموين هذا الشهر، وإلا ضاع عَليَّ. وبعد مراجعة مكتب التموين لا ينتهي الأمر! بل يتبقى عليَّ في ذات اليوم مراجعة مديرية التموين لأتمم إجراءات استبدال الكارتٍ الفاسد بكارتٍ صحيح. فيتحتم عليَّ الانصراف اليوم قبل حول العاشرة حتى أنجز ذلك جميعه. فيقوم

باستدراجه: -أولاً، وقع تأخيراً هنا. ويقدم له دفتر التأخيرات، لأن حضوره جاء بعد الثامنة والنصف. فيرضخ، ويكون قد سبّقَ، فقفّل عليه في خانة الحضور. وكذلك ظل يتعقبه كي يستقيم، ويلهث هو؛ فتارةً - عقب التأخير- يهل مبكراً، فيمضي حضورا، وتارة يُشَرِّفُ متأخراً، فيمضي تأخيراً. وذات يومٍ لم يُشرَّفْ حتى حلول التاسعة، فعزم على التَّقْفيل عليه حضوراً وانصرافاً، وفجأة وجده أقبل مُعَفِراً.. ثمَّ قام يلح:

- يا أستاذ مجاهد، لا يليق بموظف خدم في الدولة أكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً، أن أخرج من بيتي متوجهاً إلى العمل حاملاً فطوري ثم أرجع به لأتناوله في البيت؟. الله يكرمك، أعطني رأسك أُقَبلها ؟؟. واندفع ليتعلق به، فنأى برأسه عنه، وأصرَّ على تغييبه:
- لست أنا ولا أنت نعمل وٌحداناً ؟ الجميع يتواجدون في هذه الإدارة من قبل الثامنة والربع ؟.فأقام يلح إلحاحاً:
- يا أستاذ مجاهد، منظري سيء جداً وأنا راجع أمام الموظفين بيدي فطوري؟.
- أفطرْ في بيتك، هذا الوقت وقت العمل ؟. فاستبسل في حاجته:
- أمضي تأخيراً ؟.
- التأخير لم يأت بفائدة ؟. واستدرك: وهل هناك تأخيراً بعد التاسعة!؟. أنت تأتي لتنصرف!!. يا أخي أنت تأكل حراماً. الجميع ينظرون إليك، ولقد عاتبوني فيك، وهذا حقهم.؟. فأجاب:
- أعتذر إليهم جميعاً، وآتيك بمن يستسمحونك لي. وقام على الإلحاح المقيت- فقط - لأن يوماً سيعتبر في حقه أجازة، ويعز عليه جداً، بعد أن توجه إلى العمل، أن لا ينتفع بذلك اليوم، فهرع إلى الزملاء الجدد، ليأتي بمن يكون له شفيعاً، وكانوا أربعة رهطٍ. طارق ريان، جِيءَ به من إدارة التفتيش المالي والإداري، من عند موسى. وعصام أبو مسلم من مكتب المخابز. وحمدي

منصور، من الإدارة العامة للرعاية. وعادل إبراهيم من مكتب التوظيف، وهؤلاء جميعاً من المغضوب عليهم، نقلهم مدير المديرية، بربطة المعلم، لإدارة الاستخدام الخارجي إمعاناً في المكر السيئ!.. فـ"طارق ريان" صاحب كافاتيريا، ومريضٌ سكر، يعاني من ضعف الإبصار الشديد، وكان موسى يراعيه، فلم يمسك بقلم طيلة عشر سنينٍ خلت بدعوى مرض السكر وضعف الإبصار. وعصام أبو مسلم سائق دبابة بعد مواعيد العمل الرسمية، ولأنهم في مكتب المخابز لا يذهبون للعمل، ألفوا التزويغ، يجيء عصام إلى العمل وفي دبابته بضاعة يبتغي توصيلها إلى مدينة العاشر. وحمدي منصور صاحب بقالة، يسهر حتى الفجر، فيأتي في الصباح مُحْمَرَ العينين من طول السهر، فلا يكاد يحل وقت خروج النساء حتى يكون في ذيلهن أو يسبقهنَّ، بَعُذْرٍ اللحاق بساعتين نومٍ قبل حلول العشيِّ، وسدول ليل جديد، والسهر حتى الفجر، ينام بعده ساعتين قبل المجيء للعمل، ويأتي ببضاعة للزميلات بالمكاتب والإدارات، يذهب خِلسة بسيارته التيوتا الملاكي فيوصلها لهم. أمَّا "عادل إبراهيم" فحكاية وحده؛ يعمل في قهوة في قرية "شها" على نحو خمسة عشر كيلو من المدينة، يسهر في خدمة زبائنه طوال الليل، ويأتي في الصباح شبه سكراناً من كثرة ما تعاطه مع الزبائن من المخدرات. ولأنه لم ينم منذ أربع وعشرين ساعة، لو نام والفجر، وهي لحظة إغلاق القهوة أبوابها، لن يستطيع أن ينهض من النومً، ولا أن يأتي إلى العمل أبداً، ولكي يواصل اليقظة، يظل يشرب في قهوة، وشاي، وسجائر، حتى صلاة الظهر، فيذهب ومجاهد إلى المسجد، فيرجع مجاهد، وينتظر رجوع عادل، ليجلس إلى مكتبه- وكان قد كلفه بدفتر الوارد، ومعاملات هذه الإدارة كثيرة جداً- فينتظر رجوعه فلا يرجع. وشركات إلحاق العمالة تريد تسجيل الطلابيات ومراجعة

العقود، والكل يريد أن يُنْجزَ، فالناس تهرع إلى السفر، فيهاتفه مجاهد على الموبايل:

- أين أنت يا عادل،!؟. فيكذب:
- نعم يا شيخ، أنا هنا قريب منك، آتي لي بساندويتش، وأجيء ؟. فينتظر مجيئه فلا يجيءُ أبداً. ويكون المذكور قد أذن لنفسه بالعود إلى قريته شهها، والمفجع أنه لا يحضر للعمل إلا يوماً أو يومين كل الأسبوع- لو حضر- فلا يكاد يَمر الربع الأول من العام حتى يكون قد أتى على أجازته جميعاً؛ العارضة والاعتيادي، ليقيد بعدها غيابا، ويحال إلى التحقيق، ويحتسب الأسبوع كاملاً انقطاعاً، بالخصم، بالإضافة إلى الجزاء القانوني المناسب، وهكذا دواليك..

أهدى مدير المديرية لإدارة الاستخدام الخارجي هؤلاء النفر بأصنافهم المتباينة دفعة واحدة، ردف الموظف الأرذل. وعجباً لأناسيِّ هذا الزمان؛ فمن بسُمِّيَ فخري، مع شدة رذالته ؟!. لَمْلَمَهُمْ له مدير المديرية من ذوي الأعذار الصعبة، من الذين ليست الوظيفة لديهم الهمُّ الأكبر، ولا مصدر الرزق الأوحد، بل مصدراً للراحة، استعداداً لعمل آخر أهم. ولما جاءوا جمعهم مجاهد إليه بإحدى الغرف ودار بينه وبينهم حَديثٌ صَديقٌ:

- تعلمون جميعاً لما جيء بكم إلى هذه الإدارة ؟. فأقروا جميعاً:
- نحن من المغضوب عليهم؛ وضحكوا. قال:
- جيء بكم إليّ، أنتم أصحاب الأعذار، لينشب بيني وبينك خلافاً، فيصطادني وإياكم مدير المديرية بالجزاءات؛ هذا مراده؛ إنِّه يعلم أن هذه الإدارة شديدة الأهمية، والعمل هنا شديد الانضباط. نجلس، كما ترون، للعمل من بداية اليوم حتى نهايته. وأنتم لن تتمكنوا من الوفاء بهذا، أذلك ؟. فأقروا ضاحكين. لكننا لن نحدث معك المشاكل، لن نمكنه من مراده، فأنت شخص شديد الاحترام؛

فمهما تكن من ظروف، سنحرص على أن لا يقع بيننا وبينك خلاف. تحدث طارق، ووافقه الجميع، فأجابهم:

- ومن ناحيتي سأجتهد في مراعاة ظروفكم. ما يهم وأطالبكم به؛ أن نتعاون على القيام على مصالح المتعاملين معنا. وبعد انتهاء وقت العمل الكثيف، ينطلق كل منكم في مراده، لكن على مسئوليته الخاصة. وإن جيء بتفتيش مفاجئ سأخبر أنكم خرجت لصلاة الظهر، ثم لم تعودوا . فقال طارق ريَّان:
- أنا أعاني من شدة ضعف الإبصار، ومن مرض السكر، فلم أمسك بقلم منذ عشر سنين، وحضرتك ممكن تسأل الأستاذ موسى الشوربجي في ذلك؟. قال:
- إذن، أخصك بالبريد، والذهاب إلى المديرية؟. قال:
- أنا لا أستطيع أن أرى أمامي أكثر من متر، وَرُبَما مررت بزميل يعرفني وأعرفه، فلا أبصر به، ولا أحييه، وهذا محرج لي جداً، وأنا لا أريد أن أحتك بفلان، وسمَّى مدير المديرية، فيستحيل أن أقوم بهذه المهمة؟.
- أعطيك الصادر إذن؟. قال:
- لا مانع عندي، ولكن على عُذرٍ مني، إن وقع خطأً فلا أُآخذ ؟.

وقال لأبي مسلم:

- أخصك بالبريد والذهاب إلى المديرية. ومتى قضيت مهمتك، صحبتك السلامة، اذهب ببضاعتك حيث تريد؛ ما نمى إلى علمي، إلى مدينة العاشر؟..

فلمَّا دخل على مدير المديرية بالبريد، سارع الأخير يسأله عن أحوال الإدارة والرهط المشاغب:

- أيعمل طارق ريان ؟. فأجابه أبو مسلم بهزة من رأسهً. وانشرح صدره لمَّا رأى مدير المديرية يبتسم، فزاد:
- أعطاه الشيخ دفتر الصادر، فهو يقوم عليه ببسالة.
- وحمدي منصور ؟. فأفاض أبو مسلم:

- ويعمل حمدي منصور، ويعمل عادل إبراهيم. فتابع مدير المديرية وهو قائم يعتمد مكاتبات الإدارة، والتوقيع على ما حمله إليه عصام من بريد:
- وفخري الشر بيني؟. مدير المديرية
- وفخري يعمل؛ عَلَمه الشيخ الاستقامة، لكن مندوبي الشركات لا يحبون أن يراجعوه، والشيخ يقول لهم: المتضرر يتقدم إلي بشكوى مكتوبة، أبعثه إلى غيره، وأمنعه منه. لكنهم حتى الآن يؤثرون السلامة، ويخشون فخري، ولا يتقدمون بشكوى والشيخ يبعثهم إليه ويقول لهم: الكل هنا لا بد أن يعمل. فسأله مدير المديرية عن تنظيم المكان، وكيف يحتلونه، وقد أصبح الآن بغرفه الثلاث مرتعاً لهم يرتعون فيه؟ فأجابه عصام:
- الشيخ أجلس المفتشات في الحجرة التي على يمين الباب. وأجلسني وطارق وحمدي منصور، في الصالة. ويجلس هُو في حجرة الكومبيوتر، وتجلس معه فلانة، وفلانة، وفلانة. وعادل إبراهيم، وفخري الشر بيني يجلسان معاً وحدهما في الحجرة الأخيرة. فبهت:
- أجعل المجنون؛ يعني فخري الشر بيني، والسكران؛ يعني، عادل إبراهيم معاً جميعاً؟!. فضحك أبو مسلم، وكان جريئا لطيفاً لا يهاب مدير المديرية، فقد عمل معه إبّان أن كان مديراً لمكتب تفتيش عمل أول؛ فلما أن أراد أن يهينه قلب عليه المكتب، ولم يهاب التحقيق. فتعرض للمحاكمة التأديبية والفصل ثم عاد إلى العمل بعد سنوات، بحكم قضائي وتعويض لم يأخذه؛ ورغم هذا كان مدير المديرية يحب أن يراجعه أبو مسلم لأنه يثق في حديثه، وقال معقباً لمجاهد، لمَّا أنبأه بقصته مع مدير المديرية: القِطُّ يحب خنَّاقة. وضحك. فكان مجاهد يحثه: إن سألك على شيء فأجبه، فليس عندي ما يُعاب.
- الشيخ جعلهما معزولين عن الجميع، فهما في الحجر الصحي. فانتبه مدير المديرية لانبساطه مع موظف سكرتير، فهمَّ أن يخيفه: أنت يا ولد! أتهزل مع

مدير المديرية، وكيل الوزارة؟؛ قال كذلك، فرد أبو مسلم في ثبات، فرغم قصر بدنه كان قوياً راسخاً كوتد:

- حضرتك سألت، وأنا أجبت. حضرتك إن سألتني عن شيء بعدها فسأَخْرس، ولن أجيب. فنهاه مجاهد: بل أجبه، لكن مع لزوم الصدق؛ فما أرسلتك إليه إلا لعلمي أنه يريد أن يجعلك عيناً له عليَّ ؟. فقال بود بالغ:
- يا شيخ، لن أكون عيناً عليك أبداً، ولن أخبره إلا بما أريد. ففاض قلب له حباً؛ واغرورقت عيناه بالدموع، قال:
- بل أجبه، حتى لا يلجأ إلى كذوب، يسرع في هواه. فأكد أبو مسلم:
- لن أكن عوناً له أبدا عليك، ولن أخبره إلا بما أريد.

* * *

وطوال ستة أشهر استوعب كاملة مجاهد هؤلاء النفر، وجعلهم عَمِلوا في صَفِّه، إلا الشر بيني، بينما كانت المعركة بينه وبين مدير المديرية دائرة، إلى أن وقع بينهم خلافٌ، فبدا لمدير المديرية أن الفرصة قد حانت، وجاء أجلٌ شيءٍ ظل يطلبه طويلاً. وكانت الوزارة- في أغسطس ٢٠١٤- قد أعلنت عن مسابقة لشغل وظائف قيادية؛ بدرجة مدير مديرية، ومديري عام، بديوان الوزارة، ومحافظات؛ أسيوط وقنا والمنيا والإسكندرية والشرقية والدقهلية والإسماعيلية، وشمال سيناء، والوادي الجديد. وكان مدير إدارة العلاقات العامة بالمديرية " .. العَدْلُ "، شخص معوق، إحدى راحتيه خالية من الأصابع، مجرد زوائد رخوة كحلمة الثديّ، وكان من النوع السياسي المتطلع، يتحرك في دأب، مخفياً يده الخِلْقة في لباس له كم طويل كي لا يكون مُنَفَّراً أو مخيفاً للأطفال. ولأنه عزم أن تكون له شأن، سعى لدى مدير المديرية قبل الأسبق فأقنعه، فأنشئت هذه الإدارة، لتقوم بجمع التبرعات لإقامة حفلات للخارجين معاشاً، ونشر إعلانات لحالات الوفاة، وحث الزملاء على الذهاب للعزاء وإرسال كروت معايدة لمديري

الإدارات والمناطق والمكاتب ومرءوسيهم في الأعياد، وأشياء من هذا القبيل. وفي غمرة أحداث ٢٠١١، وما تلاه من أعوام، وإحجام الكثيرين عن التصدّر للمسئولية في ظل موجة الانفلات الأمني التي عصفت بالبلاد، تقدم العَدْلُ لشغل وظيفة مدير عام مديرية القوى العاملة بشمال سيناء. فاعتبره الكثيرون يهوى، من جهة، أنه معوق، لن يُخْتاره أصحاب القرار. ثُمّ أنه يذهب عن زوجته وعياله إلى الحدود الخطرة، شهوة في السلطة، ذلك مما لا يقدم عليه عاقل**!؟**. إلا أن الموقف منه تغير فجأة، واعتبره الكثيرون محظوظاً حين صدر قرار تعيينه مديراً لمديرية القوى العاملة بشمال سيناء، بدرجة مدير عام. فحمل القرار، وطاف يُطْلِعُهُ الأحبة. ثَمَّ حدثت مشكلة عندما علم العاملون بمديرية القوى العاملة بشمال سيناء بقدوم شخص غريب، فقاموا بوقفة احتجاجية، وأرسلوا له تهديداً، وأبرقوا لوزير القوى العاملة ما مفاده؛ أنهم لن يرْضوا بغير القائم بعمل مدير المديرية الحالي بديلاً، ابن المحافظة، والأَحَقَ بها؟. ولمَّا نشر ..العَدْلُ لـ مجاهد قرار تعينه مديراً عاماً، بشمال سيناء، هنأه، ولم يكسر بخاطره، وكان شغل وظيفة مدير عام وما فوفقها ليس بالمرتجى عنده، وليس هذا السبيل سبيله. وقال صادقاً لمن حثه إليها: لو عرض عليَّ أن أكون رئيساً للبلاد، فضيع وردي من القرآن يوماً واحداً ما خطر لي أن أفاضل. وآسى العَدْلُ لعدم تمكنه من شغل الوظيفة، وأصبح لم يعد يطق الجلوس بين بضع مرؤوسات يحتللن ركن من حجرة، كانت في السابق مكتب الخبرة. وقام يجلس باستراحة المديرية أمام الباب، يرد تحية كل مار به، يتطلع إلى السماء، كالعالق على الحدود، لا يدري ما مصيره **!؟**. وفجأة انفتحت له أبواب السماء السبع؛ إذ خلا منصب مدير المديرية ومنصب المدير العام في مديرية القوى العاملة والهجرة بالمنوفية، فأرسل إليه الوزير برقية؛ أن انطلق. فمكث طيلة عام كامل ليس كمدير عام للقوى العملة بالمنوفية، بل وقائم بعمل مدير المديرية جميعاً، وكان ذلك من

طرائف الصفاء، ومدهشات العمل المدني، أن يطلب المرء خطوة واحدة لدرجة قيادية، فتنحط له درجتان جميعاً!!. فلمّا رُقّيَ " عادل خليل " من قائم بعمل مدير مديرية القوى العاملة بالدقهلية إلى مدير مديرية القوى العاملة بالمنوفية أُرْجِعَ العدل القهقرى، وأصبح في لحظة الرجل الثاني بمديرية ظل فيها الكُلُّ في الكُلِّ طيلة عام!؟. وإذ اشتد الخلاف بين مجاهد ومدير المديرية الحالي، وأعلنت الوزارة عن تلك الدرجات القيادية، تذكَّر مجاهد تجربة العَدْلِ، ونشط للتقدم لوظيفة المدير العام، تقوية لشوكته ضد هذا الطاغية، ليأتيه وكيلاً للمديرية، وتَصَّاعد المشكلة، ويصبح ذا مخالب؛ فإمّا أن يرجع مدير المديرية إلى الاستقامة وترك الإفساد، وإمّا أن يذهب مديراً لمديرية القوى العاملة بالوادي الجديد أو بالإسماعيلية. ويخوض تجربة أن يكون قيادة عليا؛ مستقيماً، ومثلاً لمرءوسيه في الارتقاء بهذه الوظيفة، وأن لا تتخذ مغنماً؟ فكر كذلك. وكان له عزم، يَثِقُ في قدرته، فقبل أن ينتهي موعد التقدم للمسابقة بثلاثة أيام أعلن في أعضاء إدارته، أنه سيتقدم لشغل وظيفة مدير عام؟. فحدث للزميلات زلزلة: آلآن؛ في عز هذه الأزمة تذهب وتتركنا فريسة لهذا الفرعون، لينكل بنا؟. أتذهب في طلب وظيفةٍ كنت ترغب عنها سنيناً!؟. لا، لا يا أستاذ مجاهد!؟؛ ونحن من تركن الذهاب لأي إدارة أخرى حين عُرضَ علينا ذلك، وجئنا معك إلى هذا المنفى محبةً لنظل لُحمة واحدة لهذه الإدارة؛ فمنذ أن عُيّنا، ونجن لم نفترق، آلآن تذهب لتتركنا؟، يا ليتك أعلمتنا بنيتك من قبل، فذهبت كل منا في مصلحتها؟. فقال يثبتهن: - ليس لديكن شيء يُعاب، ولن يستطيع هذا أن يفعل معكم شيئاً. فأردفت الزميلة النائبة في انزعاج شديد:

- لقد وضعنا في رأسه ولن يتركنا؟. قال:

- يا مدام سوزان؟ ما أردت إلا أن آتيه هنا فأكون شوكة في ظهره؛ فإمَّا أن يكف عن طغيانه، ونعْملَ معناً من أجل الصالح العام، وإما أن تصّاعد المعركة بيني وبينه، وأكن لكم حماية؟. فابتسمت تعاتبه:
- ووردك من القرآن؟. أنسيته؟!.
- يمكني قراءته من بعد صلاة الفجر.. وقال، يا مدام سوزان ما أصابك لم يكن يخطئك، ما أخطأك لم يكن يصيبك؟ كوني على يقين من ذلك؟.
- ونعم بالله، ولكن بدونك سنكون لقمة سائغةً له، وسينكل بنا؟، لقد وضعت سيادتك هذا الأمر في رأسك ونعلم أنك ذاهب ذاهب؟. فندت منه ابتسامة، فاستدرك لها: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السماواتِ والأرضِ الغَيْبَ إلا اللهُ. فقالت تؤكد:
- قد وضعت هذا الأمر في رأسك، ونعلم أنك أهلاً له. وأردفت تعاتبه، تتقدم لهذه الوظيفة في ست محافظات؟!. فاشتبكت أخرى:
- هذه خيانة! استدرجنا يا مدام سوزان، فجئنا معه إلى هنا، ولم نرض به بديلاً، وفي ثانية رمى بنا، الخيانة هي شأن الرجال جميعاًً؟!.
- يا مدام أميرة، وهذا اسمها، وكانت في لحظات الصفا عندما يشكو إلـيْهنّ زوجته تنبري هي للدفاع عنها، ثم وقد انتصرت منه، ضحكت تقول، أميرة وراءك، وراءك؟. قال:
- تعلمين أنه ليس من خُلِقي الخيانة؟. فخضعت في رضاه:
- حشاك؟!؛ وكان لسانها جميلاً، وكان يقول لها دائماً، آهٍ لو عمل هذا اللسان في حق زوجك كذلك، لدخلت الجنة من أوسع أبوابها؟. فتضحك، بَسّ هو يرضى!؟. وتذّكر مدام أمنية؛ لقد نزلت الكلمة عليه برداً، حتى أنه أسدل جفنيه من شدِ الحياءً والشوق! فقال مسترضيا:

- ما عزمت على هذه المسابقة إلا من أجلكن جميعاً؟. فلعلي أجيئه وكيلاً للمديرية، وتظل هذه إدارتي المحببة، ويظل الجميع على عيني. فضحكت:
- هذا كلام! عزمت الذهاب لست محافظات!؟ لا، لقد كنت هَمُنا، لم نكن نحن هَمُك؟. ففاضت مشاعره: أنا أكره الفشل، ولهذا تقدمت لخمس محافظات، وكنت فقط، أريد أن أجيء إلى هذا الطاغية. فقررت خوض التجربة كاملة. وأعدكم إن جاءت الفرصة لغير الدقهلية لن أذهب. فتدخل ماهر مخيول، ولم يكن مدير المديرية قد قام بنقله من الإدارة بعد، ليعمل معه بشكل مباشر كمديرٍ لإدارة المشتريات. وكان كلما احتيجَ إليه، وأرسلت المديرية في طلبه، أبطأ إليهم فيه، ولم يسمح له بالصعود إلا بعد عدة اتصالات. وظل يعمل أساسياً عنده، كسكرتير، إلى أن أقبل الرهط الجدد، فأفصح مخيول عزم الانتقال لشأن المادة، إذ يفيض عليه منصبه كـ مدير لإدارة المشتريات كثيراً من المنافع، فصاح يحرضه:
- يا مولانا خوض هذه التجربة، واذهب لشغل هذه الوظيفة العليا في أي مكان جاءتك؟. هنَّ لا طموح لهنَّ، يمتن في المكان الذي ولدن فيه!. قال كذلك. فقالت الزميلة الرسول تعضده:
- وهذا رأيي يا شيخ، ما كان في صالحك فافعله؟. فقال يطرد عنهن خوفهنَّ:
- لن يستطيع هذا أن ينال منكنَّ. لو ذهب يبحث في جميع الإدارات عن مثلكن ما وجد. ولو نقلنَّ لزينتن كل مكان تذهبن إليه؟. فتحدثت إلى النائبة، والآنسة التي أخواها إخوانٌ، ويحرص على دعوتها، بالأستاذة، حفظاً لمشاعرها، وكانت دءوبة تحيط بدقائق عمل الإدارة، عيبها الأوحد؛ أنها مقلدة، تلزم صراط من قبلها لا تحيد عنه أبداً؛ كالقطار الذي يجري على قطبان، أو كسير مبارك سير السادات في منهاج الحكم، إلا أن مبارك كان أعف لساناً. وذكر

لتقليدها: أنا آمنك على هذه الإدارة، وأثق بك ثقة السادات في مبارك على مصر رغم نهايته المأساوية، وَكُلٌ أغرق مصر!. فضحكت النائبة فقالت:

- وأنت أيضاً ضحيت بنا.؟ وقالت الأستاذة:
- وأي إدارة تريدنا أن نعمل بها بعد هذا العمر يا أستاذ مجاهد؟ نحن لا نعرف غير هذه الإدارة؟ . قال:
- فأنت مديرتها بعد مدام سوزان. ولن أذهب حتى اطمأن لذلك. فضحكت المدام، وتطلعت تنظر إليها:
- هي خليفتك، وهي أحق بهذه الإدارة مني كمديرة. قالت:
- لا أريد أن أكون مديرة ولا غفيرة، فمن سيعينني على العمل؟، وذكرت: سُمية المريضة بالقلب، وهداية المريضة بالضغط والسكر؟، ومن يذهب للحملات؟. هل أضع نفسي في كل شيء؟ هذا فوق الطاقة؟. وماذا أفعل مع هؤلاء الجدد؟ وماذا أفعل مع فلان؟ وسمَّت الموظف الأرذل. لم يعد عندي صحة لكل هذا، فليأت إلينا مديراً بمن يشاء، فأنا لا أرغب في ذلك الشيء. قال:
- وأنا لا أقبل أن يأتي هذه الإدارة من يكون مديراً عليك؟. فضحكت سعيدة: لكني أقبل.
- كان هذا الحوار في منأى عن الرهط الجدد، ولم يعنهم، وعادت الزميلة الرسول تؤكد في صرامة:
- يا شيخ، افعل ما فيه صالحك؟. فقالت ذو اللسان الحلو:
- الآن تقولين افعل ما فيه صالحك؟ فأين صالحنا، نحنُ من قد جئنا معه إلى هذا المكان رغبة في هذه الإدارة، وفي الاستمرار في العمل معه؟ وتركنا الذهاب إلى أي مكان نريد لما عُرِضَ علينا ذلك!؟ ألان يهرب ويتركنا لمدير المديرية فيشرد بنا!؟. احتجت كذلك، فخضع يسترضيهن:

- وأنا، إن أترك هذه الإدارة أتركها لخيار الناس، يقصد المدام، ثم الأستاذة، وأعدكم، لو لم أوفق فأجيء وكيلا للمديرية هنا، ألا أذهب إلى غيرها، وأن أظل معكم. فضحكت النائبة:
- العب غيرها؟ أنت ما صدقت لترتاح منَّا؟. فأنبأ:
- كلما قَدِمت في أجازة، سوف آتيكم للزيارة؟. قالت:
- ونحن لن نقبل، أن نأخذك من الحاجة أميرة؟

* * *

الفصل التاسع

وبقى النهوض للعمل، والكلفة بهذا الغلام السيد محمد السيد، قرابة الثلاث سنوات، هو العزاء الوحيد لأميرة الصغيرة، وكانت لا تبخل عليه بشيء، وتحنو عليه حنواً شديداً، فإذا رجعت إلى البيت- وكانت قد التحقت كفرد أمن بمستشفى التأمين الصحي بسندوب، بجوار عملها الصباحي مدرسة بالحضانة- فكانت إذا عادت من المستشفى، فوجدته نائماً تشاجرت مع أمها وجدتها، أن تركاه ينام قبل أن تجيء. فتيقظه لتعطه ما حملته له معها من عصائر وشبسى، وتلاعبه ما استطاعت، ثم تأخذه في حضنها لتنام، استعداداً ليوم عملٍ جديد، في الحضانة من قبل الثامنة صباحاً إلى الواحدة، فالرجوع إلى البيت. فالذهاب لمستشفى التأمين الصحي في الثانية والنصف بعد الظهر، إلى التاسعة والنصف مساءً. وإذ تصعد أول عتبة لسلم البيت، تصيح:

- يا سيد!!. فيهرع إليها من أي مكان كان، مهما يكن من حفاوة جدتيه به قبل مجيئها!. وتقابله بالحضن وتقبله، وتحمله لتصعد به السلم، وتخرج له ما أحضرته من مشارب ومطاعم، فَيأخذه ويظْهِر فَرَحه، فتُسَرَّ سروراً، فسروره غاية النهى، وأملها الأوحد!!. ويوماً وصلتها ورقة الطلاق- وكانوا قد رفعوا دعوى على الزوج يطالبون فيها بنفقتها ونفقة الغلام منذ زمن الحمل، حتى سن الثالثة، فأمعن في الحيف، وأرسل لها ورقة الطلاق- فغضبت غضباً شديداً، ووقعت في الهمِّ، إذ قَضَىَ على أملها في استئناف الحياة الزوجية بتاتاً، فخرجت إلى عملها بمستشفى التأمين، ونسيت أن تستدعي الطفل فتقبله قبل ذهابها. ولمّا فطن لغيابها انفطر يبكي بكاءً مَريراً، فسألتاه جدتاه، عن سبب هذا البكاء المفاجئ، وهما تنهضان في رضائه:

- مالك يا سيد؟ مالك يا حبيبي!؟. قال، وكان قد أخذ يلْفَظُ ببعض جمل:
- ميره؛ يعني أمّه أميرة، راحت شُغْل، باسِتْنِيش! يعني، ولم تقبلني!. فلما عادت حَكَيْنَ لها حكايته، فخرجت به في نزهة- وكان اليوم خميساً، يوم أجازتها من الحضانة، ومن مستشفى التأمين جميعاً، ففوجئت به وهي تَصْحَبُهُ، أن صاح يحث حماراً السَّيْرَ؟. فالتفتت!. فإذا بعربة كارو من فورها توازيهما، وإذ بالجالس فوق عريشها هو عين أبوه الذي أرسل ورقة طلاقها، ورأته يبتسم غير مستحْي، ينظر إلى الغلام الساعي في يدها فخوراً، وقد فاجأه نموه. ثم هو يفطن للدابة التي شاهدها، أنها حِمارٌ ليس غيره، ويحثه: حـا؟ كأنَّه علم أن السائقُ أبوه، فصاح بالحمار يؤازره، فسر سروراً. واضطر إلى الابتسام لكليهما، فجذبت الطفل، وجازت به نهر الطريق، ونأت به للجانب الآخر مُسْتَنْفِرةٌ، فدُهِشَ الغلام! ونظر لِمَ تَجُرُّهُ جراً؟! فوجدها غاضبة. فترك الراكب والعربة والحمار جميعاً، وانخرط معها في سعيها مهموماً لها!؟.. ولما رجعا إلى البيت قالت تحدثه بالواقعة:
- أبوك مات يا سيد!؟. فرأى إلى حزنها، يجهش إلى البكاء، وإن لم يعلم على وجه الدقة مُصابُها، ولا معنى العبارة؟. فنهتاها جدتها، وأمُّها عن تحريض الغلام ضد أبيه. فاكفهر وجهها، وراحت تَدْعو عليه:
- يجيئه شلل، هو وأمَّه؟؟. وبكى الطفل، فأسكتته. ففاجأهنَّ بدعائه، غاضباً لأمه مستنصراً، قال: أَبَّ؟ يا أسيسه؟ أي يا رب يا ونيسة؟ يدعو على أمِّ أبيه، وأردف، ألل؟ أي يجِيئِك شلل، أسيسه؟. وكانت تدعى ونيسة. فانجلى الهَمّ عن أمّه. وَدَهِشَت جدتاه، لنهوض هذا الغلام في الاستنصار لأمه والكُلْفة بها!؟. وكانت إذا ذكرت مُصابَها، وأنها تعنى بالطفل وحدها، يُرَبَى بعيداً عن حجر أبيه، بسبب حماتها، فكانت تَجْهَر بالدعاء حين الأذان لِظُلْمِها. فطفق الغلام إذا حضر الأذان بالتلفاز أنصت، فاستحضر دعوة أمه، ويرفع يديه: أب أسيسه؟

أي يا رب يا ونيسة؟ يدعو بدعائها. وكذلك طفق هذا الغلام* يصنع المَسرة للجميع، حتى في أظلم لحظات الهمَّ، وطفق الجميع يحنون عليه، ويعنون به عناية فائقة، كعناية عزيز مصر بـ "يوسف الصديق عليه السلام، ولقد قال مجاهد لـ زوجته؛ عمّة الغلام، وعمّة أمِّه أميرة الصغيرة، قال معترفاً، رغم عدم كُلْفَتِه بأي طفل من قبل:

- يجعل الله لهذا الغلام في قلبي حباً كبيراً، أسرع في هواه، وأسعدُ جداً أن أراه سعيداً!، ربما لأنه عندي بمنزلة اليتيم!؟. وكان كلما حضر في صحبة أمِّه يعطيه نقوداً، ويعطيها. فيُسرَّ قابضاً على النقود قبضته اللطيفة، فتنهض هي فتسأله:
- قرش؟. فينظر إليها، ويومئ برأسه سعيداً: إي نعم. فتردف:
- ومن أعطاك؟. فيجيب:
- أُجاهد. فيعقب له، يعيده إلى الكلمة الصحيحة، يَسْتَهِلُها بلفظة لحفظ المَقام، ويعلمه الأدب:
- يا ذا، بابا مجاهد؟. فتشق العبارة على الطفل، وَالقَرْن بَيْنِ اللفظتين، فيرجع إلى حثه:
- بابا مجاهد؟. وإذ يحار، وقد شَقّتَ عليه العبارة، فتستوقفه الزوجة:
- ماذا يا فلان؟. وتضحك وتقِرُّ تعبيره:
- أُجاهد، أجاهد؟!.. وكذلك كان شهود جَمْعٍ غَفِيرٍ من الموظفين الموقرين، في قاعة لقاءات الوزيرة، ينتظرون المقابلة الشخصية، يحدوهم الأمل بالفوز بالوظيفة العُليا، وقد عني كل منهم بلباسه؛ فالبعض قد ابتاع ريشاً جديداً، والبعض قد أخرج ثوب عرسه تهيئة لهيئته، وشهود الجارفاتات التي هجروها سنيناً، تزين رقابهم. وبسمة وجوه طرحت الفَقْرَ، والهَمّ ولو للحظة. كان شهود ذلك بهيجاً جداً لعين مجاهد، يدعوه إلى التفاؤل؛ لقد اشترى- بمعونة زوجته

أميـرة- بـزتين جديـدتين، بالإضـافة إلـى اللتـين كانتـا عنـده، يرتـدهما فـي المناسبات، لأن دخوله للمقابلة الشخصية، سيتكرر ثلاث مرات، وكانت اللجنة برئاسة الوزيرة، وعضو هو طبيب نفسي، وعضو رفيع من الإدارة العامة للتنظيم والإدارة، ووزير الثقافة، وعضو خامس لا يذكر منتسبا له الآن؟. وَلمَّا وَرَد اللجنـة أول مـرة، وردهـا لشـغل وظيفـة مـدير مديريـة القـوى العاملـة والهجرة بالوادي الجديد، وكانوا سبعة متقدمين. فخرجت النتيجة على موقع الوزارة بترتيب الدخول، كان الأمر غريباً، ومُفاجئاً للجميع!. وجاء ترتيبه الأخير. وكان حاجب الوزيرة قد أدخل القادمين من المحافظات النائية أولاً. فأدخل القادم من الوادي الجديد رقم واحد، وكان هذا هو القائم بعمل مدير المديريـة الآن، فالقـادم مـن محافظـة شـمال سـيناء ثانيـاً فأسـيوط، فالمنيـا لأن الدقهلية، بالنسبة لمحافظة القاهرة ليست بالمحافظة النائية، أربع ساعات سفر تقريبـاً. أمَّـا القـادمون مـن المحافظـات المـذكورة، فكـان يتوجـب علـيهم قطـع أضعاف تلك المسافة للوصول إلى وزارة القوى العاملة بمدينة ناصر / الحيِّ السابع/ القاهرة. فكان دخوله هو الدخول الأخير. ولما دخل عليهم بادره أحد أعضاء اللجنة بمجرد جلوسه فسأله. وكانت الوزيرة تجلس عن يساره، رآها رأي العين، ليس بينها وبينه حجاب، فتملى منها. ونظر فرأى الجميع يجلسون إلـى مائـدة بيْضـاوِيَّة- متـرين فـي ثلاثـة- ولـحظ أمـامهم أكوابـاً الفارغـة، وبقايـا طعامٍ خفيفٍ يؤخذ مع الشاي. ولمّا سلم، رحبت به الوزيرة:

- أهلاً يا أستاذ مجاهد، تفضل؟، وأشارت إليه، فجلس. وبمجرد استوائه على المقعد بـادره الـذي أمامـه: قدم نفسك؟؟. ولأنهم كانوا إذا خرج أحدهم من اللجنة هَرعَ إليه الباقون يسألونه عما حدث، وعن نوعية الأسئلة، فعَلِم أن هذا السؤال هـو الأول المعتـاد، وثـلاث أخـرى متكـررة، وأن المكـث فـي اللجنـة

قصيرٌ جداً؛ دقيقة أو دقيقتان، وأنه يتوجب استغلالها؛ فبادر من فوره معرفاً بنفسه:

- مجاهد منصور، بكالوريوس تجارة ٧٩م، وليسانس أصول الدين ٩٨/ ٩٩ اثنين مؤهل عال أيتها اللجنة أي ما يزيد عن درجة الماجستير، فكر في نفسه هو يجيب، وتابع، مدير إدارة الاستخدام الخارجي بالدقهلية. باحث ومُطوِّر لنشاط إلحاق العمالة المصرية بالخارج، وأتبع في ثقة، ليس على مستوى إدارة الاستخدام الخارجي بالمديرية، بل على مستوى الوزارة، بعدة أبحاث، إحداها، بحث ميداني وقانوني لآثار تطبيق قانون العمل ١٢ لسنة ٢٠٠٣ ومعوقات التطبيق، ومقترحات العلاج، فأنا الفائز بالمسابقة العامة للبحوث بوزارة القوى العاملة والهجرة لعام ٢٠٠٧/ ٢٠٠٨م في هذا المجال. ساهمت عن محافظتي، مع القاهرة والجيزة والإسكندرية والشرقية في وضع قرار وزيرة القوى العاملة والهجرة رقم ١٣٥ لسنة ٢٠٠٣ بإصدار اللائحة المنظمة لمزاولة عمليات إلحاق المصريين بالعمل في الخارج. فاستوقفته عضو من اللجنة، تجلس تلقاء وجهه، حَزَرَ أنها عضو التنظيم والإدارة، إذ سألته:

- كم بقى لَكَ من الخدمة يا أستاذ فلان؟. فاستشعر أن هذه تريد أن تعتبر ما بقى له من الخدمة مِزْية سلبية، وكان قد شاع الترويج للقبول لمن بقى له في الخدمة سنين عدة، فراوغ مبتسماً:

- ثلاثة وعشون شهراً تقريباً. وكانت الاختبارات في أغسطس ٢٠١٤، وكان تاريخ ميلاده أول يوليو ١٩٥٦م، وكان أغسطس وشيكاً ينصرم، لكنه لم يسقطه من الحساب، وكأن الشهر لم يَهِلْ بعد؛ وكذا أطال أمد بقائه في الخدمة، ثلاثة وعشرين يوماً. وكان البعض قد اقترح عليه أن يطلب من الوزيرة مباشرة إعطائه تلك الفرصة، إذ هي الفرصة الأخيرة بالنسبة له. أما

الأحدث فمازالت الفرصة أمامه؟ لكنّه كره الفكرةً، ورأى أنه أَعَزُّ من أن يسأل ذلك. وفجأة باغتته الوزيرة تقول:

- أنت رايح الوادي الجديد تعمل أيه؟!. كان السؤال حاداً ومستفزاً، فوجد نفسه يجيب تلقائياً:

- لأغير معتقدات الموظفين. واستشعر أن الكلام قد يفهم منحرفا عن القصد. ودرءاً لفهم أنه ذاهب في هَمِّ الدين، ودعوة الناس إليه، وكان قصده هو تغيير معتقد الموظفين في الوظيفة الحكومية؛ وأن الموظف همه بها، فقط، ليضمن دخلاً ثابتاً، لا لأن يعمل. وأن الكثيرين بسبب هذا يُزَوِّغون، ولا يهمهم العمل، ولا حسن الأداء. فأراد أن يدرأ عن نفسه، أنه ذاهب إلى الوادي الجديد ليُحَدِّث الناس في شأن الدين، فاستطرد يقص عليهم هذا القصص:

- .. وأنا قادم إلى الوزارة، ركبت المترو، وكان مزدحماً، فشاهدت أجنبية تقف، فقمت فأجلستها. وكان يقعد إلى جواري في المقعد بعض شباب حديثي السن، فلما رأوني قمت فأجلست الأجنبية، وعني من اللفظة معناً خفياً يستنبطونه: أنها في لباسها الشورت، فطرق الأمر تلميحاً، وتابع، فنهض هؤلاء من مقعدهم جميعاً، وكانوا ثلاثة ولم يدعوني حتى أجلسوني. فقال الطبيب النفسي أو من ظنه أنّه هو:

- حسبوك تُعاكسها. فرد دعابته:

- لا أعتقد. لقد قالوا، أنت سوبرمان. وصمموا* فلم يدعوني حتى أجلسوني. وأردت أن تصل تلك السيدة رسالة إيجابية عن مصر وأهلها. فأنا أريد تغيير المعتقد السائد لدى موظفي الحكومة عن الوظيفة. واستطرد: لدي في الإدارة إدارة الاستخدام، زميل ملتحي، يأتي إلى العمل وهو صائم، يأتي ولا هَمُّ إلا التزويغ، لا يفكر أن هذا الوقت وقت العمل. ولا يفكر في النهوض به وتطويره، ولا في حسن الأداء. ورفعة شأن الوظيفة؟. فأجابت الوزيرة توافقه:

- نعم، لما ذهبنا إلى الخارج، وجدنا أخلاقهم الدين، وهنا نجد مسلمين، ولا نجد خلق الدين ؟. وسألته:
- وما هو مقترحك لتطوير الوظيفة؟. قال:
- من خلال برامج للتدريب، يكون ضمنها تغيير المعتقد السيئ عن الوظيفة الحكومية، لتحسين الخدمة، وسرعة الإنجاز، وإخراج منتج جيد. فأردفت تبتسم:
- فما هو مستوى اللغة الإنجليزية عندك يا أستاذ فلان؟. فوقع ثانية في السرد، وراوغ دون أن يكذب، قال:
- كنت قد عكفت على دراسة اللغة الإنجليزية لمدة عام كامل، بمناسبة فوزي بالمركز الأول في معهد لإعداد الدعاة. فذكروا لي أني أذهب للدعوة بالخارج، وطلبوا مني تعلم اللغة الإنجليزية. وبالفعل استطعت بعد الدرس لمدة عام أن أجيدها. ولكنهم رجعوا فقالوا: ينبغي أن تجلس عند قريب لك في القاهرة، فترة ثلاثة أشهر، ترقب الفرصة، فمتى أعلنت الوزارة عنها كنت حاضرا وتقدمت للمسابقة. ولأني موظفٌ، لم أستطع ترك وظيفتي مثل هذه المدة، فتراجع المستوى، وأحاول الآن أن أعود إليه سريعاً، فاللغة الإنجليزية إذا هجرت ضاعت. فوافقته الوزيرة فأجابت في مودة ورهافة صوت:
- نعم، اللغة ممارسة، إن تُرِكَتْ الممارسة ضاعت. وفجأة توقف الحوار، بعد أن راح يألف الجميع. وطلب إليه أحدهم في حسم:
- تفضل يا أستاذ مجاهد؟. وأشار إشارة الخروج. فنهض مضطرباً إلى الباب الذي دخل منه، والذي يفض إلى القاعة التي يجلس فيها الزملاء. فأشار له إلى باب آخر:
- من هنا ؟. فابتسم معتذراً لجهله بطرق القوم. وكان هذه أطْوَلَ هو مُكْثٍ لفرد مع اللجنة، حتى أن بعض من دخل اللجنة قبله أقبل إليه يزف، مستشرفاً

فوزه. أخذوا يسألونه. فقص عليهم ما قد حدث، بشعور غلب عليه التفاؤل لما استشعره منهم. فلما أعلنت النتيجة على موقع الوزارة، وجاء ترتيبه السابع والأخير، فنفي بشدة:

- لا، ليست هذه النتيجة، ولا مستوى الدرجات، هذا ترتيب دخولنا للجنة. لقد دخلت اللجنة- وكانوا يدخلون الوافدين من المحافظات النائية أولاً - فجاء ترتيب دخولي السابع. فلم يُضَعْ مدير المديرية الفرصة، إذ أمر بتعليق نسخة من النتيجة، استخرجها عن النّت مدير مركز المعلومات، وأمر بتعليقها مدير المديرية بلوحة الإعلانات. وأخذ يروج أن هذا هو مستوى موظفي المديرية، وأن مجاهد هو من حصل على أدنى الدرجات- وكان معه من المديرية شخص خرج ترتيبه الثالث- وأنه لو كان ثَمّة شيء وراء هذا الترتيب لاسْتَحَقَّهُ!؟. وكان قد ذهب لتسليم المستندات المطلوبة للأمانة الفنية للجنة الدائمة بالوزارة رِفقَ اثنان من الزملاء؛ مدير مكتب تفتيش عمل ثان المنصورة، ومدير مكتب تفتيش عمل طلخا- أحدثا منه وأقلا خبرة وشهرة، يعتبرانه قدوة، ويوقرانه- فوجدوا أنهم سُبقوا للتقدم من المديرية بثمانية، منهم سيدتان، واثنان من الغربية، التي كان مدير المديرية الحالي مديرها سابقاً. وواحد من محافظة بورسعيد. واقتصر الزميلان على التقدم لوظيفة وكيل مديرية عمل الدقهلية دون سواها، وقالا:

- يا أستاذ مجاهد، ما يُجْدي عنَّا التقدم لشغل وظيفة الوكيل في محافظة ثانية، أنذهب لنترك بيوتنا وأولادنا؟ سنكتفي بالتقدم لشغل وظيفة الوكيل لمديرية الدقهلية، فإن جاءت، فخير وبركة، وإن فاز بها أحد الزملاء الثمانية فلن نحزن، المهم أن يأتي أحدُنا نحن العشرة للمديرية وكيلاً؟. ورغم أنه كان، في ميزان الجميع، الأقرب للفوز بالوظيفة القيادية بالدقهلية، إلا أنه تقدم لشغلها أيضاً بمحافظات- أسيوط- الشرقية- ومدير عام لمديرية الوادي الجديد،

والإسماعيلية، وهما محافظتان من محافظات الدرجة الثانية، ليس بهما منصب وكيل وزارة، بل المدير العام هو مدير المديرية. ولمَّا عاد للإدارة في اليوم التالي- وكان مقرراً فيه حملة مشتركة مع مكتب تفتيش عمل ثاني، وكان قد طلب من النائبة عمل خط سير له وللأستاذة للقيام بهذه الحملة مع مكتب العمل المذكور- فقاما بتنفيذ خط السير. فلما ذهب لعرض نتيجة الحملات- وكانتا حملتين خلال هذا الأسبوع، وكان لا يدخل على مدير المديرية، بل يسلم ما لديه للسكرتارية، والأخيرة هي التي تقوم بالعرض- فقام مدير المديرية بالتأشيرة على نتيجة إحدى الحملتين: أين خط اليسر عن هذا اليوم؟. يعني، التالي للعودة من السفر. فاتصل على الموبايل بحمدي منصور، الذي ذهب للمديرية ذلك اليوم، لاعتماد بوسطة الإدارة والتي كان ضمنها خط السير هذا. فأجاب حمدي:

- أنا سلمت بوسطة الإدارة ذلك اليوم لسكرتارية مكتب وكيل الوزارة، وانتظرت في المديرية حتى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر. فلما أبطأت السكرتارية في إعادتها إليَّ، دخلت فراجعت مدير المديرية، فقال لي:
- لمَّا يأتي وكيل المديرية الجديد، يبقى يمضي لكم الأجازات وخطوط السير. ورفض التوقيع، وعلمت أن كل ما عرض عليه في ذلك اليوم رفض توقيعه، وأعطاه لفلان؛ مدير شئون العاملين، فقال لي: هي عندي. دعها، وسأقوم بإعادة عرضها عليه عندما يهدأ. فهو منذ الصباح يصيح فينا ويرفض إمضاء أي شيء. فغضب غضباً شديدا، وقال للزميل:
- ولمَ لم تبلغني بذلك في حينه؟ سأكتب مذكرة لأحمي نفسي، أطلب فيها أحالتك للتحقيق، عندها دافع عن نفسك، بذكر ما حدث. فصاح حمدي في نوبة شجاعة:

- وأنا لن أخشاه، وسأذكر في التحقيق، أن مدير المديرية عندما راجعته رفض اعتماد خط السير، وقال: عندما يجيء وكيل المديرية الجديد، يبقى يمضي لكم الأجازات وخطوط السير. وأعطى بوسطة الإدارة، لـ فلان، وهو يشهد معي على ذلك. فذهب من فوره إلى مدير شؤون العاملين يسأله؟ فَصَدَّق حمدي:
- نعم، يا شيخ؛ ظل يصيح في وجه كل من دخل عليه ذلك اليوم، وطرح كل ما عرض عليه عندي، ولم ندر ذلك اليوم كيف نتعامل معه؛ لكن حرر خط سير آخر عن ذلك اليوم وابعثه إليَّ وأنا أحاول اعتماده منه. ففعل، فرفض مدير المديرية اعتماد خط السير الجديد وكتب عليه: كيف يتم اعتماد خط سير لحمله بعد القيام بها؟. فلم يجد مجاهد بُدَّ من تقديم المذكرة في حمدي منصور، يطلب إحالته للتحقيق، لتقصيره في أداء عمله، ولعدم إخباره أن مدير المديرية رفض اعتماد خط السير، فلا يقوم بالحملة. فأسرع يسد الطريق على مدير المديرية الذي حزر منه المكر السيئ، إذ يَتَعَمّدُ رفض التوقيع على خط السير. ثم إذا عرض عليه نتيجة حملتين يختار إحداها، ليقوم بالتأشير عليها: أين خط السير عن هذا اليوم؟ دون الأخرى. وما تعمَّد ذلك إلا لإرادته السوء واحتياله للخيانة؟ قال مجاهد في نفسه، وكان قد اعتمد بنفسه خط السير للحملة الأخرى قبل سفره. فلما عرضت المذكرة، وواجهه حمدي منصور بما قِيلَ له في شجاعة، غضب مدير المديرية غضباً شديداً، واستدعى فوراً مدير شؤون العاملين، وشتمه:
- يا كذَّاب، تدعي أن خط السير عرض علي فرفضت توقيعه، وقلت: عندما يجيء وكيل المديرية الجديد سيعتمد لكم الأجازات وخطوط السير؟ . فلم ينطق مدير شؤون العاملين بِبَنت شفة، ووقف يرجف، وأحيلت المذكرة للشئون القانونية. ولأن مدير المديرية عزم على مؤاخذة مجاهد، أشّرَ: كيف يتم القيام بحملة دون خط سير؟. يوجه التحقيق، فذكر الأخير ما قيل له على

لسان كلٍ من حمدي منصور، الموظف لديه، والسيد النجار مدير شئون العاملين، وأكد طلبه بسؤال الرافض لاعتماد خط السير، يعني مدير المديرية، ثمَّ المقصر في أداء عمله، يعني حمدي، التارك لبوسطة الإدارة لدى من ليس له صفة، والذي لم يخبره بالأمر في حينه، فلا يقوم بالحملة المذكورة؟ وقال: لقد قمت بتنفيذ حملة مقررة بخطة التفتيش على شركات إلحاق العمالة، مبلغة سلفاً للوزارة، وقام باعتمادها مدير المديرية هذا نفسه.. وتحدث بجلاء الحقيقة؛ يعتب على مدير الشئون القانونية عقب صدور قرار بمجازاته بخصم يوم من راتبه:

- هذا الذي يمكر مكر السيئ، أي مدير المديرية، ويعرقل العمل، ويتآمر، ويسيء استخدام السلطة، يصدر قراراً بمجازاتي، وأنا الفائق في عملي، بخصم يوم من راتبي، لقيامي بحملتين مشتركتين أنجزت فيهما، وجئته بمخالفتين لشركتين من شركات إلحاق العمالة، فيعتمد إحداها؛ ويتوقف للأخرى، ويتعمد السؤال عن خط سيرها، دون خط سير الحملة الأخرى؟!.

وأتبع يسأل غَضِباً من مدير الشؤون القانونية ناجي:

- أأعاقب بمذكرة أنا من قدمها، أطلب فيها محاسبة المقصر، وأذكر واقعة، يضطر شاهدوها إلى ذكر المتآمر الحقيقي، والمعرقل للعمل، فأجازى بخصم يوم من راتبي؟! بحق الله كيف تحكمون، وأي تحقيق موجه هذا!؟. فضحك ناجي، وتساءل في وخبث:
- والله يا مولانا هذه واقعة لم يسبق لها مثيل؛ أن يعاقب شخص مقدم مذكرة يطالب فيها محاسبة المقصر، فجازي هو بها !؟، ولو أردنا الإنصاف، فأقصاها الحفظ. فقال يلومه:
- فأي تحقيق هذا؟! أنتم تسيرون في هواه، وتعاونته على السوء؟ فأجاب:

- يا مولانا، رأينا استشارياً، والقرار النهائي لسلطة مدير المديرية، أعطاه القانون حق مخالفتنا.
- إذن الجزاء بيده، ولم يكن بأيديكم؟.
- نعم يا مولانا، هو بيد عمر، يكني عن مدير المديرية، بل أكثر من ذلك، فأنا فلان، بصفتي مدير عام الشئون القانونية لم أقم بالتوقيع على هذا القرار. فسأله متوعداً:
- فمن وقعه إذن؟؟.
- يا مولانا، أنا لا أستطيع أن أفصح أكثر من ذلك، فابحث؟، وأنا واثقٌ أن شخص معاليكم زكي، فقد وصلتكم نسخة من قرار الجزاء ٥٢٦ في تاريخ ١٦/١١/ ٢٠١٤. فعقب له:
- إذن ما تقومون به من عمل، ليس إجلاءً الحقيقة؟، وهذا يعمل على توجيه التحقيق تبعاً لهواه، ويعاونه أتباعه؟. فابتسم في خبث:
- لا توقعنا في الحرج أكثر من هذا يا مولانا ؟ فالمؤمن كيس فطن، ومعاليك، يستطيع أن يتظلم من هذا القرار. فاستنكر مجاهد عليه ذلك:
- لمن أتظلم؟!. قال:
- لمن قام بتوقيع الجزاء على شخصك الكريم، للسيد/ مدير المديرية. فَبُهتَ من هذا المنحى القانوني.
- أأتظلم لظالمي!؟ لن يكون ذلك أبداً. فأفاده شاب رزين من باحثي الشئون القانونية، يحضر الحوار من أوله، يجلس مع ناجي في إدارة الشئون القانونية:
- قدم تظلمك عند مفوض الدولة؟. فسأله مجاهد، إذ لا خبرة له بالشأن، فهذه أول مرة يصدر في حقه قرار بالجزاء:
- فأين هو؟؟.

- تحت، في المحافظة، بالدور الأول علوي. وأرشده لبعض عبارة قانونية يستخدمها في عرض تظلمه لدى مفوض الدولة فـ كيف أجازى عن مذكرة أن من قدمها، أُطالب فيها بمحاسبة المقصر، فأحمل أنا الجزاء؟!. ولأنه كان من النوع الذي لا يخفي نواياه، ولا يسعى بالحيلة، ولا يكذب، قال يؤكد لهما صدق عزمه:
- سيكون جزاءُ هذا، زواله عن منصبه، أن خصم يوماً من راتبي بغير حق. وسأسعى ما استطعت- مستعين بالله- وَتلا ينبئهما ويحرضُ نفسه معاً.. ولا يَحِيقُ المَكْر السَّيْئ إلا بأهْلِه..

* * *

الفصل العاشر

عربة كارو تهرول بعكس الطريق كادت طرح أميرة وطفلها أرضاً؛ فنأت بالطفل وبنفسها قليلاً، فَمَرّتْ العربة من أيديهم تُربع، فصاحت بالسائق:

- هَلَّا زمرت؟!. أنَّبَته كذلك؛ فالتفت الشاب فناداها، وكان مثلها فَكِهاً:
- نأسف للإزعاج؛ العربية ليس فيها تَلِكْسٌ؛ فشرع الصبي ناظريه إلى وجه أُمّه الذي غار منه الدم، فسألها وقد نَجِيا:
- ميرة؟ عَوَّر؟. يعني يا أميرة؛ أراد هذا أن يؤذينا ويجرح؟ فقالت تُصدِقه:
- نَعَمْ يا سيد!! فالتفت للعربة التي وَلَّت، وصاح يَسبُّ سائقها:
- ماره؟ بَارة؟. يعني؛ يا حمارة؟! يا بقرة؟! ونادى غَضِباً: أَلَل؟ يجيئك شَلَلٌ، أمك أأسيسة؟. أنت وأمك ونيسة؟. كان هذا الصبي يحب أُمّه أميرة حُبّاً جَمَّاً، ولا يأنس إلا معها. يهرول فوق السلم وقد أحسَّ بريحها يجيء، يُقَدِّرُ وقتها بالضبط، كأن بقلبه ساعة جرينتش تَدُقُّ فتنبهه. فينسل فيقف على بسطة سُلَمِ الدور الثالث يَرْقَبُها. ويجد حفيف نَعْلَيْها بأول سُلَّمة للبيت، وتبتدره هي بدورها تعجل:
- سيد؟.
- ميرة؟ الطفل. فتجيبه:
- نعم يا حبيبي؟؛ ها قد جئتك . فيُسْرِع هابطاً، فتنبهه:
- حاسب؟، على مهلك؟. وتؤكد منبهةً:
- أوعى تُقع يا سيد؟؟. وإذ يدركها فيقول: إبسي؟، أصير؟ا. فتطمئنه: إي. وتُسرع في حمله وتقبيله. وتستخرج له من حقيبتها فتعطه وتقول: الاثنين معاً، العصير والشبسي. وتصعد به السلم، وبين الهنيهة والهنيهة تنحني فتقبله.

وكانت تخرج لنزهته بين المغرب والعشاء يوم الجمعة، في صحبة عَمَّتها وباباها مجاهد، كذلك أمرها المرحوم أبوها أن تدعوه. يتقابلون عقب جلسة المسجد، وكانت قد تربت في حجرهما، وكان الصبي يفرح بركوب السيارة، ويعرف مجاهد بها. وإذ يبصر عَمَّته منفردة يسرع فيسألها عنه:

- أجاهد؟، أَبِيَّهْ؟ أين مجاهد؟ وأين العربية؟. وإذ يراه بدونها:
- أَمِّتُو؟ يعني، عمتي أين؟. كأنه يُلهَمُ هذا الاسترضاء، إنعاشا لتلك الحياة الزوجية، وسلوك الإصلاح بين الزوجين؟! فحرصا جدا على العناية به، وتطييب خاطره، ويذهبان في نزهته، ونزهة أُمّه إلى المدينة، فَيَطْعَمون جميعاً البليلة شتاءً، والجلاتي صيفاً. ويرجعان إلى البيت سعداء، وقد أفرحا الطفل، وفَرجا عن أمّه بعض الهمِّ، وكانا يألمان لها.. بُنية لم تتخط العشرين، فأمست في حكم الأرملة. حتى الفترة القليلة التي مكثتها في الزوجية لم تنعم بها، وكانا يخافان عليها من الفتن، ويفكران في شأنها و شأن هذا الصبيِّ كثيراً؛ أنَّه كاليتيم، وكان مجاهد يحسُّ في نظرة الطفل رغم ما يشيعه من اللّهْوَ، ظلَّ الانكسار، كأنَّه في الأرض حيران، يشكو ألماً دفيناً. فحدثَ الزوجة عن هذا: أحب هذا الصبي لحبه لأمِّه هذا الحب، ولعدم ائتناسه إلا بها. ويوم جلست أمُّ أمِّه تحدث عن عرس حضرته، في حضرة جدتيه، أمِّها، وأُمِّ المرحوم زوجها في حضرة عمتها. فراح الصبيُّ ينصت للحديث باهتمام بالغ، فانتبهت إليه، فشاكسته:
- عُقْبى لـ أُمّكِ لمّا تتجوز يا سيدا!. فقال، وكأنَّه وعى أنها هي الأخرى أرملة:
- جوزي أنت مينة؟. وقال في حمية: ميرة أُقْعُد معايا؟. فاحتضنته أُمُّه وفاضت عليه تقبيلاً. وضحكت من قلبها الجدة الكبيرة، وَدُهِشت تسأل أمينة:
- شوفي يا اختي الولد!؟. فأنبأت:
- هـ تموت، يا عجوز؟!. فقالت أمينة تصطنع لحزنها:

- طيب يا سيد؟. فردد كالببغاء، وقد ظنَّها تشتمه:
- طَب أنت مينة؟ . بعدها بيومين، وكانت أمُّه تمسك بيده تسير به وعمتها في شأن، فقالت تذكره، وقد وقعت في الغمِّ:
- ها تْقَعَّدْني معك يا سيد لمَّا تتجوِّز؟! فأجاب مبتسماً:
- إي. فانبرت تؤنبه بلا ذنب:
- والله بايِنَّ أنَّكَ ها تبقى خسيس كأبيك، وتطردني من أول يوم؟. فرنا الطفل إليها حزيناً للنبرة القاسية، فقالت عمَّتها تنهاها:
- بنتّ يا أميرة؟ . وقالت تطلبه: تعال معي أنا يا سيد؟. وسألته مواسيه: نضربها؟. فأجاب:
- أي. وقالت الزوجة لمجاهد ضاحكة: ورفض أن يجيء إليَّ، وظل مُتَعَلِقاً بيدها!!. قال:
- هو يحبها، وهي تحنو عليه حنواً كبيراً، وتعاني معه من الوَحْدَةَ فاستمرت تقص: أنا أعجب من سوء معاملة أمَّها لها!. تريد أن تَتَخَلَّص منها بأي شكل؟ كأنها ليست بابنتها، لا تهتم إلا بشأن الولد؟!. وقالت: أضحك، طلعت أمينة إلى أمِّي تحكي لها عنه، وكانت قد عنفت أميرة تعنيفاً شديداً، بسبب خلاف نشب بينها وبين أخيها فرآها تبكي، فقال:
- زعليش ميرة؟. مينة، وجع بطنك، ألل كبدك؟. وكان يسمعها تدعو به على ابنها الذي هو خاله، كلما أعجزها. وقالت أمينة تخبر حماتها:
- فأصبحت أعاني إسهالاً، ووجعاً في بطني، فلم أخرج للعمل؟ وقالت:
- ودخل يبحث في إحدى الحجر، فجاء بخشبة طويلة، جري بها وراء خاله محمد لا يهاب، يطارده في الغرف جميعاً، ففرَّ خارجاً. فقال يشتمه: ألل، أمك مينة؟. ومهما شتم كانوا يضحكون في وجهه، ويحنون عليه. وكان خاله يأخذه في نزهات في صحبة رفاقه. وكان يستطيع أن يَعُدَّهم له عداً، وكانت أميرة لا

تبخل بما في يدها عن أخيها، رغم أنه كثيراً ما كان يهينها، لكن إذ تراه يعنى بولدها، كانت تحتفظ له بالمودة. فقال:

- انتبهي؟. لا تنسي أنها لم تمكث في حجر أمها، على عكس الولد الذي لزم حضنها، وَرافقتك أميرة منذ صغرها؟. وقال:

- هي أَحَنَّ مِنْكِ! هي كالمرحوم أبيها.فسألته عن حَالِ جَلْسَة المسجد، فشكا إليها حزنه:

- صَفصَفَت على خمسة!!؛ ولولا حضور الصبيان، لمُتّ من الغَمِّ، وعدهم لها... فقالت:

- الصبيان هؤلاء كانوا عندي بالحضانة؛ وخصت اثنين تحدث عنهما: أحمد إيهاب، وهادي، كانا من المتفوِّقين، وهم أول دفعة تخرجت عندي. وكان الغلامان في الثانية عشرة الآن. أمّا معاذ، ومحمد عبد المجيد، وأحمد حسام، فكانوا ما بين التاسعة والعاشرة. وكان قد جاء مع هؤلاء الصبيان بُعْضُ الصبايا مِمّن تخرجن أيضاً من عندها. فلما بلغنَّ الحادية عشرة، أُقعِدهنَّ ذووهم بدعوى، أنهنَ بلغنا مبلغاً لا يجوز أن يجالسن فيه الرجال في المسجد؟!. واسترسل يشكو:

- الناس في بلادة شديدة؟!. انتقلت بالدرس من البيت إلى المسجد لعل بعضهم يرانا فينضم إلينا؟. وبمجرد الفراغ من الصلاة يفرون؟ وقرأ يصفهم.. كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنفرةً فرت من قسْورة .. وإذ يراني أحدهم أرنو إليه، يلوح لي بالتحية استحياءً ويسرع خارجاً. وقال: وهذا أخي، سمعته مرةً، يقرأ القرآن وقد تقدم يؤم النَّاس، فسمعته ُيلْحِنْ، وكان زمن جلوسه معي وهو وابنيه أفضل كثيراً منه الآن؟. وذهب يقرأ آيات لم أُقْرِئه إياها فتلجلج فأمددته. كان يفهمني أنه لا يزال يقرأ بدوني، وليته كذلك. وبعد الصلاة يسرع بالخروج، وينهض

إليَّ بيده بنصف تلويحه فاترة، وتقول سيماه غير السعادة، بسبب موضوع الحضانة. فقالت تخبره:

- مجاهد؛ أصغر ولدي أخيه، وكان الحين في نهائي طب أسنان، يمر فلا يُكلمني؟. وفلانة، تعني، أخته، وكانت قد دخلت أولى ثانوي، متى قابلتي على السلم نكست رأسها، ومرت، فلم تكلمني فقال في حسم:
- لا تعتبري لهم؟ من تجاهلنك تجاهليه؟ . فاستمرت تفتح موضوع الحضانة:
- نحن لم نسرقهم! وأنا أدفع إيجاراً للحضانة، على الرغم أن أخاك ظل ينتفع بهذا الدور سنيناً عندما كان يتخذه مَحِلاً للدرس زمن سكنى والديك، ولم نتكلم طوال تلك المدة، ولم نطالبهم بشيء؟ فلم يعقب، فقد تكلما في هذا الشأن مرات عديدة، ولكنها استرسلت، تسأله:
- هل كلمت أخاك في موضوع إصلاح جدران الحضانة؟. فاستمر يصمت. فأخذت تلح، أنا سألت جارتنا فلانة، مهندسة مدني. وأريتها الجدران التي قامت بها الرطوبة فقالت: مهما دهنت زيتاً، لن يتلبث أن يتساقط. ورأت أن تبطين الجدران بالسيراميك هو العلاج الأنجع، يمنع خروج الرطوبة إلى السطح. وأريتها شروخ الجدران فقالت: لا خطر منها طالما أنها لم تبلغ السقف، ولا يتصل بعضها ببعض من الناحيتين، وأن تبطين الجدران بالسيراميك سَيَشُدُّها ويقويها؟. قال:
- أخشى إن فاتحته في هذا أن تزداد شقة الخلاف بيننا؟. فصاحت:

أليس هذا في مصلحة البيت؟ دعوه يسقط، لأنكم لا تريدون أن تتحركوا. وحرضت، ألا تحركوا لمصلحة هذا البيت؟ فقال يتحسب:

- وأنت مستفيدة لأنه في صالح الحضانة أيضاً. فحكت جازمةً:
- أنا أعطيكم إيجاراً، التكلفة ستكون عليكم، لن أدفع فيها مليماً؟.
- أقترحها مُناصفةً؟. تحدث في لين، فقالت:

- المتعارف؛ أن تَكْلفةَ الإصلاح أي شيء على المالك، وليست على المستأجر؟. قال:
- سَيُقال لنا؛ لسنا مضطرين لهذا الإصلاح، وأنَّه لمصلحة الحضانة، وهو يعتبر الإيجار قليلاً، وفي رأيه أن الإيجار المناسب خمسمائة جنيهاً وأنت تستأجرين بثلاثمائة. فردت:
- أليسوا منتفعين بالدور الرابع، ولا تأخذ عن ذلك إيجاراً؟. فتحدث في لين:
- إن سلكنا طريق الحكمة، ومنعاً لزيادة فرجة الشقاق، أن تقدمي لخصمك حافزاً؟. أقترح أن تكون التكلفة بالنصف، باعتبارك منتفعة بالدور الأرضي باستخدامه حضانة بشكل دائم، وباعتبارنا مالكين نأخذ منك إيجاراً؟. قالت:
- إن كان فلابد، فالثلثان عليكما؟ وأنا والحاجة، تعني والدته، نتعاون على الثلث، وقد فاتحْتُها فأبدت استعداداً؟. ونشطت تعرض تفصيلاً:
- أنا حسبت التكلفة؟. قدرت أن تبطين الجدران بالسيراميك بارتفاع متر ونصف من الأرض، وهو أقصى ارتفاع للرطوبة، قدرت أننا نحتاج إلى تسعين متراً سيراميك، وثلاثة أرباع طن أسمنت، وأربعة متر رمل، والمصنعيّة، وإزالة التغفيق القديم الذي أفسدته الرطوبة. فحسبت فوجدت ذلك يتكلف ستة ألاف جنيه تقريباً. وقالت: تتحمل أنت وأخوك أربعة؟ وأتحمل أنا والحاجّة الألفي الباقية؟. ولن أدفع زيادة على الأف جنيه مليماً. واعلم أن ذلك ليس هو المنصفة، وأنك بتنازلك الدائم تطمعهم فيك وتشجعهم على الاستغلال. فلم يرد. فأردفت تُلَقِّنه:
- انتظره إذا خرج للصلاة أو تشاهده في المسجد فتكلمه؟ ينبغي بدأ العمل قبل حلول شهر رمضان، الذي يأت بعد أقل من شهر، وقد مضت الأجازة.. ولما فاتح أخاه نهض بالحلم البالغ- وليس الحلم طبعه- كمفاوض حصيف نصب عينيه النتيجة، ولو تحمل في سبيلها ما تحمل.. فرد أخوه في صرامة:

- التكلفة يتحملها المنتفع، والحضانة انتفاعها بهذا الدور مستداماً؟. فقال، بينما أخيه في العناية بسيارته لم يتوقف:
- ونحن ننتفع بالإيجار يا شيخ فلان، وإحلال السيراميك محل الزيت يدوم، ومصلحة للجدران، يقويها؟ نتحمل نحن النصف وتتحمل الحضانة النصف؟.فترك أخوه ما في يده، وأنبأ في صرامة:
- بل تتحمل الحضانة الثلثين، ونتحمل نحن الثلث. فقال في نفسه حزيناً: أتحمَّل أنا الفرق؛ المهم أننا وصلنا إلى نتيجة؟!.. فلمّا ظهرت نتيجة الاختبارات للوظائف القيادية قال: هذه مهزلةٌ؟!. فقال أحدهم:
- بُعثوا فينا الأمل، فعاندنا الفقر، وقطعنا المسافات، وشحذنا الهمم، فأحيينا المعلومات، وقرأنا قانون العمل، ولوائحه التنفيذية، خمسمائة صفحة، وأعددنا بَحْثاً للتطوير تلك الوظيفة، فإذا بهذه الدرجات معروف شاغلوها سلفاً!؟ سأتحدث لدى الوزيرة على نتيجة الوادي الجديد، أنها جاءت حسبما ترتيب دخولنا الجنة؟ أيدَّعون أنها مسابقة، فجاءوا بنا من أماكنِنا البعيدة، وهي ما قامت إلا لتثبيت شاغلها؟ تحدث أحد الزملاء لدى حاجب الوزيرة، فنهض في تأييده:
- وأنا معك شهيد؟. إذا تحدثت لدى معالي أمام الوزيرة، فقل قال مجاهد منصور، محافظة الدقهلية: إنهم أرادونا كالمحلل للمطلقة ثلاثاً؟!. فضجَّ الجميع بالضحك رغم عظم البلوى. واعتذر إليهم حاجب الوزيرة:
- يا سادة، أقسم لكم، بشرفي، أن كشوف المتسابقين تسلم إليَّ من أمانة اللجنة الدائمة للقيادات، وأن دوري يقتصر على النداء، وتهيئة أحدكم للدخول، وأن الاتفاق، أن يراعي في الدخول للجنة القادمين من الأماكن البعيدة، ثم الأدنى، فالأدنى، تيسيراً لعودة الزملاء من المحافظات النائية إلى محافظاتهم. كان هذا هو اليوم الثاني لعمل اللجنة، وكان مقرراً لها اليوم محافظات؛ أسيوط،

الدقهلية، وشمال سيناء، وكان مجاهد قد جاء مع الزملاء الثمانية المتقدمين من المديرية في ميكروباص خاص استأجروه. أما الزميلتان فكانتا قد سبقتا إلى الوزارة في سيارات خاصة، وكان هؤلاء هم العشرة المتقدمين من المديرية لشغل وظيفة الوكيل، وكان مجاهد أشهرهم وأقدمهم، بالإضافة إلى الشخصين المتقدمين من محافظة الغربية، وآخر من محافظة بورسعيد، فأمسوا ثلاثة عشر متقدم. فتَحَدَّثَ البعض عن وجود مدير المديرية ضمن أعضاء اللجنة، فنفى مجاهد بشدة:

- لا أعتقد؛ فكيف يكون ضمن أعضاء لجنة، مفترض فيها الحيادية، لاختيار وكيلا ليعمل معه؟. وقال: يجب علينا الاعتراض إن وُجدَ ضمن أعضاء اللجنة، وأن هذا فيه مصلحة مباشرة؟. فقال مدير مكتب تفتيش عمل ثاني:
- يا شيخ مجاهد، رجاء عدم افتعال مشكلة؟. فليأتِ واحدٌ منَّا نحن العشرة من أبناء المحافظة وكيلا للمديرية، بغض النظر من سيكون هو؟. فأنبأ في حسم:
- انتبهوا؟. لن يأتي هذا بأحدكم وكيلاً؟ وإن يفعل، فإنَّ ظلماً سيقع؟ تعرفون الخصومة التي بيني وبينه، وحتماً لن يقع اختياره عليَّ، وأنا ما تقدمت لهذه الوظيفة إلا لآتيه، لأكفَّه عن جبروته؟ . فأقسم عليه الأخ:
- يا شيخ، بالله لا تجعلها مشكلة؟. فصمت الجميع، فاستطرد غضبانَ:
- هذا تواطؤ؟. أنا إن وجدته في اللجنة سأنسحب منها، لأن له مصلحة مباشرة في هذا الاختيار، ومنافٍ للحيادية؟. وانتهى الحوار عند هذا الحد، فلمَّا ورد اللجنة رآه جالساً، فنظر إليه من طرفيٍ خفي، فرآه منتفخاً تقول سيماه المتعالية، ها أنا ذا أجلس جنباً إلى جنب مع معالي الدكتورة الوزيرة، آخذ في تقييمك؟. فتجاهله، وانحرف فأعطاه كتفه، وجلس بينه وبينها، حيث مقعد المتسابق. وطالع وجوه أعضاء اللجنة، وطالع وجه الوزيرة، وكان قد

استخرج نسخة من المظلمة التي بعث بها مرتين فكساً يشكوه إليها، فلم ترد. وسأله أحدهم السؤال المعتاد:

- قدم لنفسك ؟ . فأجاب:
- أفعل، فأعرض عرضاً تحريرياً عن انجازات إدارة الاستخدام الخارجي بالدقهلية، التي أنا مديريها، للأعوام الثلاثة الأخيرة ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣ على التوالي. وعَدَّ شفاهة فرص العمل المتاحة، وعدَّ ما تم إلحاقهم من المصريين للعمل بالخارج، والحملات التفتيشية التي قامت بها الإدارة؛ والمحاضر التي تم تحريرها، وقال: ما تَقُدَّمَ أحدٌ إليَّ خصمان بشكاة إلا حللتها بينهما بالتراضي، وكانت هذه أشهرها. رددت مبلغ ثلاثمائة وخمسة وثلاثين ألف جنيه إلى ثلاثين مواطناً، كانوا مسافرين للعمل بدولة الإمارات، فقام الكفيل بتخفيض راتب الدفعة الأولى، فرفضت الدفعة الثانية السفر، وتقدموا إليّ بشكوى ضد شركة إلحاق العمالة، فرددت إليهم أموالهم جميعاً دون أن أحرر محضرا. وأرسلت إلى الوزارة فأخبرتهم، وهذه نسخة أقدمها لمعالي الوزيرة، ومدّ يده إليها بالنُّسخة، وبنسخة من الانجازات، فاعتذرت. وتبعها في الرفض أعضاء اللجنة جميعاً، وحدثت هُنيهة صمت. ودون سابق إنذار التفت إليه مدير المديرية الحالي، ففاجأه بهذا السؤال، مبتسماً يصطنع النزاهة:
- يا أستاذ فلان، الشقة المقابلة لمقر إدارة الاستخدام الخارجي هي للإدارة العامة للأمن الصناعي بالمديرية، ما هي خطتك المقترحة للتطوير هذا النشاط من نشاطات المديرية ؟. كان السؤال خبيثاً جداً، ومن وجهين!؟ الأول، أن مدير المديرية يعلم أنَّه بكالوريوس تجارة، طبيعة دراسته نظرية دفترية، لا علاقة لها بطبيعة عمل هذه الإدارة التي هي في الجملة تتطلب الإحاطة بأجهزة البحوث والتجارب المَعْملية لغرض تحقيق حد الأمان لبيئة العمل والوقاية من المخاطر الفيزيائية والميكانيكية والبيولوجية، والوقاية من أخطار

الحريق، وخطط الطوارئ وأشياء من هذا القبيل، قرأها ضمناً في قانون العمل ١٢ ولوائحه التنفيذية ابتداءً من القرار الوزاري ١١١ بلوغاً بالقرار٢١٧ آخرها. استطاع أن يلم بها خلال شهر، وهو الفترة التي كانت بين نهاية التقدم للمسابقة، وبداية الاختبار والمقابلة الشخصية هذه، واستطاع أن يلم كذلك بأنواع النشاطات التي تقوم بها مديريات القوى العاملة. وكانت له رؤية مستقبلية ودراسات في تطوير نشاط إلحاق العمالة المصرية بالخارج، المعنيِّ به الإدارة التي يترأسها؛ لكن أن يكون له رؤية مقترحة لتطوير وحدة السلامة والصحة المهنية، وتأمين بيئة العمل فذلك شيءٌ عسير على مثله جداً!! بل يكاد أن يكون هذا السؤال تعجيزا!؟ بل ومن خبثه يريد أن يُظهرَه أمام الجميع جاهلاً، إذ سأله عن مقترحات تطوير الإدارة التي تحتل الشقة المواجهة لإدارته؟؛ فإذا كان لا يعلم كُنْهَ عملها، فكيف يتسنى له أن يكون وكيلاً للمديرية؟؛ كلمح بالبصر خَطَرَ ذلك بقلبه فبادر في شجاعة، يفاجئ الجميع، يسأل غضبان:

- يا معالي الوزيرة؛ الأستاذ فلان، بيني وبينه خصومة؛ كيف له أن يكون عضواً في لجنة معنية بتقييمي؟!. فبُهِتوا جميعاً، وهمهم بعضهم إلى بعض؟. فاستدركت معاليها، وقالت، وأشارت تقطع الهمهمات:
- خلاص، خلاص؟ وطلبت من مدير المديرية الحالي التنحِّي؛ يا أستاذ فلان، جنب أنت؟. واستتبعت تُسترْضيه:
- الأستاذ.. لن يكن من المشتركين في تقييمك. وسألته عن مستوى اللغة الانجليزية تحدثاً وكتابةً، فقال:
- استطيع أن أستوعب حديث المتحدث إليَّ فأجبه؟. فسألته:
- وما هي خطتك في تطوير وظيفة وكيل المديرية؟. فأغلق عليه وكان لا يزال غضبان فأجاب بشطر جملة:

- عن طريق التدريب، واستدرك يشرح. فقاطعته الوزيرة بنبرة متهدجة حانية:
- أهكذا يكون التطوير؟!. تستنكف. فأمسك ينتظر، لعل معاليها أن تفيض بيانا، فلم تزد على أن استطردت في دهشتها تسأله: يا أستاذ فلان، عملت في وزارة القوى العاملة أكثر من ثلاثين سنة، ولا تعلم أن فيها إدارات معنية بالتخطيط والتطوير؟. ألمْ تعمل بواحدة منها؟؛ فتأكد له أنها لا تعرف كيف تجيب، ولا تستطيع أن تتحدث عن أي تطوير، فيأس منها ولم يعقب. وبادره عضو اللجنة الذي يجلس تلقاءه، في الطرف الآخر للمنضدة يعقب:
- قلت ما من مشكلة إلا وحللتها؛ فَلِمَ لَمْ تحل المشكلة التي بينك وبين مدير المديرية؟. فاستفزَّه هذا التَّنَدّرُ، فردَّ في صرامة:
- لم أقل أني حَلالٌ للمشاكل! أنا قلت كُلَّ مشكلة جاءتني في مجال إلحاق العمالة، ورضي بي الطرفان حكماً قمت بحلِّها. فأعاد:
- فَلِمَ لمْ تَحُلْ المشكلة التي بينك وبين مدير المديرية الذي تعمل معه!؟. فرَدَّ باقتضاب:
- ليس لي إلا النُّصح؛ وقد فعلت. فخَيَّم الصمت هنيهة، تعلق بصرهم فيها بمعالي الوزيرة، وكانت نظرتهم تقول: هل لمعالي الوزيرة فيه حاجة؟. فأومأت: أن لا. فخرس الجميع، فبادره ذلك العضو فقال:
- تفضل؟. وأشار بيده يستنهضه للخروج. فمد يده بنسخة من الخصومة للوزيرة فدرأتها عنها في ارتباك، وقالت:
- لا، لا. تظنها انجازات الإدارة التي شاء أن يسلمهم إياها فرفضوا، وتابعت: سلم لمدير مكتبي ما تشاء؟. فصحح لها:
- هذه نسخة من الخصومة، معاليكِ، التي بيني وبين الأستاذ فلان؟. وظل خصمه لم يتفوه ببنت شفة، ساكناً، كأن الشأن لا يخصه. وتحدث هو وكأن صاحب الخصومة التي يُقدم نسختها للوزيرة لا يجلس إلى جواره، فقبلتها

صاغرة. فحمل حقبته ونهض.. ولمّا ورد قاعة اجتماعات الوزيرة أعلن في الجميع، أنه اعترض لدى الوزيرة على وجود مدير المديرية في اللجنة، وأنّه سلمها نسخة من الخصومة التي بينه وبينه يداً بيد، وأنه هبَّ من بين جميع أعضاء اللجنة، يسأله سؤالا أراد به تعجيزه. وأن معاليها أمرت بتجنيبه. وقال:

- ومهما يكن، فإني فعلت ما يتوجب عليَّ فعله، واعتقد أنه لن يأتي بأحدكم وكيلاً. ثُمّ إنّ البعض مضى يتحدث بانشراح صدر، عمَّا حدث له داخل اللجنة، وأن مدير المديرية الحالي لم يسأله، وأن معاليها كانت على قدر من الحفاوة به، كأنَّه هو من وقع عليه الاختيار فعلاً؛ وابتسمت مدير إدارة التنظيم- إحدى السيدتين المتقدمتين لشغل الوظيفة- تقصص في سعادة:
- الوزيرة قالت لي: قدمي نفسك يا صفاء؟. فارتبكت جداً، وضاع مِنِّي كُلّ كلام كنت قد جهزته، فقلت: فما أقول؟. فقالت بحنين: كلمينا عن اسمك ووظيفتك ومقترحاتك في تطوير وظيفة الوكيل؟.
- فذهب مِنِّي الكلام. فظلت ترفق بي، وقالت تَحُثني على الحديث:
- كلمينا عن الإدارة التي ترأسيها، وما تقدمه من خدمات. فقلت: إدارة التنظيم والإدارة تختص بتنظيم دورات تدريبية للموظفين للتثقيف وزيادة الكفاءة الإنتاجية. أعددنا دورات في كذا، وكذا، وكذا. وأنا قدمت بحث في البطالة، وفي الهجرة غير الشرعية، وفي كذا، وكذا. فقالت لي معالي الوزيرة:
- لك معي بحث عن البطالة، فما هي أهم أسباب البطالة في رأيك؟. وانفرطت تضحك: فكل ما كتبته من أبحاث كنت أنقلها من الكتب عن رأي الآخرين، ولم أخال الوزيرة تسألني عن رأيي أنا! قلت: الناس يتخرجون من الجامعة، فلا يجدون شغل مناسب فيحصل لهم إحباط، المفروض أن الدولة تقيم مشروعات كبرى ليعمل بها هؤلاء الخريجون والخريجات كي يُقضى على

البطالة، ومشروعات تستوعب كل هذه الأعداد التي تتخرج من الجامعة كل عام بالملايين؟. فسألتني الوزيرة، وما رأيك في الهجرة غير الشرعية؟

- هَيَ غير مضمونة. الواحد يبيع أرضه أو عفش بيته ليسافر، ذا غلط، لكنه مضطر، لأنه لا يجد شغل في بلده. والواحد يبيع أرضه بـ ٨٠ ألف ليسافر، لأنه يأمل في الأحسن. الإعلام لازم يفهّم الناس أن الهجرة غير الشرعية غير مضمونه، ولازم نزود مكاتب التشغيل بإرشادات ولوائح تعلق ليقرأها طالب العمل ونفهمه. الناس فاكره أن القوى العاملة تُعيِّنُ الناس في الحكومة، المفروض أن القوى العاملة تفهمهم وتوعيهم؟. واستطردت تنتقد الوزارة. فقبض أحدهم قبضة يده، وأشار بأصبع الإبهام، وقال:

- أنت كذا، يا صفاء؟. وضحك، وقال لي: أنت شاطرة يا صفاء، وضحكت. وفجأة قالت بإحباط:

- هم يعرفون من سيعينونه، وهو من ينجح في النهاية، هم يضحكون علينا، والله أنا حاسّة كذلك!؟. وأردف مدير التخطيط والمتابعة، وهو شخص ذو خلق، هين لين:

- هم لم يسألون، فقط، قدم نفسك؟. وأخبر: ابتسمت معالي الوزيرة في وجهي وقالت: يا أستاذ فلان، لقد لمست موضوعاً هاماً جديداً في بحثك. ليتك لم تكتف ببضع وريقات زهيدة؟ ليتك أضفت إليها بعضها. ليتك بسطت الشرح بعض الشيء، كان البحث سيكون ذا نفع، وجديداً؛ كان "صلاح سلامة" قليل البدن متواضع، قال ذلك وهو يفكر، وبصره إلى أسفل، بل دوماً بصره لا يغادر حذاءه إذا تحدث.. ورجع الثمانية في الميكروباص الذي جاؤوا فيه. ورجعت السيدتان في سبلهما الخاصة. ومضوا نشطاء يتحدثون إلا مجاهد فقد هجر الحديث، وهجرهم جميعاً. كان الجدل دائراً حول التوقعات عن الفائز؟ كل يحاول استباق الأخبار بطريقته، عن طريق الاتصال على الموبايل.

وواصل مدير مركز المعلومات رغم ظلمة الميكروباص ينظر في موقع الوزارة على شبكة الإنترنت ستقرئ النتيجة. حتى إذا كان الليل قد انتصف، وهمدت الأجساد، وخبا الحديث تماماً- وكانوا قد قطعوا ثلثي المسافة في طريق العودة، تقريباً بين بَنْها، وكفر شكر، ولم تأت حدود الدقهلية بعد- فاجأ الجميع مدير إدارة العمالة غير المنتظمة بأن الفائز بالوكالة: ليس من بينكم أيها السادة، بل شخص يدعى كذا، من محافظة الغربية. فماج الثمانية في آن واحد، موجاً شديداً، يحتجون، إلا مجاهد وكان قد يئس من موقفهم المتخاذل تجاه وجود مدير المديرية الحالي داخل اللجنة؛ فهبَّ بعضهم يسبه، ويسب الوزيرة. وصاح مدير مكتب تفتيش ثاني:

- هذا منافق، وهؤلاء متواطئون بما فيهم الوزيرة؟. إي والله؛ هذا خائن لمديريته، وخائن لمحافظته، وخائن لنا جميعا؟. وتابع كالممسوس يبحث في وجوه الجالسين عمن يستمع إليه، وكانوا هذه اللحظة لا يرى أحدهم إلا شخص نفسه، يتحدثون في آن واحدً:

- كأنَّ هذا لم يجد منّا واحداً نحن العشرة جديراً لأن يكون وكيلاً، كي يذهب ليأت لنا بشخص من محافظة أخرى؟! ما هذا الخزي؟؛ تلك إهانة لنا نحن العشرة جميعاً لا تغتفر، وينبغي علينا نحن العشرة عدم التعاون معه، والقيام ضده، وفضحه بفعله الشنيع هذا في أرجاء المديرية جميعاً؟. وعلق مدير إدارة العمالة الغير منتظمة، فاتصل بمدير مكتب الوزيرة فأُعْلمَ بالنتيجة قبل نزولها على الموقع، وكانت له علاقة به، يحمل إليه العطايا كلما ورد الوزارة، وشاهده مجاهد يستقبله بحفاوة، ومكث طوال فترة انتظارهم دخول الجنة يبتسم له ويحدثه، ويهتف باسمه أمام الجميع؛ علَّقَ دون أن يعيب مدير المديرية الحالي بلفظ مباشر، وإن لمَز، وغمز، فاتفق مع مدير تفتيش ثاني أن هناك خُدْعة حاقت بالجميع. وقال:

- كنت أعرف أن فلاناً، وسمى الفائز، هو القادم ليكم وكيلاً، إذ اتفق لي رؤيته جالساً وحده في الاستراحة المجاورة لباب الدخول لمكتب الوزيرة، فرأيته هادئاً غير قلق، منعزلاً عن الجميع، فجالسته، فمازلت أخرّره، حتى علمت أنَّه مدير منطقة في الغربية، وأن الأستاذ فلان، وسمى مدير المديرية هو من حثه على التقدم للوكالة، وأنه لا يزالُ على علاقة حميمة به حتى الآن، ومنذ أن كان مديراً لمديرية القوى العاملة بالغربية؛ فعلمت من ذلك، ومن الثقة والهدوء وعدم القلق أنه القادم وكيلاً، وإن لم يَقُلها لي صراحة. هنالك صاح مدير شئون العاملين:

- كلنا متخاذلون، إلا الشيخ فلان؛ الشيخ مجاهد هذا بطل. فعارضه مدير مكتب تفتيش ثاني:

- وهل كنَّا نعلم الغيب؟؛ ما كان أحدٌ يتصور أن هذا خائن للمديرية التي صَعَدَته، ومحافظته التي لها الفضل عليه؟ ما كنَّا نعلم أنه خائن، ينبغي علينا، نحن العشرة جميعاً أن نجبره على تصحيح هذا الخطِأ القاتل واختيار واحداً منّا وكيلاً. هذا أمر حَتْميٌّ. فإن لم يستجب رفعنا شكوى بهذا المضمون لمعالي الوزيرة، فإن لم تستجب صعدنا الشأن لرئيس مجلس الوزراء؟. ينبغي ألا نَسْكُت. من ناحيتي سأعمل على عقد اجتماعا للجنة النقابية للعاملين بالمديرية- وكان رئيسها- لتقديم شكوى لمعالي الوزيرة؛ ثُمّ رجع إلى التخاذل فقال مقترحاً:

- لنتحدث معه أولاً؛ فأن صحح هذا الخطأ، فنعم، وإلا قدمنا الشكوى لمعالي الوزيرة، وطلبنا لقاءها؟ وظل يَهْذي بكلام مثل هذا، فقال مدير مكتب تفتيش عمل طلخا:

- أنا لن أعمل بعد هذا اليوم أبداً؛ الذي يعمل في هذه البلدة وهو الخائب، والذي لا يعمل هو الأسعد؛ تعمل كثيراً، تخطئ كثيراً، وتعاقب أكثر. وفي المثل؛

الهَيْبَةُ خَيْبَةُ. لن أذهب إلى العمل بعد اليوم. كنا هُبْلا؟. فلم يطق مجاهد هذا الهاذي فرده:

- يا أخي من قال أن الذي لا يذهب إلى العمل أو يذهب فلا يعمل هو الأسعد؟ إن هذين يُطعمان حراماً. يا أخي قال الله.. وقُلِ اعملوا فسيرى اللهُ عملَكم ورسُولُه والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. ألم تقرأ قول الله تعالى.. يا أيها الرسل كل من الطيبات وعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال.. يا أيها الذين آمنوا كُلوا من طيبات ما رزقْناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون؟!. فصاح الشخص:
- اسكت أنت يا شيخ فلان؟. نعم؛ لن أذهب للعمل بعد اليوم؛ الذي لا يعمل في هذه البلد هو الأسعد، أنا أجزم بذلك. فهبّ يعظه:
- يا أخي اتق الله؟. أقول، قال الله، فتقول أجزم بخلاف ذلك؟! لو وعيت ما قلت لخرجت من المِلَّة. فصاح غضبان:
- أنت أيضا هـ تكفرنا!؟؛ نحن متقون؛ نصلي ونزكّي ونصوم وتقول لي اتقى الله!؟. فستوقفه بنبرة أهدأ:
- كيف أنك تتقي الله، وتقول أن الذي لا يعمل هو الأسعد، بل هو الأتعس. لأنه يأكل حراماً، لأنه يقبض راتباً لا يعمل به. فاستمر الشخص يجادل في صرامة وغضب:

نعم، في هذه البلد ذا الحظ السعيد الذي لا يعمل، واسكت أنت بقى، ليست ناقصة؟. نعم لن أذهب إلى العمل بعد اليوم. وكاد الشخص أن يشتمه! ولأنه يعلم أن هذا الشخص كثير الوُّد له، يُجله، لم يكلمه - من قبل، أبداً- بهذه الطريقة الحادة الجافة، قدَّره في اضطرابٍ شديدٍ؛ فجاهد نفسه ألا يحمل في قبله منه، وعزم متى عاد، فارتاح قيلاً أن يتصل في بيته ويتلطف به، ويقنعه بالعودة للعمل. كانوا جميعاً قد

أنفق أقلهم كُلفة بالمسابقة ألف جنيهاً في بزة جديدة بتوابعها، وطباعة خمسة نسخ من البحث، وتكاليف السفر، أي ذهبَ نصف الراتب، أضف إلى ذلك سهر الوقت، وتوتر الأعصاب؛ فعلموا أن الموضوع كُلّه كان هَزْلاً في هزل !!. وكان مجاهد قد لجأ إلى محمود العدل، بصفته صاحب تجربة ناجحة في الموضوع، فذهب فسأله في معنى تطوير وظيفة الوكيل؟ إذ لم يتبق إلا يومين على نهاية فترة التقدم بالمستندات المطلوبة، وأجهلها له موضوع البحث. فذهب إليه برفقة محمد زاهر- مدير مكتب مدير المديرية لعدة وكلاء وزارة سابقين يطلب النصيحة- فرحب لهما ترحاباً شديداً، وقال:

- والله، يا شيخ مجاهد خطرت ببالي، ونويت الاتصال بسعادتك لأحثك على التقدم لوظيفة الوكيل فأنت أحق بها وأهلها؟. ففاض قلبه وداً له:
- أعلم، أنك تحب لنا الخير، ولهذا جئت أسألك النصيحة؟. فحثه العدل:
- قدم ولا تتردد؟. ثُمَّ ذهب يشتكي؛ وكان قد حدث له حادث صدام بدراجة بخارية، وتدخل له بالصلح. وكان الخَصْمُ ابنَ زميله في المديرية، فجمع له مبلغ من الزملاء في المديرية، وحَصَلَ له على تعويض من ابن الزميلة، فتنازل العدل عن القضية، وحُلَّ الموضوع بالتراضي، إلا أنه كان كلما زاره أو اتصل به للسؤال، اشْتكى فكه المكسور، وسحُ عَيْنُه دمعاً باستمرار، وأنه مازال أمامه حزمة من جراحات تنبغي لإصلاح فكه، وعلاج عصب عينه، وأن المبلغ الذي حَصَّلَ له كتعويض أنفق جميعه سداداً للجراحة الأولى التي أجريت له بمستشفى طلخا الخاص، ولولا ابنته، يومها، إسعافها له ببيع ذهبها، وسداد المبلغ للمستشفى لكان الأمر محرج جدًا له؛ فأنَّى له بتدبير هذا المبلغ الكبير المفاجئ، اثنا عشر ألف جنيه، لإجراء تلك الجراحة العاجلة. وقال: لكني تنازلت عن القضية في النهاية وانتهى الأمر، ولست نادما على الصلح، ولن أنسى المجهود الذي بذلته مع الزميلة وابنها، حتى حصلت لي على هذا

المبلغ الضئيل، مع تعنتهم والشح، فلك جزيل الشكر. واستطرد بنبرة أرق يقسم: والله، يا مجاهد يا أخي، التسعة آلاف التي دفعتها الزميلة وابنها أحتاج- على الأقل- لمثليها لاستكمال سلسلة عمليات متعاقبة مطلوبة. أضف إلى ذلك العلاج الذي لا يتوفر بالتأمين الصحي، وأشتريه؟. ورجع يهتف، لكن الصلح خير. وقال يقص:

- شغلني على الاتصال لأحثك على التقدم للمسابقة، أني كنت قد اشتريت قطعة أرض زراعية في البلد قبل عملي كوكيل لأقيم عليها بيتاً- وتعلمان مشاكل هذا الموضوع ومحاذير الكثيرة- وتوجه بالكلام إليه، وإلى مدير مكتب مدير المديرية السابق محمد زاهر، وكان قد خرج معاشاً- ولكن حمد لله، لقد رفعنا الجدران والسقف، ومازال هذا البيت يحتاج إلى زكائب من المال حتى يكون صالحاً للاستخدام الآدمي. ومسح عينه التي تَسِحُّ بمنديل في أسى، وقال لمجاهد وهو يريه أثر الدمع:
- حالها دائماً ذلك؛ تسح فأمسح الدمع بمنديل؟. وصاح:
- نرجع للموضوع. ولأنه صابر منصتاً حتى يفرِغَ من شكاته، فسأله قبل أن يعود:

ماذا عن موضوع البحث؟ لقد فكرت في الموضوع متأخراً، ولم يعد أمامي غير يومين، وصعب جداً البحث في المصادر والاطلاع، ثم التفكير، ثم كتابة بحث في تطوير هذه الوظيفة، ثم الذهاب للتقديم في يومين؟. فضحك وقال يستوقفه:

- - حَيْلك، حَيْلك؟. أنت على نياتك- جداً- يا شيخ فلان؟!. والتفت يضحك إلى مدير مكتب وكيل الوزارة السابق، يطلب تعضيده:
- - كذا يا أستاذ محمد يا زاهر؟. فحك الأخير ناصية، وأطرَقَ يفكر، وكان هو من أعان العدل في موضوع البحث، لمَّا عزم التقدم لوظيفة مدير المديرية

لشمال سيناء؛ أعطاه خفية بعض أبحاث وكلاء وزارة سابقين، فاختار منها واحداً نَكَّرَهُ، وقدمه باسمه. وإذ لم يتكلم محمد زاهر، رجع يحدثه:

- أطلعك على مجموعة أبحاث جمعتها لمتقدمين سابقين من أول الحاج فلان- أول مدير لمديرية القوى عاملة من أبناء المحافظة نهاية زمن السادات إلى هشام عبد السلام، وكيل المديرية الأسبق آخر زمن مبارك- ساعدني في ذلك أهل الفضل، عزيزي الأستاذ محمد زاهر، اختر منها واحداً غَيَّرْ فيه بعض العبارات، والعنوان الرئيس، وطريقة العرض وقدمه باسمك؟ فبهت من هول الفجيعة؛ أن يأخذ بحثاً باسم شخص فينسبه إلى نفسه بعد تنكيره؟! وماذا إذا لم يخل على اللجنة واكتشف ذلك؟.فقال العدل: لا تعجب، كلهم فعله، كلهم أخذ بعضهم عن بعض. فانفجر يضحك، وقال:

- كان الأقدمون يأخذ بعضهم عن بعض، ونحن اللاحقون يسرق بعضنا بعضاً!؟. فتوقف العدل ليصطنع الجد:

- هه. وطوى اللاب توب الجامع للأبحاث، ثمّ عاد ينهاه عن التردد، ويحثه قبول هذا الطرح:

- لا تكن حنبلياً؟. ورجع إلى زاهر يسأله؟. فأنبأ زاهر وقد عاد يحك ناصية رأسه التي ذهب منها الشعر:

- هو حَنبلي جداً، وقد قلت له لن ينفعك في هذا الموضوع إلا الأستاذ محمود العدل لخبرته فيه. وكانت فكرته المعتمدة عن محمد زاهر- عمل مديراً ناجحاً لمكتب عدة وكلاء وزارة سابقين- أنه كتوم، وذو رويّة، عرك الطاعة، ينال ثقة أولي الأمر مهما كانوا مختلفين؟! وتابع ..العدل يحثه:

- المهم؛ أن تقرأ البحث جيداً، وتُكوِّن رؤية، حتى تستطيع أن تتكلم عنه في إيجاز؛ فهم لن يستبقونك في اللجنة إلا لبضع دقائق، يجب إحسان استغلالها؟.

ولأنه ظل يتوجس للفكرة، ولا يستسيغها، ابتسم في سذاجة مفرطة يسأل:

- فإن سألني أحد أعضاء اللجنة عن أي المصادر استقت مادة بحثك؟ فماذا أقول؟. لن ينطق لساني إلا: بحث قديم نَكَرته، ونسبته إليَّ؟ فَضَحِكواً بشدة. وطمأنه العدل:

- هم لا يقرؤون؛ كيف يجد أحدهم وقتاً، يقرأ فيه عشرين بحثاً فيميز بينهم؟. اطمأن، إنهم لا يقرؤون. وكانت النصيحة؛ الهم أن تقدم لنفسك جيدا في بضع دقائق، والأهم هو حسن المظهر؟. وعرض لعدة أبحاث، اختار أحدها. فسحبه العدل من اللاب توب على " فلاش" وقدم له: هذا البحث قيم، قام به بعض شباب من مديرية كفر الشيخ، عندما كنت قائماً بعمل مدير المديرية هناك، قبل ذهابي إلى مديرية عمل المنوفية. واستطرد أسفاً:

- عليه العوض؛ هذا البحث يحتوي على قواعد عامة في التطوير، تصلح لوظيفة وكيل مديرية، وتصلح لوظيفية وكيل الوزارة، وكنت عزمت على اتخاذه لنفسي، فأنا عازم على التقدم لوظيفة وكيل وزارة لمديرية كذا أو كذا، ولكن خذه، والله عليه العوض؟ وضحك. اخبر: سأتصرف في آخر. وقال: دهمني الوقت كما دهمك؛ إذ لم يتبق أمامنا إلا يومين غير خالصين؛ فهناك أخ قادم إليَّ بعدكم، اتصل بي كثيراً، ها هو يعاود الاتصال. ورنَّ تليفون المحمول فتركه يرن، وقال: اعتقد أنه قادم لنفس السبب، واضطررت أن أعطيه ميعاداً بعد ميعادكم. فأسرعا يغادران البيت، وتابع العدل في إثرهما:

- أنا ممنون جداً لما فعلته معي في موضوع الصلح، فهو أفضل من ورود المحاكم على كل حال، أشكرك؟، وأشكر أن جئت لي بالصديق العزيز الأستاذ محمد زاهر، والذي لم يزل على اتصال بي يتابع أخباري رغم خروجه معاشاً، وكنت أشتاق أن أراه فشكراً لكليكما على هذه الزيارة؟ ينبغي الآن أن أستعد لاستقبال فلان- وكان فلان، هو مدير إدارة العمالة غير المنتظمة، الذي حصل على النتيجة قبل نزولها على موقع الوزارة-وتابع العدل، ولا أحب أن

يشاهدكم عندي لأني اعتقد أنه قادم بخصوص البحث، وأعتقد أني لا أجد عندي شيئاً أعطيه له. ولمَّا ركبا السيارة سأل.. زاهر عن بنية للعدل بالغة مبلغ النساء، بيضاء جميلة، إلا أنها ظلت هادئة جداً، بطيئة الحركة جداً:

- أهي متزوجة؟!. قال:
- لا. قال:
- أنا لم أسمعها تتحدث، وتكتف بالابتسام؟، وظل أبوها لطيفاً معها، يسألها الأشياء، فتذهب لإسعافه، ووُفِّقتْ أم لَمْ توفق، فظل لطيفاً بها؟!. وقال:
- كيف وهي على هذا القدر من الجمال لم تتزوج بعد!؟. فأفاد زاهر، أن عقلها لا ينمو؛ فهو رغم بلغوها بلغ النساء لا يجاوز عقل طفل في الثامنة، لهذا هي باقية في كنف والديها. فدهمته حسرة بالغة، وراح يفكر في همِّ البنية، وبقاؤها كذلك؟!، علم أن سعادة الدنيا لا تكتمل لأحد، كلٌّ لديه ما يُحْزِنهُ؟. وهو وإن لم يولد له ولد أوفر حظاً من هذا، يعني من العدل. وكان قد تخطى موضوع الإنجاب ولم يعد يأسى له؟!.. ودخل اللجنة للمرة الثالثة، فجلس وابتسم. وكان لقاءًا ودياً من معالي الوزيرة. ولحظ بينهم وجها جديداً، فعرف أن اعتراضه السابق على مدير المديرية لم يذهب سدى. وعلقت الوزيرة على بشاشته:
- الأستاذ فلان يبتسم في وجوهنا هذه المرة، هو راضٍ عنَّا؟. وفوراً بدئ بالسؤال المعتاد:
- قدم نفسك؟. فأخذ يعرض لإنجازاته شفاهة بالأرقام، وأسرع:
- خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣ رغم الأحداث التي وقعت بمصر، كانت فرص العمل المتاحة لراغب السفر للخارج؛ (٣٩٩٧) ، (٨٨٩٠)، (٥٧٨٩) بإجمالي (١٨٦٧٦) فرصة عمل؛ وكانت هذه هي عين الأرقام التي رفضوا استلامها من قبل، ولم يتمكن من الحديث عنها. وقال: ما تم إلحاقهم من المصريين للعمل بالخارج لنفس الأعوام بمعرفة الإدارة وقبل

أن يستطرد استوقفه نفس العضو الذي سأله من قبل تندراً، عن عدم حله للمشكلة التي بينه وبين مدير المديرية الحالي، وقال مستخِفاً:

- أليس لديك جديداً؟ هذا تحدثت عنه قبل. فردَّ:
- لا، لم أعرض له؟. فوافقته الوزيرة:
- نعم، هو لم يتحدث عنه؛ أسرعت بنبرة مسترضية كأنما تطفئ ناراً تكاد أن تشتعل. ورغم عنايته الفائقة في حفظ الأرقام إلا أن الغضب أنساه؛ فذكر أنهم لا يقرؤن، فهمَّ بتلفيق أراقم قريبة لأعداد المصريين الذين تم إلحاقهم للعمل بالخارج بالفعل، خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة وقال لنفسه: أنَّى لهم أن يفطنوا لذلك؟. وسأله العضو الجديد- وكان يجلس إلى يساره، بينه وبين الوزيرة، رجلٌ طاعن في السِّنِّ، ضخم البدن، ذو وقار، لا يبتسم:
- إن أعطيت موظفاً عندك درجة في تقرير الكفاءة، فقام الرئيس الأعلى بتخفيضها دون سبب حقيقي، كيف تتصرف؟. قال:
- سأدافع عنه، وأكلم الرئيس الأعلى في ذلك.
- فإن لم يستجيب؟. قال:
- سأعمل على رفع الظلم عنه وأنصره، كي لا يصاب بالإحباط، ويحرص على العمل. فيأس الرجل من السرد، الطواف حول الإجابة، فأطرق. فأسرعت الوزيرة تسدد عنه:
- يِتظَّلِمْ؛ يعني؟. فوافقها في بداهة:
- نعم، يَتظَّلم. وأُشيرَ بإشارة علامة الخروج، فقام، يتَعَجَّبَ لنفسه من نفسه. واستشعر، رغما عن حرصه الشديد، أن هذا الأمر يصرف عن صرفاً؛ وكان هذا هو السؤال الوحيد الذي سؤله هذه المرة، فراح يطوف حول المعنى، وذهب عن عقله تماماً تلك الكلمة؟؛ وكان قدّر أن العضو الجديد هو الطبيب النفسي، وضل عنه، أنه عضو التنظيم والإدارة، وأن سؤاله السهل يوحي

بـذلك، وأنـه كـان قـد سـعى فـي عونـه، وعَنِـيَ باسـتخراج كلمـة "يـتظلمْ" منـه استخراجاً، لكن دون جدوى!؟

* * *

-

الفصل الحادي عشر

في الفترة الأخيرة من خدمته- فترة عام ونصف- كانت معركة تكسير عظام بينه وبين مدير المديرية، استخدم فيها " معروف " أسلحته القذرة!!. لم يكتف بجمع خمسة من موظفي الشغب فنقلهم للإدارة، يشهد بذلك ملف جزاءاتهم، بل أصدر قراراًً في نهاية ٢٠١٥ بنقل ثلاثة من الإدارة، وإخلاء طرفهم فوراً. وقد لا يجد واجد في ذلك عجباً، إذ أن نقل منتسب من إدارة إلى إدارة أمرٌ وارد. لكن العجب أن يشمل الأمر ضمن ما يشمل زميلة يستحيل نقلها فوراً دون بديل، إذ هي مسئولة فحص الطلابيات الواردة للإدارة من شركات إلحاق العمالة المصرية، يومياً بالبريد الالكتروني، ومراقبة أداء تلك الشركات من هذا الجانب. حتى في حالة رفع كفاءة الزميلة البديل التي تم تدريبها على ذات الاختصاص والعمل على الكمبيوتر في حالة قيام الزميلة المشار إليها آنفاً بأجازة خاصة، وأن جميع النفر المشاغب لا معرفة لهم باستخدام الكمبيوتر، مما يعرض العمل للتوقف؛ والإدارة إدارة معاملة جمهور مسافر: سيادتكم؛ وقال يعرض على معالي المحافظ، والذي صادف حين اللقاء تواجد السكرتير العام المساعد الأستاذة هناء، فقالت تعجب من أصناف الرهط المشاغب: لم يترك في نفسك حاجة!؟. فأمر سيادته في نبرة صارمة: ليحضر أمامي معروف سلطان، والأخ؛ يعنيه، يوم الثلاثاء القادم فإني متواجد هنا. فخفضت بصرها، تُحدِّث في نبرة هَوْنٍٍ، تلمزه، وهو جالس تلقاء وجهها أمام مكتب معالي المحافظ:

- كان يمكنه احتواء هؤلاء. فلم يلتفت المحافظ لطرحها. غير أنه نهض محزوناً.. وكان مدير المديرية قد حرض مدير إدارة العمالة الغير منتظمة على التقدم بشكوى لمكتب معالي الوزيرة؛ أنه بسبب السب، وما تحدث به

مجاهد يحرض به المتقدمين للمسابقة ضد معالي الوزيرة والسيد وكيل وزارة القوى العاملة بالدقهلية، حدث له إحباط وإرباك، قبل دخول اللجنة، وحين ورودها للمقابلة الشخصية، فأجاب محقق الواقعة:

- لم يحدث مني سب، ولا قذف لمعالي الوزيرة، ولا لأي شخص آخر، عمري كله، فليس هذا من شيمتي.
- س: إذن، ما الذي حدث منك؟ ولِماذا يتهمك المدعو فلان أنك قلت كذا، وكذا؟.
- ج: ما حدث أني تناقشت والزملاء حول تواجد السيد مدير المديرية فلان: كيف يكون مدير مديرية ضمن أعضاء لجنة مفترض فيها الحيادية معياراً، لاختيار وكيل مديرية ليعمل معه، وأن ذلك يجعل له مصلحة مباشرة في هذا الاختيار، خاصة وأنه هناك خصومة بيني وبينه تعلم بها معالي الوزيرة. وسلمت معاليها يومها نسخة من الخصومة، فقامت معاليها بتجنيبه، من أن يكون عضواً في لجنة معنية بتقييمي. مع العلم أن إبراهيم الشر بيني- وكان هذا، أيضا، اسم الشخص الذي قام بتلك الشكوى- هو الوحيد الذي لم يكن حاضراً تلك المناقشة مع باقي زملائي بالمديرية، ونحن تسعة بدونه، ويمكن سؤال جميع الزملاء في ذلك.
- س: هل لديك أقوالاً أخرى؟.
- ج: لا. وهذه صورة من الخصومة التي تسلمتها مني معالي الوزيرة يوم المقابلة، كنت قد أرسلتها، فكساً إلى معاليها قبل شهرين؛ فعلم من المتابعة أن التحقيق حفظ بعد سؤال بعض الزملاء حاضري المسابقة. ولم تتحقق تلك المواجهة التي أمر بها معالي المحافظ، وكلما اتصل بالأستاذة هناء على الموبايل لم تجبه، ولا هيئة مكتبها، إلا مرة قالوا: أبلغنا سيادتها باتصالك، وانتهى دورنا. فأبرق في نهاية سبتمبر لـ معالي الدكتور، وزير القوى العاملة الجديد- وكانت الوزيرة ناهد العشري قد غابت عن التشكيل الوزاري الجديد-

فقال: الدكتور/ جمال سرور.. بمناسبة الثقة في شخصكم الكريم باختياركم وزيراً لوزارة القوى العاملة التي أُوليتُموها من فخامة رئيس الجمهورية، عبد الفتاح السيسي، ومعالي الدكتور شريف إسماعيل، رئيس الوزراء، في هذه المرحلة المهموم بها بالتيسير على المواطنين، ومحاربة الفساد. أرجو اللقاء لإطلاع معاليكم على الفساد، وسوء استخدام السلطة الذي يمارسه مدير مديرية القوى العاملة بالدقهلية، السيد/ معروف سلطان، وتقديم المستندات. وإذ يلوح لزميل قادم من المديرية من المحبين، يناديه مستوقفا ليسأله: والله، ندعو لك من شغاف قلوبنا؟ لكن الحكاية طوّلت؛ ولم يزل هذا الفرعون باق؟!. فيطمئنه: إن بعد العسر يسرا؛ كان المفروض أن تكون هناك مواجهة بيني وبينه أمام المحافظ منذ أربعة أشهر، تجهز لها السكرتير العام المساعد؛ فلمّا رأيت منها المماطلة، طالبت مقابلة الوزير الجديد وسلمت مدير مكتبة ملفاً كاملا بفساد معروف سلطان، فدعاءكم لي أطلب؟. فيستبشر الزميل ضارعاً إلى الله:

- اللهمَّ نصرك المبين لمجاهد؟. فيسرر للزميل: أرجو ألا تحدث بالموضوع، حتى لا يأخذ هذا حذره، فيفاجأ؟. لمّا أبطأ وزير القوى العاملة في الإجابة، رغم أن الملف سُلِمَ لمدير مكتبه يداً بيد، وأكد له الأخير، أن محله سيكون بين يدي معالي الوزير؛ فمر أكثر من شهرين دون أن يقدم من الوزارة أحدٌ للتحقيق أو يُستدعى هو للوزارة. فأرسل إلى إحدى الجرائد المحلية مقالاً بعنوان: مدير مديرية القوى العاملة بالدقهلية يواصل ذبح الموظفين بِسَيْفِ السلطان !!؟؟.. وأبرق ثلاث مرات لدولة رئيس الوزراء، في ٢٠١٤/٧/١٦ وقبل هذا التاريخ، وبعده، فقال: معالي دولة رئيس الوزراء، المهندس إبراهيم مِحْلب.. العاملون بمديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية يجأرون إليكم من التعسف وسوء استخدام السلطة من السيد مدير المديرية معروف

سلطان؛ فعلى الرغم أن مخازن المديرية موجودة في مكان آمن داخل مدينة المنصورة منذ أكثر من عشرين عاماً، المختلط، عمارة الإمشاطي- شارع السلطان سليم، قرر سيادته نقلها إلى أطراف المدينة؛ المجزر، منطقة عشوائية، بتكلفة بلغت أكثر من ١٣٠٠٠ جنيهاً، يعرضها فيه للسرقة، ونقل من أجل ذلك أكثر من عشرة إدارات، منها إدارة الاستخدام الخارجي، فأحدث تذمر بين العاملين من التعسف وسوء استخدام السلطة، وإحداث تفجيرات وصدامات داخل العمل، وإهداراً لمال عام، لإثارة الغضب على النظام الجديد، بعد غضبتين لشَعب مصر لم يغضب مثلهما شَعْبٌ قط. وفي أغسطس ٢٠١٥، قال: نتشرف بإطلاعكم أن الحالة العامة للعاملين بمديرية القوى العاملة والهجرة بالدقهلية بلغت حداً خطيراً من الغضب بسبب التعسف والتسلط وإساءة استخدام السلطة لمدير المديرية معروف سلطان وتدميره للإدارات، وتحريض الموظفين بعضهم على بعض تصفية لحسابات، وملاحقتهم بالجزاءات حتى كرهوا الوظيفة والحكومة والرئاسة والدولة.. بلغ عدد القرارات التي شملت توقيع جزاءات لهذا العام ٢٠١٥ حتى ٧/٧ / ٢٠١٥ (٢٨١) يشمل القرار الواحد ما لا يقل عن خمسة أفراد. وأصبح الموظفون بالمديرية لا يشغلهم إلا التوجه للنيابة الإدارية بالمنصورة- نيابة خامس لتقديم شكاوى ضده، وضد بعضهم البعض، تعددت تلك القضايا حتى تاريخه ستمائة قضية. بالإضافة إلى آلاف التحقيقات التي تمتلئ بها إدارة الشئون القانونية بالمديرية، التي يقوم بإرهابها وتوجيهها لسير التحقيق على هواه انتقاما من أشخاصٍ بعينهم تصفية للحسابات؛ يذبحهم ذبحاً؛ خصماً من راتبهم، يتعدى الخصم الخمسة عشر يوماً في حالات كثيرة!!.. وأرسل لرئيس اللجنة النقابية للعاملين بالمديرية.. أتضرر لسيادتكم مما حدث يوم الخميس ٦/١١/ ٢٠١٤ حين تقدمت لشغل وظيفة مدير مديرية القوى العاملة

بالإسماعيلية أو وكيلا لمديرية القوى العاملة بالدقهلية، ففوجئت عند دخولي لجنة الاختبار بوجود الأستاذ معروف سلطان ضمن أعضاء اللجنة التي كانت ترأسها معالي الوزيرة د/ ناهد العشري فاعترضت لديها على وجود سيادته، وقلت: إن الدستور الجديد، دستور ٢٠١٣ في مادته (١٤) ينصص؛ أن الوظيفة العامة حق للمواطنين على أساس الكفاءة، ودون محاباةً أو واسطة، وتكليف للقائمين بها لخدمة الشعب، وتكفل الدولة حمايتهم. برجاء رفع دعوى قانونية ضد معالي الوزيرة واللجنة المذكورة. ولأن مدير مكتب مدير المديرية، عضو في تلك اللجنة، وبعض الموالين لسيادته، لم ترفع تلك اللجنة المذعورة، أية دعوى حتى تاريخه؟!.. فأرسل للسيد اللواء رئيس هيئة الرقابة الإدارية. أتشرف بإبلاغ عنايتكم عن بعض وقائع فساد مالي وإداري لمدير المديرية، فلان، إذ يتلاعب بالقانون واستغلال سلطاته عن طريق تشكيل لجان تحقق له مآربه، مُظهرا حسن التصرف والكفاءة، وهو في الحقيقة يسيء استخدام السلطة، ويتلاعب لثغرات بالقانون. ويرهب العاملين في هذه اللجان وغيرها، ويخضعهم لمآربه. وضرب مثلاً.. أنه يحصل على إضافي يتجاوز ٢٣٠ ٠/٠ على الرغم من أن اللائحة الخاصة بصرف الإضافي في أوقات العمل الغير رسمية لكل من يشغل مثل وظيفته ١٦٥ ٠/٠ وأنه لا يأتي إلا بعد بدء العمل، ولا يحقق ساعات العمل الرسمية. ومصر في حالة تحتاج فيها لخفض الإنفاق العام، والبحث عن مصادر لموارد جديدة . رفقه كشف بما حصل عليه سيادته عن الفترة من ١/١/ ٢٠١٤ حتى ٣١/٥/ ٢٠١٤ م.. وفي أغسطس ٢٠١٥ أبرق لمعالي الوزير المحافظ.. منذ أن تشرفنا بلقاء معاليكم في إبريل من هذا العام اتصلت بالأستاذة/هناء.. السكرتير العام المساعد أكثر من مئة مرة على الموبايل ٠١٢٢٧٤٢٠١٦٢ وعلى ت الأرضي ٢٣١٥١٧١ولم تتم هذه المواجهة التي أمرتم معاليكم بها بيني وبين مدير

مديرية القوى العاملة السيد فلان. والله، لم يبق لي إلا الاستقالة من الوظيفة، والهجرة من هذه البلد الطيب مصر. وكما ذكر د/ يحيى الجمل، أن الفساد وإساءة استخدام السلطة بات أخطر على مصر من الإرهاب!!.. إلى اليوم وهو حائرٌ يكلم نفسهُ: لقد أَذّنَت كثيراً، فلمْ يُؤذنْ لي. أمؤذن يُؤَذِنُ في مالطة هو؟! أم أن هؤلاء جميعا تواطئوا على أن الأذان هو الإعلام بوقت الصلاة المفروضة على الأعيان، وأن المُؤَذِنَ يغْفَرُ له مدَىَ صوته، وأن صوته لدى هؤلاء، ما استوفى وُسْعاً، فليطلب بوقاً من أبواق هذا الزمان يصنع ضجيجاً؟. ويعزي نفسه بقول الشاعر: صُمٌ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به، وإن ذُكِرتُ بشرٍ عندهم أذِنوا. وأنه حُقَّ عليه أن يؤذن في الناس جميعاً، لأمر الله خليله إبراهيم حين فرغ من بناء البيت؛ وأذن في الناس بالحج يأتون رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجٍ عميق.. فقال الخليل: يا ربِّ! وما يبلغ صوتي؟. قال أَذِّنْ وعليَّ البلاغ. وقال يناجي : يا رب لم أؤذن في هيئة النيابة الإدارية- نيابة خامس، بالمنصورة آذاناً واحداً- لقد أَذَنَت أمام جميع وكيلات النيابة حتى أصبحت عندهن لَزماً لزوم الطائر أبو قردان صديق الفلاح. تدخل إحداهن، وإذ تفاجأ به عند زميلتها، وكيلة نيابة أخرى، فتبتدره دهشة:

- كيف أنت يا أستاذ مجاهد؟. وتخبر عن خصمه الألد في قضيته التي هي عندها:
- صاحبك حريص جداً. فيؤكد في ثقة:
- .. ولا يحيق المكر السيِّئُ إلا بأهله؟. ويحث نفسه على حتم استمرار أذانه: والله المستعان:
- صباح الخير يا باشا؟ وأقام عامل من نيابة خامس الإدارية كفه تلقاء وجهه تعظيم سلام. رأى مجاهد المشهد، ورأى وكيلة النيابة تنظر في شمم تدقق في سيماء العامل، تحقق لخضوعه؛ أومأت إليه ردّاً للسلام. وإن كانت سيادتها

أحنُّ، ضحكت للحركة المسرحية التي اسْتُقبلت بها، وتقول: صباح الخير يا عم فلان- لقد ظل يهرع إلى النيابة الإدارية مدة عام حتى ظنَّ من لا يعرفه أو يتحدث معه، أنّه يعمل هنا، لكثرة ما تقع عليه العين؛ ويجلس بالاستراحة المشتركة المعدة لرواد نيابة خامس وسادس، بالدور الرابع من مبني النيابة، فيجانب أحد المنتظرين، فيعطيه المصحف، ويقرأ عليه من حفيظته. وينتقل إلى جوار آخر إن نودي على جليسه، فيعطيه المصحف، ليستكمل قراءته حتى ينادى عليه أو على جليسه؛ وهكذا دواليك؛ ويطرق الجالسون في البداية دهشةً، يسمعون القرآن، ثُمّ رويداً يعتادون القراءة، وترجع المحادثات الجانبية، يفعل ذلك قطعاً للانتظار، وانتفاعاً بالوقت، واستحضاراً لطاقة إيجابية يثبت بها فؤاده عند المثول للسؤال. وقد يُرى على نفس الحال يقرأ بعينه فقط خلف الباب الرئيس للنيابة داخل الطرقة الموزعة للحجرات التي تجلس فيهن وكيلات النيابة أو بحجرة الموظفين الخاصة بالنيابة؛ حين يُوْعَدَ أن يرد للتحقيق سريعاً بمجرد حضور وكيلة النيابة التي لا تحضر قبل العاشرة. وإن انقطع مجيئه لفترة، فمتى لُمِحَ جالساً بالطرقة، أمرت إحداهن سكرتيرتها أن تهرع إليه لتخبره: الأستاذة فلانة تطلب أن تمر عليها؟ أو تطلب بطاقة الرقم القومي من وكيلة النيابة الحال عندها لضمان مروره، للقضايا التي تود تحقيقها أو استكمال تحقيقها؟.. وكان قد تقدم بشكوى للنيابة ضد مدير المديرية تحوي صورة جميع المذكرات السبع عشرة حبيسة الإدراج عنده، ليطمئن كذلك فخري الشر بيني أنَّه لن يناله جزاء حتى خروجه معاشاً. وإذ نمى إلى مدير المديرية الخبر نثر جميع المذكرات والمذكرات المضادة لفخري.. وبعض تحقيقات المديرية، لدى نيابة خامس الإدارية المختصة بقضايا مديريتي القوى العاملة والزراعة. ففوجئت كل وكيل نيابة- وجُلهن من العنصر اللطيف- فوجئن أن لدى الواحدة منهن من خمس إلى

ثلاث قضايا لفخري، ومجاهد. أو لمجاهد ومدير المديرية معروف سلطان. وإذ أخذت تحقيقات النيابة، ولاح للخصم أنه سينال جزاءات رادعة، وأن شهادة الشهود جميعها في صفه، هرع إلى مدير المديرية جَذعاً ينشده الإنقاذ؟. فدرأه معروف عن نفسه، وصاح فيه:

- وهل أنا سأصطبح بوجهك كل يوم!؟. فهرع إلى مجاهد يخبره: لقد ضحك علينا فلان، وغرر بنا ؟؟. فردّ في حدة: ضحك عليك أنت، وحرضك عليَّ، وسينال كُلاكما ما يستحق. فانقلب فجأ، إذ قال:

- وينالك أيضا الجزاء؛ لقد أهنتني بأن قلت: أني أفشل موظف لديك في الإدارة. فلنتصالح في جميع القضايا، ولنفوت الفرصة على معروف سلطان؟.

- أتصالح معك، وقد فعلت ما فعلت، وتذهب سالماً، فيتجرأ علي الباقون؟ لن يكون هذا أبداً. فجعل يناشده. فقال له:

- اختر لك قضيتين مقابل تلك القضية؟. فارتد ليثاً:

- وهل نحن نقسم طماطم؛ التصالح على جميع القضايا، وإلا لا؟!

- حسبما أعلم؛ القضايا التي تشمل حقاً للدولة لا تصالح فيها، ولابد من استيفاء الحق؟. قال:

- بل يمكن التصالح على جميع القضايا؟. قالت لي وكيلة النيابة فلانة أطلب أنت والأستاذ مجاهد مقابلة رئيس النيابة وأعلماه برغبتكما في التصالح؟. وقال: نذهب يوم السبت سوياً ونخبره برغبتنا في التصالح؟. اذهب إليه أنت، فأنت من طلب التصالح. وتعلمني بالرد؟. قال ليشغله عنه بعض الوقت، حتى يستشير رئيس النيابة، وكان يبدي تعاطفاً كبيراً معه، وكانت وكيلات النيابة قد أظهرن احتراماً كبيراً له، وأسرت إليه الأستاذة سارة، بحفظ ما نسب إليه في القضية ٧١٦ لعدم الصحة، وأنها حملت على طارق ريان، وعصام أبو مسلم، وطلبت منهما دليلاً على تعاطيه من شركات إلحاق العمالة أموالاً؟؛ فرجعا

عن أقوالهما إذ قالا: لا نعلم، إلا أنه إنسان محترم. واعترفا: من بلغنا بالأمر حمدي منصور؛ فأنكر الأخير ذلك. وسألته وكيلة النيابة: يا عم مجاهد، أرضيك أن ينال كلاهما جزاءً رادعا؟، وقد أخفتهما، وقلت يمكن أن أحيل القضية للنيابة العامة؟. فأبديا استعدادهما تحمل عاقبة تغيير أقوالهما. فنشعت عيناه بالدمع: ما ترينه سيادتك؟ ولم يصر على تحويل القضية للنيابة العامة لاستشعراه أنها لا تنوي تحمل عبء ذلك، ولأن الزميلين اعتذرا له. وحزن لمّا أخذهما كليهما ثلاثة أيام خصم، وكان قد بُدئ في إرسال نتائج بعض التحقيقات للمديرية مشفوعة بعبارة؛ حفظ ما نسب إلى السيد/ فلان؛ مدير إدارة الاستخدام الخارجي لعدم صحة ما نسب إليه على النحو الموضح بقرار لجنة التأديب رقم، بتاريخ، في القضية، لسنة ٢٠١٥ القسم الخامس. فاتصل بـ رئيس النيابة مستشارٌ يبلغه رسالة؛ أنهم في النيابة يجاملون الشيخ مجاهد. فغضب رئيس النيابة غضبة عارمة:

- بلغ هذا أن يبتعد عن نيابة خامس الإدارية، وإلا، فلن يحصل له طيباً؟! وقال؛ نحن لا نجامل أحداً؛ لو كان مدير مديرية ناجحاً لاستوعب موظفيه؟، واستعتبه رئيس النيابة: وهل يصح يا شيخ مجاهد أن تقول أننا نتعاطف معك، فيتصل بنا مستشار زميل؛ وقصّ القصة. وكان رئيس النيابة قد وافقه في شأن سوء مدير المديرية هذا، وقال: أنا أحبُّ السلفيين، فأراد أن يصحح أنه لا ينتمي للجماعات التي راجت هذا الزمان، لكنه لم يزد على أن قال: وهل تعتقد سيادتك أني من الممكن أن أحدث كذلك. لست بضعيف العقل. بل أراد هذا، بكذبه، أن يحضركم عليّ، وأعلم أنكم لا تجاملوني. بل أشعر أنه رغم علمكم بسوئه لا ينال منكم جزاءً؟ فقال: لو وقعت تحت أيدينا مخالفة تستحق، سينال جزاءً، إلا أنه يحرض معاونيه على خصومه، دون أن يظهر له علاقة. قال: إذن سيادتك، فلتقطع أذرع معاونيه؟. قال: بترنا له بعض أذرعه المعاونة.

فذكر له؛ أن وكيل أول النيابة أسماء الجمل أهانته، تقريباً طردتني من مكتبها؟ وأريد أن أتقدم بشكوى لمدير النيابة إلا تحقق لي قضية؟. وكانت قد اتهمته، أنهم في مديرية القوى العاملة لا يصنعون شيئاً سوى كتابة الشكاوى في بعضهم البعض، ولا يؤدون عملاً، فظنَّ أنّها تقبل النقد كما أذنت لنفسها أن تنتقد، فقال:

- بل أعمل على أكمل وجه. غير أن مدير المديرية هذا لا مثيل له في التسلط، وإهانة مرؤوسيه؛ يعتقد أن لا أحد في الكون يفهم غيره!، وإن أردتم الحق، وابتسم يبلغها: لقد تعلمت من ورودي للنيابة الإدارية شيئين، الأول هو خفض الصوت حين الحديث، والثاني، حسن المظهر. إما التّحري وتحقيق العدل فأرى أنه يشغلكم عنه إغلاق القضايا والخلاص منها. فصاحت في وجهي:
- أتتهم عدالتنا؟؟ تفضل يا أستاذ؟، وأشارت إلي الباب فقلت:
- أنت قلتي فينا برأيك، فقلت برأيي؟. فرفضت إتمام الحديث، وأعادت إشارتها، فقمت، فما زالت تشيعني بقولها؛ اتفضل؟ وتشير نحو الباب حتى خرجت.

فقال رئيس النيابة:

- لا تتقدم بشكوى، ولا تخش ظلماً، فالتحقيقات كلها تُعرض علينا، ودع لي هذا الموضوع، كما أن وكيل النيابة لا يرد في قضيه، وسأجلب لك حقك؟. فقال؛ أنهم لا يحرصون على توجيه الاتهام في القضايا لمدير المديرية، ولا يسعون إلى استدراجه في شأن، ويوجِّهون سهامهم نحو المرؤوسين لتحقيق إدانتهم، فقط. وأعجبني فعلاً أنهن يُقْبلن في رياش حديثة أنيقة، وأنهن يتحدثن بصوت خفيض، وقال في نفسه: ربما لاضطرارهنّ التواجد، من ثلاث إلى أربع وكيلات نيابة، في كل حجرة واحدة، بسكرتاريتهن، والشخص الماثل للتحقيق، فيضطررنّ إلى خفض الصوت لإتمام العمل، وجميعهن لطيفات جداً معه، إلا وكيلة النيابة التي حدث عنها، وأخرى اشتبك معها في حِدةٍ، وكان قد نظر

فوجدها، ليست على قسط من الجمال، ومن ناحية اللون تعتبر سمراء، فرق لها. فقالت تتهمه:

- أنت اصطنعت طلب أجازة اعتيادية عن المدة من ١١/ ٨ / ٢١٠٥ حتى ١٣/ ٨/ ٢١٠٥٠ وتزوير توقيع الرئيس المباشر عليه، وتقديمه للنيابة رفق شكوى بخلاف الطلب المقدم للسلطة المختصة؟. فتحدث في رفق يشرح؛ أنه بسبب تعنت مدير المديرية معه، لخصومة بينهما، لمّا تصعد إليه المكاتبة لغرض اعتمادها، يقوم باحتجاز النسخة التي للإدارة عنده، فيحتاط، باستنساخ نسخة ثالثة للإدارة يُحْتَفظ بها. فلما صعدت له نسختين من الأجازة الاعتيادية المشار إليها قام بتحويلهما معاً للتحقيق. ورفضت الشئون القانونية- رهبة منه- إعطاء النسخة خاصة الإدارة، فقامت الزميلة باستنساخ صورة من نسخة الأجازة الاعتيادية المشار إليها المتواجدة على الكمبيوتر، أرفقتها بشكوى تقدمت بها للنيابة، أشكوه أنه يسيء استخدام السلطة، ويتعسف معي، يمنعني حق كفله القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ بشأن نظام العاملين في الحكم المحلي ولائحته التنفيذية. فقاطعته في جفاء:

- أهذا توقيعك؟. وأشارت إلى المكان المعد للرئيس المباشر، وهو هنا مدير المديرية؟. قال:

- نعم. وقعت بالخطأ لزحمة العمل، فظننت الإجازة لأحد الزملاء في الإدارة. وباعتباري الرئيس المباشر لهم، وقعت توقيعي في لحظة انصرف فيها ذهني، للمطاردة الدائمة لي من قبل مدير المديرية، وعرقلته للعمل وتعسفه وإساءته استخدام السلطة بدليل أنه منعني حقي في الأجازة رغم استيفاء كلا النسختين المقدمتين له جميع الشروط. فتابعت في استفزاز:

- أنت زورت توقيع الرئيس المباشر على نسخة طلب أجازة اصطنعتها على خلاف النسختين المقدمتين للمديرية؟.

- لا تقولي زورت؟ هذا توقعي أنا، كما هو توقيعي المثبت في نفس طلب الأجازة في المكان المخصص لطالب الأجازة. والتوقيع على الإقرار بأني قد أديت أعمالي المصلحية حتى آخر يوم، قبل قيامي بالأجازة، التي لم أقم بها، منعني منها مدير المديرية فجئت أتضرر من وإساءة استخدام السلطة. قالت:
- بل زوت توقيع الرئيس المباشر، على طلب أجازة اصطنعت على خلاف الطالب المقدم للمديرية؟. فردّ في عزم:
- بل أنا من أشرف الموظفين، لا أقول على مستوى مديرية القوى العاملة، يشهد ملف خدمتي، بل من أشرف موظفي مصر على الإطلاق؛ فالتزوير معناه في اللغة، تحسين وتمويه شيء ليكون شبيها بأصل، خداعاً وكذباً من أجل تحقيق مصلحة، لكني وقعت خطأ بإمضائي أنا مكان الرئيس المباشر، ولم أنتفع بالأجازة. وجئت أتضرر، فتريدين جعلي متهماً؟!. وقدم لها صور من أجازات اعتيادية سابقة تمَّ اعتمادها من قِبَلِ الرئيس المباشر، بها إقرار أن القائم بالأجازة قام بتوقيع؛ أنَّه قام بتأدية أعماله المصلحية في اليوم السابق للإجازة؛ والذي رفض مدير المديرية اعتماد هذه الإجازة مدعياً أن اليوم الذي قدم عنه الإقرار لم ينته بعد؛ تعسفاً وإساءة لاستخدام السلطة؟. فامتنعت أن تستلم منه شيئاً، فقام من عندها محزوناً، وكان قد ظن أنه قدم لها دليل إدانة مباشرة لمدير المديرية على التعسف وإساءة استخدام السلطة، طالما طالبوا به، كي ينال جزاءه.. وكان حتى هذه اللحظة قد صدر في حقه ثلاثة جزاءات، بإجمالي خصم ستة عشر يوماً خصماً من راتبه؛ احتال لها مدير المديرية ليرغم أنْفَه، إرهاباً لجميع من يعتبرونه بطلاًً تصدى له. ففي نفس التاريخ الذي صدر فيه قرارُ مفوض الدولة بقبول التظلم لديه من القرار الصادر بخصم يوم من راتبه، يأمره فيه بسحب القرار لعيبه، احتال في شأن يستحق عنه تكريماً؟. ملاحظة أرسل بها للوزارة: أن أصحاب الشركات يحتالون على

مساحة المقر المزمع اتخاذه شركة إلحاق عمالة باصطناع تقسيمة داخلية " صندله " كي تحتسب المساحة أعلى الصندلة وأسفلها فتضاعف المساحة. فلم ترد الوزارة على استفساره. فأرسل استعجالاً. فردت بعد ستة أشهر باعتبار الصندلة تقسيمة داخلية لا يجوز احتسابها ضمن مساحة مقر الشركة محل المعاينة تفسيراً للمادة التاسعة من القرار الوزاري ١٣٥ لسنة ٢٠٠٣ بشأن الشروط الواجب توافرها في المقر حيث نصت: أن المقر يكون دائماً ومستقلاً يسمح باستقبال المصريين الراغبين للعمل في الداخل والخارج ولا تقل مساحته عن ٨٠ متراً مربعاً. وأن يكون ذلك دون النظر إلى مجموع التقسيمات الداخلية الرأسية والأفقية داخل المقر. فاعتبره مدير المديرية مقصراً في عمله. وأحاله للتحقيق، ونفحه سبعة أيام قطعاً من الراتب، لأنه لم يسع لتطبيق ملاحظته، فيرسل للوزارة بالشركات التي لديها صندلة وتم الترخص لها، لتقوم بتعديل أوضاعها بإدخال مساحة جديدة تضاف للمقر؟ أو يطالبها بإلغاء ترخيص تلك الشركات. وفي سعيه للتنقيب وراءه، نما إلى علمه قبول التظلم المقدم لمفوض الدولة في الشأن ر يأمره أيضا بسحب قراره، لعدم صحة الاتهام وأشاد بأداء مجاهد فاحتال لموضوع ثالث، مفاده، مجازاة فلان.. مدير إدارة الاستخدام الخارجي بخصم ثمانية أيام من راتبه بوصفه أنه في يوم ٢١/ ٧ / ٢٠١٥ خالف القواعد والتعليمات المعمول بها بتركه مقر العمل والخروج أثناء مواعيد العمل الرسمية دون وجود خط سير أو أذن. ومجزاة كلاً من، فلانة، وفلانة، وفلانة، وفلانة، من العاملين بإدارة الاستخدام الخارجي بالمديرية بخصم خمسة أيام من راتب كلاً منهن لنفس السبب فقلن له: ألن ينتهي مسلسل جزاءات مدير المديرية، وتعقبه لهذه الإدارة؟. شكوته لرئيس الجمهورية، ولرئيس الوزراء، وللمحافظ، ولوزيرة القوى العاملة السابقة، وللوزير الحالي؟ وذهبنا معك للرقابة الإدارية، فخرجنا

لمدة ساعة، وعدنا، فأدينا عملنا ذاك اليوم على أكمل وجه، فيعطينا الظالم خمسة أيام، ويعطيك ثمانية؟. فعقب لهنَّ: وأقدم مذكرتين في هذا الأرذل، الذي ابتلانا به، لتركه العمل مرتين، دون أذن أو خط سير. وفي كل مرة يعطيه إنذاراً!؟. وقال: لا تحزنَّ؟ سنتظلم لمفوض الدولة، وقراره مصيره إلى السحب. ونجمع لتلك القرارات ونشكوه بها؟ فهو حَبلٌ يلفه حول رقبته، وأذكركنَّ بالثبات والصبر؟. فقلن:

- تعبنا يا شيخ مجاهد من الذهاب إلى النيابة الإدارية؟!.. ثمّ مات أبوه، فشاورهنَّ؛ فنصحن: عزاك في المرحومة أختك، اذهب فعزه في والده، وأنت أفضل منه؟ وربما يخضع لذهابك، فيكف عنا؟؟. فاتفق مع عصام أبو مسلم على الذهاب إليه عِشاءًا. وكان عصام هو من كلفه مدير المديرية بالاتصال، يستأذنه مجيء مدير المديرية للتعزية في أخته؟ فأجاب: هذه أمور لا يستأذن لها، يتفضل. فجاءاه في سيارة عصام التي يسافر بها العاشر، فاستقبلهما في رزانة. وصحبهما حتى ركبا السيارة. فطلب من عصام الاتصال به على الموبايل يستأذنه في مجيئه مُعزيا، فلم يرد. فقال عصام: يا شيخ، أنا أعرف أين بيته. أحملك إلى هناك، فهذه وجبات - كما علمتنا- لا يستأذن في أدائها؟؛ وكان قد شهد الجنازة نهاراً مع نفرٍ من المديرية وعلم أنه قيل: العزاء قاصر على الصلاة وتشييع الجنازة. فقُدِّر، أنَّه لابد من تواجد مدير المديرية في بيته الآن. وأخبر: يا شيخ، سأذهب بحضرتك، فأشير إلى البيت، فأريكة، وانطلق بالسيارة إلى مكان بعيد أنتظرك فيه؟ فإذا فرغت، بالسلامة طلبتني على الموبايل، آتيك فأقف على ناصية الشارع بعيداً، حتى تأتيني أنت حضرتك؟. أنا لا أريده أن يعلم أني من حملتك معي إلى هنا، وضحك؛ فأنا لا أضمن العاقبة، وقد تقع بينكما المواجهة؟!. وأشار له إلي البيت، وبمجرد أن نزل هو من السيارة، انطلق عصام مولياً. وكأن اللحظة ستشهد معركة تكسير عظام

بـين زوجـين مـن الديناصـورات، ولا يطمـأن أبـداً لسـلامته إن كـان حاضـراً!!
ولوَّح له بيده من شباك السيارة، وتنادى ضاحكا وهو يسرع هارباً:

- سلامٌ يا شيخ؟؛ الله معك؟

* * *

الفصل الثاني عشر

ما أغبى الأزواج؛ لا تُقرّ الزوجة بفضل زوجها إلا أن يموت، فتقعد آسفة، كقردة في قفص، دون شريك، تتمنى لو يعود، فتحسن تبعته، وإتباع مرضاته؟. ولا يعرف الزوج فضل زوجته إلا أن تموت، فيبقى همْلاً كاليتيمٍ، يتمنى لو عادت فيكن خيره كله لها؟؛ كان السيد بن أميرة مع أمّه، وعمّته، يستقلون عربة أجرة، عائدون من السوق، بهدايا الحضانة التي يمنحونها الأطفال نهاية العام. فلمح الصبي عند الإستاد، مجمع المحاكم فأشار لعمته، زوج مجاهد منبها:

- عمّتو نجي مع عماد- المحامي- هنا عند الحكومة؟ وكانوا حتى هذه اللحظة لم يحصلوا من والده على مليم نفقة له، ولا حقاً من حقوق أمّه كزوجة، وكان قد بلغ الرابعة- أولى حضانة- فابتسمت له عمته ورقَّ قلبها له، وكانت تحبه ولا تبخل عليه بشيء، فأخبرت أميرة عمَّتها، تُسرُّ لنباهته:
- جاء معي إلى محكمة الأسرة، وكانت المحكمة يومها زحمة مليئة بالمطلقات، ففضل معي طوال اليوم، فلم ينس ذلك!!. ثُمّ رفق جدته الكبيرة إلى عرس أحد الأقارب. وكان العروس ابن عمِّ أبيه، وكان لم يشاهده، منذ شاهده حين كان جالساً فوق عريش عربته الكارو، فقابلهما، منذ أكثر عام. وفجأة نادت أحدى النساء من أهل العريس، تنبه أباه، وقد رأت الصبيَّ في رياش جميلة، وقد نمى:
- محمد؟. السيد ابنك؟. وأشارت إلى الغلام. فهرع إليه يقبله، ونسى أنَّه لم يقدم للغلام ولا لأمّه معروفاً، وأنَّه غيرُ معروف لديه. فأخذ الغلام يرجع بوجهه إلى الوراء، ويدفع بيديه في صدر أبيه لا يريده أن يقبله. فقالت الجدة تهدئ من روعه:

- أبوك يا سيد؟. وأردفت، عيب؟. لكن الصبي ظل متربصاً، لأنه لم ير من هذا الشخص من قبل معروفاً، فكيف يأمنه!؟. وتابع لائذاً بها. فأسرع الأب فاشترى "شبسي" حجم عائلي، وفتحه له، وجلس تلقاءه، وجعل يطعمه. وفي غمرة ذلك وقع بعض الشيء على بزة الصبيِّ، فأخذ ينثرها عن الثياب ينظفها له. فتطاير الذّر، فسقط على جار مشغولٍ بالعرس، لم ير المشهد، فقال للأب ينهره:
- ليس عندك ذوق؟. ألم تر؟؟.. وبعد أسبوع قدم كي يرى الغلام فسمح له عم أميرة أن يشاهده في العيادة، بالدور الأول من البيت، فرفق جدته، بعد إلحاحٍ شديدٍ، وطمأنته جدته. فظل لائذاً بها. وتناول عن بعد، ما حمله له أبوه من "شبسي، وكيك وعصائر" وفتح بعضها فأكل منها شيئاً. وظل يرنو من بعيد إلى أبيه، ولم يستجب لمناشدة جدته: أن يحدث أباه شكراً؟ أو يذهب فيسلم عليه؟. وظل صامتاً فلم يفه بكلمه طوال اللقاء. فقام أبوه منصرفاً، الدمع في عينيه. وواصل في استمالة الصبيِّ إليه، فحضر عن موعد، يوم الجمعة بعد صلاة العشاء، وراءه مجاهد جالساً بالعيادة وهو يمر، لصلاة العشاء، فسلم عليه. وعلم الصبي بوجود أبيه، فأظهر نكداً، وحاولوا إيقاظه، فأبى. فاعتذروا له أن يأتي الأسبوع القادم قبل هذا الوقت قبل نوم الغلام، فجاء، وجاء معه بكرة قدم كبيرة، ذكرت أميره أنه وجدها بالشارع يوماً، منذ كان السيد رضيعاً فاحتفظ له بها. واحتالوا عليه حتى نزل رفق جدته. وكل ما حصل في المرَّة السابقة حصل هذه المرة، إلا أن الصبي فاه بكلمة شكراً. ثمّ جاءه، وكان العيد على الأبواب، فأراد أن يأخذه معه ليشتري له ثياباً جديدة، وكانت أمّه وعمته قد جلبوا له ثياباً للعيد، ولم تُغْرِ الصبي الثياب للذهاب، ورفض الخروج معه. فأعطوا أباه- منعاً للحرج- الثياب الجديدة، يسترشد بها، يشتري على مقاسها؟.

وجاءه في العيد، فنزلت به الجدة إليه، فأفرغ أبوه في يده، حفنه من عمله، فئة العشرين جنيها، وقال له:

- عُدّ يا سيد؟. فعد حتى ٩ ونفدت النقود. ففرح أبوه، وأخرج ورقة أخرى فأعطها له، فقال الصبي: عشرة. وبدأ يتحدث. فطلبه للخروج إلى المدينة ليفسحه؟ فأبى. ولماّ حثوه على الخروج، وبعد الفسحة سيجيء به أبوه إلى هنا، فتأبى بشدة ولاذ بجدته وبكي. فغضب أبوه، وقال، كأنه يجادل رجلاً:

- لن آت مرة ثانية يا سيد؟. وكانت عمّته وجدته يحثونه دائماً النزول لأبيه، ولا يخشى، فلن يأخذه، وأنه يحبه. ويمنعون أميرة من التدخل، وعرقلة سعيهم، ولكنهم غضبوا من حديث الأب، وقالوا جميعا كذلك:

- ما ذهبنا إليه فرجوناه أن يأتي؟!. فقابله في الطريق رفق أمّه، فلم تقف له. وكان الصبي قد عرفه فالتفت إليه. فمرَّ أبوه ولم يكلمه. فلما عادا إلي البيت، أخبر جدته في حزن:

- محمد الزغبي قابلني ما كلمنيش؟. وأوصاها كذلك: حين يأت يا جدتي لا تنزلين إليه؟. فقالوا له:

- لِمَ يا سيد؟.فأجاب كذلك:

- لأنه لم يعد يأت، وقابلني ولم يكلمني؟. وحين سمع مجاهد القصة من زوجته، أفاد: أب لا يفهم؟. مفتاح السيد مع أميرة ؟. وكان قد جاءهم أنه طلق زوجته التي تزوجها بعد أميرة، ثمَّ علموا أنه الطلاق لم يحدث، وكانت هي الأخرى مطلقة، ومعها غلام. ولأن أمه بحثت له؛ فلم تجد له سوى مطلقة، وكانت على دراية بزواجه الأول، وأنّ له غلام. فقبلوه على أن يعيش غلامها معها. فأنجبت له ابنة. فقابلهم في السابعة وهم قادمون إلى الحاضنة فصاح عليه:

- أزيك يا سيد؟؟. ولأن الغلام لم يلتفت إليه، تابع:

- لِمَ لمْ تُجب يا سيد؟!..

* * *

وناس مصر طيبون للغاية، على طَرْفِ لسانهم؛ المسامح كريم. ويوماً عاقب فيه مجاهد، فخري الشر بيني، وكان عقابه أن أبقاه معه إلى ما بعد انصراف النساء، وانصراف الرهط المشاغب جميعاً. وفي الثالثة عند حلول موعد الانصراف، قال الشر بيني في أسى:

- يا أخي، أنت الآن تعود إلى بيتك فتجد من قام بتجهيز غداءك. أمَّا أنا فينبغي أن أجهزه بنفسي. احملني معك بالسيارة فأوصلني إلى مكان كذا ثم عُدْ؟. فاعتذر إليه:
- هذا ميعاد نومي، بل أحملك إلى مكان كذا، في طريقي، ومن هناك أركب إلى طلخا حيث تريد؟. فهرول يُعَفِّر، كأنما أُبلغ أن بيته سُرِق! فرقَّ مجاهد له ولام نفسه: فلولا زوجه التي تنظر، والطعام المعد، وخشية أن تقوم بتقريعه، لأنها ستضطر إلى إعادة تسخينه. إذ الطريق الآن مزدحم، بعودة جميع الموظفين، وحلول ميعاد نومه مباشرةً، بعد تناول الغداء، وفوات ذلك يؤلمني، وبدني الذي لم يعد يحتمل الإيلام؟ لولا ذلك لقمت بتوصيله بالسيارة حيث يريد؟.. وحين خرج فخري معاشاً فرحوا فرحة غامرة، وكان قد رأي قلماً أعجبه يصرف للإدارة، فأخذه:
- هو هديتي منك بمناسبة خروجي معاشاً؟. قال:
- لا، هذا ملك الدولة، لن أستطيع منحه لك؟، وأخذه منه عُنوة، فسأل أسِفاً:
- وهل هذا شيء؟!. فوعد مجاهد أن يشتري له مثله من ماله الخاص؛ فما برح أسبوعاً كاملاً قبل خروجه، كل صباح يطالبه به؟. وظلت الزميلات يطالبنه أن لا يعطيه شيئاً. فاشترى له مثله. واتصل به مدير المديرية معروف على الموبايل في ود يخبره:

- اليوم الذي آتي إلى الإدارة لا أجدك! أين أنت؟. وكان يوم العزاء قد حمله على الدخول، فجلسا يتعاتبان حتى الثانية عشرة، منتصف الليل. واتفقا أن يضع هو الشكاة، ويغلقا كل القضايا بينهما. فابتسم منبئاً:
- بالمرور، أرخص لسيارة. قال:
- تركب زورا !؟. فأقسم له يضحك:
- ليست من أموال القوى العمالة، والله، مدخراتي، ومدخرات زوجتي، وأموال استلفتها من حماتي، أسددهما من مكافأة نهاية الخدمة. فأخبر مدير المديرية:
- الدنيا عندك مقلوبة بسبب موضوع الأردن؟. قال:
- هو اليوم فقط، أنهي إجراءات الترخيص وأعود غداً للإدارة. تأمر سيادتك بشيء؟. لا. مبروك السيارة الجديدة؟. وكان قد اتصل على الموبايل بزوج مدام أمنية، وكان مهندساً، فجعلها مناسبة للاتصال، وكان منذ الانتخابات الرئاسية لم يحادثها. وكان يحرص على الاتصال على تليفون المنزل حتى لا يسوء صاحب البيت، ويُعْلِمْ أنه لا خفاء لشيء، بل هو الاتصال بأهل بيت يحرص أن يعلمهم بخير. فأراد أن يستشيره في نوع السيارة التي يريدها، وقال: فلان. فسأل مُستنكفاً، كأنما لا علم له بصاحب الصوت:
- مجاهد من؟!.فابتسم في حرج شديد مذكِّرا:
- المنصورة؟ فانقلب ودودا جداً.. وقال:
- أفضل التويوتا؛ هذه السيارة درستها جيداً وتخصصت فيها، وأنا أركب تويوتا، وتركب ابنتي تويوتا، وامرأتي كذلك. قال:
- المبلغ الذي ادخرته ثمانين ألفاً، والتويوتا غالية. أسأل سعادتك عن " الفيرنا الكوري؟". فسأل عن قوة الماكينة، وكان مجاهد لا يفهم في دقائق السيارات، فأرشده، قال:

- عندما تذهب إلى المعرض تجد في كراسة السيارة المواصفات، فاتصل فأخبرني؟. قال:
- سلم على الزوجة والبنات؟ اعتذر لإزعاجك، وأُسعدت بسماع صوتك؛ وقدَّر أنّ زوج مدام أمنية قصد تجاهله، ليصرفه عن العودة للاتصال. فغضب في نفسه، وتعمد أن لا يطلبه؛ وقال صحابه الذي رافقه إلى المعرض، متندراً على قول المهندس المتخصص الذي سأله المشورة- وكان شاباً عاشقاً للسيارات، عارفاً بأنواعها، ودقائقها رغم أنه ليسانس حقوق- من الذين يشهدون معه درس الجمعة في المسجد، فأمسى بعد هوايته للسيارات والاتجار فيها مُقصراً في حضور الدرس، لذهابه لسوق القاهرة للسيارات، وبعض المحافظات التي لا تنعقد سوقها إلا يوم الجمعة. فقال يتندر لِما عَلمه عن المهندس المتخصص:
- سيارات هنداي لا تختلف إلا في الأطر الخارجية والبوية؟!. المهندس الخبير صاحبك- وآسف يا شيخ مجاهد- لا يفهم شيئاً. فصمت حزيناً، ولم يشاركه الهزار، حفظاً لود مدام أمنية. ثمّ ذهب إلى المعرض وحده، لأنهما كانا قد بحثا في عدة معارض عن الفيرنا، وعلما بالأسعار، ورافقته الزوجة تحمل النقود في حقيبتها. فعلم محمد داود بأمر الشراء بعد استلام السيارة، والسير بها بضعة أيام، وظل عداد السرعة دون المائة، لم يخرج بها خارج المدينة، فالتقيا أمام المعرض، وكان ذاهباً لاستلام مستندات الملكية، وكتاب الضمان بعد أن جيء بهما من المركز الرئيس للمعرض بالقاهرة. وفجأة قال له محمد داود وهذا اسمه:
- افتح الكبوت، يا شيخ مجاهد؟. ففتحه. ودقق محمد داود على نور الموبايل والضوء المنتشر أمام المعرض وكانت المفاجأة:
- السيارة مغيَّرة كبُوت يا شيخ مجاهد؟! قال صاحبه؛ فسأله في أسَفٍ:

- والحل يا محمد؟؟ فينادى داود:
- أين مدير المعرض؟.. وبعد فترة جدال، ومشاحنة- هدد فيها محمد باستدعاء الشرطة- جنحا للاتفاق على الذهاب بالسيارة إلى أقرب مركز صيانة معتمد للسيارة الفيرنا. فأثبت المهندس بمركز الصيانة أن السيارة ليست مستبدلة كبُّوت، وفقط، بل والباب الذي يكون لدخول قائد السيارة، ظهر ذلك من أثر لمفاتيح عملت على المسامير الرابطة للكبّوت والباب. وطمأنه المهندس وكان محمد داود معه:
- من حقك تغيرها، فهي لم تعمل بعد مائة كيلو، وأنت تشتري سيارة زيرو. وكان على السيارة عرض للكساد الذي عم السوق بعد ثورتي ٢٥ يناير و٣٠ يونيه. ولكن لكن محمد صمم أن لن يركب- وكان يعامله كأنه والدة الذي ربّاه- صمم أن لن يركب إلا سيارة أوتوماتك بدلاً من المناول الذي عليها العرض؟. فأُعتذر إليهً:
- يا محمد! المبلغ الذي جمعته لا يكفي، وثلثه علي ديون؟. فضحك وقال ببساطة:
- تزداد الديون عشرون ألفاً إضافية أعطيها لك؛ لتركب السيارة التي أحب أن تركبها، وستعلم الفرق، وتدعو لي؟ قيادتها تكون كالسيارة التي تكون للملاهي؟. وبالفعل دعا لمحمد داود من قلبه عندما اعتاد ركوب السيارة أوتوماتك، وسعد لتلك المحبة التي أولاها محمد له. وحين سداده الدين- بعد ثلاثة أشهر- رفض رفضاً باتاً ما عرضه عليه، مِمّا يأخذه الوسيط في مثل هذه المعاملات، فعزم أن يقدم له في زواجه شيئاً ذا قيمة، وبقى الدين الذي لزوجته ولأم زوجته لحين صرف مكافأة نهاية الخدمة، وكان يكره الاستدانة ولو كانت من أقرب الأقربين. والمدهش حين بيع السيارة الـ ٢٧ أن حزن لفرقها، وحزنت زوجته كذلك وكأنها- وقد صحبتهما أكثر من عشرين عاماً-

أصبحت بضعاً منهما. وقال للذي اشتراها، وكان شاباً ذا لحية أيضاً، في مستهل حياته:

- لن آخذ مما تحويه هذه السيارة شيئاً؛ لن أخذ لاستبن، ولا الرافعة ولا عدة المفاتيح، ولا زوجي المصاحب- المصحف الذي كان يقرأ فيه حال الانتظار بالسيارة، والمصحف الصغير بعلبته القطيفة التي أهدتها له مدام أمنية للعناية به، وحفظه- وقال للشاب:

- هذه السيارة عشرة عمر؛ وما كنت لأفرط فيها، لولا عيبها القاتل الذي لم أستطع له علاجاً! كانت إذا طلع عليها الصيف واشتدت حرارته، تُسْقطُ الإشارات الجانبية، فأضطر لشراء غيرها ومعاودة لصقها، فلا تلبث أن تسقط، وهكذا دواليك. ولولا خروجي معاشاً، وشرائي للسيارة الجديدة، لتريحنا فترة خمس سنوات على الأقل، لا تحتاج فيها لإصلاح- كما نصح زوج م/أمنية- وعجب أن يصير بين الحديد والإنسان ومودة، ويعجز الإنسان عن ذلك وبينه وبين أخيه الإنسان، أو لا يحرص عليه!؟. واقترب موعد خروجه معاشاً، فرفضت الآنسة نادية أن تخلفه على الإدارة، وقالت:

- يا أستاذ مجاهد؛ كيف لي السيطرة على الرجال، خاصة فلان؟؛ شخص يجيء العمل كزائر، نُقِله مدير المديرية بعد خروج فخري الشر بيني معاشاً لمتابعة إحداث المشاكل والانقسامات داخل الإدارة. فأغرى مدير المديرية أحد مديري المناطق، يراه مُجِيداً؛ أن قيادة إدارة الاستخدام الخارجي تضيف له مزية تُرجّح كِفته أن يُختارَ مستشاراً عمالياً مصرياً، وكان الشخص يرغب أن يُختارَ مستشاراً عمالياً مصرياً بدولة الكويت، فطمأنه:

- الأستاذة نادية ستكون خير مُعين لك على معرفة دقائق العمل؛ لقرب خروجي معاشاً. فأسر له الشخص: كنت أحصل على خمسمائة جنيه شهرياً من عملي

كمدير منطقة، فما هو العائد إذا كنت مديراً لهذه الإدارة؟ وأنا أرى كمية عمل، جِدُّ كبيرة؟. قال:

- أصدقك القول؛ هذه الإدارة لا تحصل على أموال زائدة عن الراتب أكثر مما تحصل عليه أية إدارة أُخرى. عزاؤنا الفوائد المعنوية، والخدمة التي نُقدم للجمهور، فهي أخطر وأهم إدارة بالمديرية. وبدأت الوزارة التَّخلي عن المركزية، بتوكيل المديريات في مراجعات بعض الدول زيادة على دولة السعودية، كالأردن والكويت والإمارات، تعطيك فرصة للاضطلاع بمشاكل العمالة المصرية المسافرة للعمل بالخارج. ووعد مدير المديرية بأن يخصها بزيادة بدأها هذا الشهر من خلال احتساب أجر عمل إضافي وجهود غير عادية، كما أن المحاضر التي تحرر لهذه الشركات ونشارك فيها، تبلغ قيمتها العشرون ألفاً للمخالفة الواحدة، قمت بحصرها، إيذانا بمطالبة الوزارة بحقنا فيها؛ أوقفه ما كان بيني وبين مدير المديرية من خلاف، وأعلم أن بينكما مودة تمكنك أن تُحي معه هذا الموضوع. ومن ناحيتي سأعضد مطالبتك به. قال:

- يا ليت؟ فهو لا يطيع إلا نفسه، ولا يعمل إلا لمصلحته، وعندما عرض علي هذا الأمر لم أرد مخالفته، ووعدني بالعودة للمنطقة إذا لم أرتح بهذه الإدارة. قال:

- إذن؛ لن تخسر شيئاً؟. وحرضه على البقاء، ليجد من يستلم منه، فيخلي طرفه بأنها؛ تقوي اختياره كمستشار عمالي؟. وكان قد تقدم لهذا المنصب مِراراً، وجاز كل الاختبارات عدا المقابلة الشخصية، وكان عنياً بمظهره، ضابطاً لانفعاله، عارفاً باستخدام الموبايل والكمبيوتر كآلتي اتصال حديثة. فرافقه كظله في جميع مراحل العمل، وخرج معه في حملات مكثفة على شركات إلحاق العمالة.. وفي المسجد واصل تركه للإمامة. وأخذ نَفرٌ يألفون صلاة حسام المستخلف، وكان حاضر القلب إبَّان القراءة متذللا. فلما وجد الإمام أن

المشاكل لم تنه، ذهب إلى الأوقاف وطلب نقل نفسه، لأن النفر المعاند قدموا فيه شكوى للنيابة الإدارية؛ فاتصل بوالد الشاب الذي كان قد استخلفه وابن أخيه مجاهد الصغير للإمامة من قبل، وقال يوبخه: أنت وابنك سببا الفتنة؟ وفلان؛ يعني فرد الإخوان، يريدني لكي تنتهي تلك الفتنة أن أجعل لك بالمسجد درساً وخطبة. وأجعل للشيخ فلان درساً وخطبة، ويصل ابنك إماماً؟. فآلمه ذلك، وقال للأخ الذي بلغه المقالة: يا أخي، وهل أنا طلبت منه ذلك؟! وكيف يسوي بيني وبين فلان، وفلان!؟. وفجأة ظهر إمام جديد للمسجد، وكان لا يزال حريصاً على التخلف عن الإمامة، يأتي بعد الإقامة. فقام يقضي ما فاته في صلاة المغرب، وكان قد فُرِغَ منها، فسحبه القهقرى شخص، ليصلي بصلاته؛ فجهر بالركعتين الأوليين، وكان قد صلى ركعة مع الإمام، فسلم بسلامة من صلى معه، وكانوا جميعاً قد نقصنهم تلك الركعة. فلمَّا سلم التزمه ذلك الشخص الذي سحبه القهقرى،وكان التفت إليهم لما سلموا بسلامه، وحثهم:

- استكملوا صلاتكم؛ تنقصكم ركعة؟. فقال الشخص الذي صلى بصلاته:
- بين لهؤلاء ما فعلت؟. فبين لهم.. فتبين أنه مفتش مساجد جاء تعضيداً للإمام الجديد. فلما سمع قراءته، قال باتاَ:
- سآمر الإمام، أن ينبه على الناس، أنّه في حال غيابه، لا يصل بالناس غيرك. وكان قد عقب له بعد بيانه: أنت الشيخ فلان. قال: نعم. قال: سمعنا عنك كثيراً، ولم نرك، حتى كان القدر؛ فأردت أن أصلي بصلاتك فعرفت أنك من أريد.. وكان قد سلم الأختام لـ " سعيد " فوجد الأختام لدى مدير المديرية، وعلم أنه ولى فراراً، فتوجس خيفة ألا يخلى سبيله. وأخبره مدير المديرية:
- أنت أول من حصل على الأربعة أشهر من رصيد الأجازات نقداً. وتابع أمام الجميع وهو يعرض عليه مكاتبات الإدارة، في آخر يوم عمل له بالمديرية:

- لا تشتكيني بعد؟. فأغفل العبارة، وقال يبين له من شأن ما يعرض عليه:
- هذه المذكرة للعرض على معالي الوزير بخصوص إلغاء ترخيص شركة كذا. قال:
- دع هذا لنا، كفاك عملاً، اذهب فاستلم نقودك؟. فأنت أول من منح ذلك. وأزلفه قصاصة ورقه- كما كان يفعل شاوسيسكو مع إحداهنَّ خفية متى أعجبته- يسأله رأيه في " هويدا " كمديرة للاستخدام الخارجي، زميلة بالإدارة. فاتصل ليلاً يخبره:
- هويدا ضعيفة، لا تستطيع السيطرة على الرجال خاصة وجيه جمعة- الموظف الذي يجيء الإدارة كزائر- ينصرف قبل الظهر لأنه يمتهن مهنة كهربائي- فجعله يعمل وقال:
- يصلح لهذه الإدارة محمد عبد الفتاح، يجيد العمل على جهاز الكمبيوتر- نُقِلَ للإدارة ليقوم بعمل الزميلة الرسول، التي كانت تفحص الوكيلات الواردة من الخارج، بريد اكتروني، فشكاة للمحافظ وشئون المديريات بالوزارة، والنيابة الإدارية أنه يعرقل عمل الإدارة؛ بنقل الزميلة فهرول بنقل محمد عبد الفتاح إليه- وأردف يزكِّيه:
- هو أمين، عيبه أنه صدامي، ولا يزال غير ملم بأعمال الإدارة، لكن تعاونه الأستاذة فلانة؟. قال: لا أريد لهذه الإدارة أن يحدث لها سقوط بخروجك.؟.. وكانت الزميلة الرسول، وأعضاء الإدارة الأصليين، ومن نقلهم مدير المديرية لإدارات أخرى، ومدام سوزان، النائبة التي خرجت معاشاً منذ أكثر من عام قد اجتمعوا عنده، ليحتفلوا به، ولم يدع للحفلة مدير المديرية، فتحدثوا نهاية اليوم؛ فقالت النائبة: نرجو أن تسامحنا على مواقف صدرت منا؛ لم تعجب حضرتك؟ فعلمك بالمودة والإعزاز في قلوبنا جميعاً يغفر لن جميعاً؛ فهي صحبة العمر؟. وضحكت بهيجة، وقالت:

- نعلم أن موبايل حضرتك سرق، وأنك عزمت على ألا تقتني غيره، ولكن لا غنى لنا عن الاتصال بحضرتك، فاقبله منا، وإن كان هذا لا يليق بمقامك.
وقالت الزميلة الرسول:
- لا ندري كيف لنا الاستمرار في الوظيفة بدونك؛ لا أتخيل ذلك؟! وأطرقت.
وكانت مقالتها هذه ثاني أجمل مقالة خضع لها كل جوارحه، بعد إسرار مدام أمنية إبَّان أن كانت معهم؟. وهل هناك من يأنف منك؟ ففاض ما بقلبه: والله، لقد أحببتكم جميعاً، ودافعت عنكم، وطورنا عملنا، وجاهدت، وكان غضبي بقدر حبي لكنَّ، فإني أغار لكم، وأراني قد غفرت. فاقرؤوا كثيراً وتفقهوا، فإنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه؛ وبابي لم يزل لكنِّ مفتوحا، ومازالت أدعوكن لدرس الأربعاءً، وسامحوني على ما أغضبكن مما صدر مني. يشفع لي إرادتي الإصلاح ما استطعت، وحبي لكنَّ جميعاً؛ فردت النائبة كذلك:
- لقد نهضت بما لم ينهض به إنسان؛ وشكوت هذا الشخص لجميع الجهات، وعددت منها، وذهبنا لأمن الدولة، فبقى في منصبه، ونالنا منه جزاءًً؟ وتعتب عليَّ، وعلى الزميلات أننا تظلمنا عنده، وأنا من تناول تظلمي على الرغم أني لم أقدمه له، وبدلا أن يكرمني لخروجي معاشاً، نحاه جانباً، وقبل باقي التظلمات، فتظلمت مثلك لدى مفوض الدولة، ورفع الجزاء. فماطل في تنفيذ قرار مفوض الدولة. ولما علم بتوجهي لشكاته، أسرع ينفذه صاغراً.
قال:
- يا مدام! لا ينبغي لمظلوم أن يتظلم لظالمه؟ بل ينتزع الحق منه انتزاعاً. قالت:
- فعلت، حضرتك، كلَّ شيءٍ، فهل مشى من منصبه!؟ . قال:
- يكفيني شرف المحاولة..فحادثه محمد عبد الفتاح، أن مدير المديرية أخفى المذكرة التي قدمها له في آخر يوم عمل له، للعرض على الوزير بخصوص إلغاء ترخيص شركة صحبة لاستخدامها المقر في نشاط غير إلحاق العمالة،

وتعليقها لافتـه بالنشـاط الجديـد، فنبّـه الزميـل: لقد منحـت هـذه الشـركة مهلـة لتصـحيح وضـعها، ثـم عُدتُ عليهـا بحملـة بعد شـهر، فوجـدتها عـادت لـنفس المخالفة؛ كل ذلك مُبَيَّن في المذكرة التي قدمتها له، وتجد أصـل المـذكرة علـى الكمبيوتر، ومصدّرة فـي دفتـر الصـادر، وأنـا علـى استعداد لمواجهتـه؟ فـأمْرُه بإعادة المعاينة يُطمِّعُ الشركة، وله مصلحة أكيدة، فانتبه؟. قال:

- أدع لي يا شيخ؟ فأنا أعرف أن يده ليست نظيفة. عملت معه كمفتش تفتيش عمل بمكتـب عمـل أول وكـان مـديره. فكـان يـأمر بعـدم المـرور علـى محـال وشركات بعينها، يمنعنا من التفتيش عليها. فطلبت نقلي لمكتب تفتيش ثـاني. فلما علمته جاء مديراً للمديرية، تقدمت إليه بطلب لإعفائي من مهمـة التفتيش لنسبة عجز فـي قدماي، لا تسـاعداني علـى التجوال والعمل الميداني، فتعلـل بنقص المفتشين، فشكوته للوزيرة، فلم تستجب، فكتبت رسـالة أرسلتها علـى موقع الـوزارة، وهـي فـي احتفـال لهـا، فأرسلت أحدث: نـاس هيصـة!؟ ونـاس لايصة!؟. ونثرت شكاتي على موقع التواصل الاجتمـاعي. فأرسلت الـوزيرة لي: ولايص ليه يا أستاذ محمد؟!. فتقدمت لهـا بطلـبٍ، فأسـرعت بالاسـتجابة؛ وانتقلت إلى مكتب التوظيف، لعمل غير ميداني، نقلنـي منـه إليك. وقـال: فأنـا أجيـد التعامـل معهـم مـن خـلال هـذه الوسـيلة، ولكـن أدع لـي يـا شـيخ؟. ولا تؤاخذني إن اتصلت، أطلب المشورة؟. قال:

- أدعو الله لك بالتوفيق، وأنت أهل لحمل أمانة؛ اطلبنـي، ولكـن مـن سـاعة كـذا، إلـى سـاعة كـذا؛ يسـعدني ذلـك، وأنـا مـن زكيتـك عنـده لتكـون مـديراً لـلإدارة، ومعك الأستاذة نادية، عارفـة بالـدقائق، وأمينـة. قـال ذلـك رغـم عـدم مشـاركة الأخ في الحفل الذي أقيم لتكريمـه، وتعمـده التخلـف؛ وكـان لـه موقفـاً مخزيـاً؛ تغيـب ذات يـوم، لمـاً علـم بنيـة إخراجـه حملـة علـى بعـض الشـركات بـدلاً مـن فخري الشر بيني، فقال يعاتبه لمّا عاد:

- تعمدت الغياب، لمّا علمت بإخراجك حملة بدلا من فلان؟. فرد:
- أنت لا تفهم . فغضب:
- والله، لولا إرادتي عدم فتح جبهات جديدة، لقدمتك للمحكمة التأديبية، والعقاب قاسي؛ توقف عن العمل حتى فراغ المحاكمة؟. قال: اعترف بخطئي وأطالبك بأخذ حقك، فقدم فيَّ مذكرة للنيابة؟ قال: لقد تعبت من كثرة التخاذل، وما بقى لي فأخرج معاشاً قليل، فأرتاح من هذه الكآبة. ولم يعمل فيه مذكرة، رغم شهود زميلتين للواقعة، خشية أن يرهقهما بالشهادة؟..
- فخري مات يا شيخ مجاهد، فسامحه؟ صاح عامل المعاونة في نيابة خامس الإدارية بمجرد رؤيته له، ولم يكن قد ابتدره بأي حديث أو أعلمه سبب مجيئه، لكنها كثرةُ القضايا التي تداولت بينهما، هي من حملت عامل المعاونة بالإسراع في الخبر فرحاً بانتهاء القضايا بقضاء نحب صاحبه. ولم يكن خبر موت الشر بيني جديداً لديه؛ اتصل زميل مجاور لسكن الشر بيني منذ بضعة أسابيع، فأخبره؛ أنَّه عصر الخميس شهق شهقةً واحدة، غاب بها عن الوعي، فحمل إلى مستشفى الطوارئ بالمنصورة، فقضي نحبه فيها، فدفنوه في اليوم التالي؛ عقب صلاة الجمعة؟. ولم يعقب للنبأ، ولم يكن، أيضاً، في حالة تسمح له بالاستجابة للصفح، فاكتفى بإطْرَاقَة. وقال مادا يده للعامل ببطاقة الرقم القومي:
- أريد مقابلة مدير النيابة؟. فسأله العامل دهِشاً:
- سيادة المستشار؛ فلان بيه؟!
- نعم. فتناول منه البطاقة، وكان من قبل حين يراه، يسرع في رجائه كذلك: يا شيخ مجاهد نريد أن نرجع اليوم ذا بدري؟.. فعاد فأخبره:
- انتظر قليلا؟ سيستدعيك سيادة المستشار بعد خمس دقائق. فجلس بالطرقة الموزعة للحجرات، داخل النيابة. واستخرج الخطاب المرسل إليه من

المديرية، رفقه الخطاب المرسل للمديرية من النيابة، وتقرير اتهام مقدم من النيابة الإدارية إلى المحكمة التأديبية ضـد؛ مجاهد منصور عبد الحميد، مدير إدارة الاستخدام الخارجي بمديرية.. وأغفلت عينه اسم المديرية، ولم يطق أن يطالعه لشدة الكراهة، الدرجة، كبير باحثين، معاش ٢٣/ ١١/ ٢٠١٧ م، محل الإقامة: ١١ ش نسيم خلف مدرسة بن لقمان الإعدادية، من ش الجمهورية، لأنه بتاريخ ١١/٨/ ٢٠١٥ بمقر عمله سالف البيان، بدائرة محافظة.. خرج على مقتضى الواجب والوظيفي، وخالف أحكام القانون بأن، اصطنع طلب أجازة اعتيادية عن المدة ١١ / ٨/ ٢٠١٥ حتى ١٣/١١/ ٢٠١٥ وتزوير توقيع الرئيس المباشر عليه، وتقديمه للنيابة رفق شكواه بخلاف الطلب المقدم منه للسلطة المختصة؛ وبناءً عليه، يكون المذكور قدر ارتكب المخالفة الإدارية المنصوص عليها في المادة.. من القانون رقم ١٨/ ٢٠١٥ لذلك؛ تطلب النيابة الإدارية من السيد/ الأستاذ المستشار، رئيس المحكمة تحديد أقرب جلسة لمحاكمة المذكور بتلك المواد والمادتين..،.. من ذات القانون المشار إليه. والأقبح؛ أمر الإحالة؛ نموج (١) الخطاب المرسل من النيابة الإدارية للمديرية تطلعهم فيه؛ أن النيابة قد أمرت بإحالة/ فلان، إلى المحكمة التأديبية، وقد أُوْدعت الأوراق الخاصة بالموضوع المحكمة التأديبية.. بتاريخ ٤/٨/ ٢٠١٦ وقيدت تحت رقم٥٤٠ لسنة ٤٤ق. تعلمها فيه عدم جواز الترقية خلال مدة الإحالة؛ وفلان هذا الذي هو، قد خرج معاشاً منذ أكثر من شهر**؟!**

فقال يخاطب مدير النيابة وهو غضبان:

- من هو المزور سيادتك**؟!** بل؛ من هو تعمد التزوير مرتين، مرة في تاريخ خروجي معاشاً، فيدعى أنه ٢٣/ ١١/ ٢٠١٧ لتستمر محاكمتي، رغم خروجي معاشا في ٣٠/٦/ ٢٠١٦م في شأن جئت أشكو فيه ظالماً مسيئاً لاستخدام السلطة، منعني حقي في الحصول على أجارة اعتيادية قدمت له

مستوفاة كل الشروط؟ فأتحول إلى مزور؟!. ومرة بادعاء أن عنواني- الذي لم يتغير طوال مدة خدمي حتى الآن، يُدعى أنه؛ ١١ ش نسيم خلف مدرسة ابن لقمان الإعدادية من شارع الجمهورية. وعنواني سندوب الجديدة، أول المنصورة!؟. فهدأه مدير النيابة في وُدٍّ:

- لا تهتم؟ هذا الموضوع عديم الجدوى، ولا يحتاج إلى محامٍ للدفاع عنك، وسأقوم بإملائك صيغة مذكرة الدفاع التي تقدمها للمحكمة. وبمجرد إعطاءك القاضي صورة معتمدة من قرار نهاية الخدمة سيأمر بحفظ القضية. واعتذر إليه: ولو كنت يومها هنا لأمرت بحفظ الموضوع لعدم الأهمية. قال:
- أود صورة من الحالة الوظيفية الذي تُعُمِدَ فيها تزوير تاريخ نهاية خدمتي والعنوان، لأقدم شكوى بدليل ضد مدير المديرية الذي يعرف جيداً حالتي الوظيفية لشهرتي عنده، وللخصومة التي بيننا، وفي الموظف الذي استخدمه للشأن؟
- الملف بالكامل، والأوراق الخاصة بالموضوع، أودعت سكرتارية المحكمة التأديبية. فاطلب من القاضي حين الجلسة صورة من بيان الحالة الوظيفية المرسلة من المديرية؟. وقال:
- أبشرك أننا قطعنا لهذا كل أذرعه السيئة، ونالهم جزاء رادع.. وكان قد علم من مدير الشئون القانونية، أن ما ناله فخري الشر بيني من جزاء، وأظهره مدير المديرية إحدى عشر يوماً، بخلاف أنه يقدم لمحاكمة تأديبية، وأنه لم يحصل على شيء من مقابل رصيد أجازاته الاعتيادية، وكان قد مر خروجه معاشاً نحو سنة..

* * *

- وطوال الفترة من أغسطس ٢٠١٦ حتى ديسمبر ٢٠١٧ كانت أهم الأحداث؛ أن جوّاله الذي كان هوسٌ، لا ينام الليل والنهار، انقلب مَيْتاً؛ وأَسْعده أن تُرِكَ

للصفاء، يقرأ كتاباً، أو يدرس درساً، أو يترك لنومٍ هادئ، تعقبه العافية. فحدث اتصال بعد بضعة أيام من خروجه معاشاً من، النادي، صاحب إحدى الشركات يخبره خبر صدق: إدارة الاستخدام الخارجي ماتت!؟ أريد أن آت بقارئ، ليقرأ عليها بعض آيات من القرآن؟! قلت لفلانة- الزميلة ذات اللسان الطيب- أين مندوبو الشركات الذين كانوا يشاهدون في هذا المكان كخلايا النحل؟ المكان أصبح كئيباً؟!. وقلت لفلان، القائم بعمل مدير الإدارة، أريد من سيادتك تغيير المهنة لهؤلاء الناس، قال: لا أفعله على مسئوليته الخاصة، وكان الأستاذ مجاهد يجد عنده ما يجيب به؛ يكفيني ما لدي من عمل لا أجد من يعين على أدائه. وقالت م/فلانة: لا أستطيع أن أحثه لأجلك، ذهب الشيخ وذهب الخير كله؟!وأقسم؛ والله أنا صادق، المكان أصبح غير المكان!! المكان أصبح كئيباً؟.

واتصلت الزميلات، أصل الإدارة به في المناسبات فكان يسرع في إظهار السعادة، ويبالغ في المجاملة إلى الدرجة التي صرح يوماً للآنسة* قبل أن تتزوج، وكانت تجلس إلى جواره الزوجة فضحك: قلت لزوجتي، لولا أني تبت، لو أردت أن أتزوج ثانية ما اخترت إلا الأستاذة نادية؟. فصاحت الزوجة تحذرها كأن الزواج يقع: هذا فاسق يا أستاذة نادية، لا تأمنيه؟. فابتهجت الآنسة مسرورة. واتصل القائم بعمل مدير الإدارة، أن آخر أخباره، أن وجيه جمعة، شتمه أمام الزميلات، لا يريد أن يعمل، ولا يمكث في الإدارة أكثر من ساعة، وإذا خرج حَمْله، أسرع بالعودة بالسائق بغير نتيجة، ولا مخالفة واحدة، ولمَّا لُمته، شتمني؛ قال: أنت لا تفهم؟ وهم بضربي أمام الزميلات؟. فنصح في جدٍ:

- إن لم يعتذر إليك أمام الجميع، ويلتزم بمواعيد العمل، وطاعتك كرئيس، قدم مذكرة بالشتم للنيابة الإدارية، والجزاء هنا رادع؛ وهو في صالح الزميل؛

ينبغي أن يُطعمَ حلالاً ويطعم عياله حلالاً. بعدها سيخضع الجميع لطاعتك؟. يقول لي وجيه أنك الوحيد الذي جعلته يعمل، وأنه عمل مع مدير المديرية هذا، حين كان مديراً لمكتب تفتيش عمل أول، فوقع بينهما شجار، فنفاه إلى مكان بعيد؛ فظل يعود في التاسعة صباحاً إلى بيته سنيناً من هذا المكان، وكنت أنا أشاهده عائدا حين ذهابيً إلى العمل.. ثم أخبره:

- حصل وجيه من المديرية على ثلاثة عشر يوماً خصماً من راتبه؛ عشرة بسبب موضع الشتم، وثلاثة لأنه قدم مذكرة في الأستاذة نادية لأنها قامت بالتقفيل عليه لخروجه من العمل دون أذن رسمي أو خط سير، وهو الآن يجلس في الإدارة لا يغادرها، لكنه يتربص لضربي، لأصطلح معه، وأقدم تنازل لرفع الجزاء عنه؟. قال:
- يا أستاذ محمد الصلح ليس بالعافية!؟ إن أظهر ندماً، والتزاما فلا مانع، وإلا فلا صلح؟.. واتصل فأخبر؛ أن الزميلة الرسول تطلب عودتها لمكتب التوظيف- الذي كانت قد نُقلت إليه من إدارة الاستخدام الخارجي، ثم نقلت للمديرية، فأراد معروف سلطان أن يسترضيها بمناسبة خروجه معاشاً، فأرجعها إلى إدارتها الأم؛ الاستخدام الخارجي، فبارك لها العود- أرادت الرجوع إلى مكتب التوظيف لأنها لا تريد أن تجلس على جهاز الكمبيوتر، وترغب في عمل خفيف. قال:
- أعلمها أن الإدارة في حاجة إليها؟. قال:
- تقدمت بطلب نقل للذي جاء بعد معروف سلطان، والذي شرع في بعض القرارات- كعادة كل مسئول جديد- وقالت: إن فلاناً، تعني سيادتك، عندما أصدر معروف سلطان قراراً بنقلها، فامتنعت سيادتك من تنفيذ القرار، تضايقت منك؟. فغضب؛ وهي من قالت مقالها الجميل يوم حفل المعاش الذي حضرته، رغم كونها كانت تعمل في المديرية يومئذ، فشكر لها؟. قال:

- عندما امتنعت عن تنفيذ قرار نقلها امتنعت لأن مصلحة العمل كانت تقتضي ذلك، وأني كنت أدافع عن زميلة كنت أعتبرها قيمة، لكنك فاجأتني بقولها، فاعمل لمصلحة العمل، ولا تلتفت لغضب زميل أو زميلة.. ثم تصل يعلمه أن الزميلة، بالفعل انتقلت لمكتب التوظيف في يوم كان فيه في أجازة. قال:
- من استغن عنك، استغن عنه؟. نقص كثيراً من رصيدها عندي. ولو أعلنتني يومها أنها تريد إخلاء طرفها لفعلت؟. قال:
- نقلها القائم بعمل مدير المديرية الآن، ويدعى فلان، ولم يشاورني، وهو أيضاً من الغربية؛ أهوج؛ عاتبته فقال: بل لا أزال أريد أن آخذ من عندك بعض الباحثين وعناصر سكرتارية، فكل الإدارات تشتكي نقصاً في العنصر البشري، وإدارتك متخمة؟. قال:
- بين له مهام هذه الإدارة، ومدى خطورتها، وأن القوى الوظيفية التي كانت تعمل مع فلان، يعنيه نفسه، كانت كذا؟ فإن صمم على متابعة أخذ عناصرها فقل: سيادتك، أمر أحداً أن يجيء فيستلم مني هذه الإدارة، وانقلني كباحث لأي مكان تريد؟. وأبشرك، لن يجد غيرك، لأمانتك، ولخطورة هذه الإدارة.. العجيب أنَّ خاطره ظل حيناً لا ينفك أن يذهب إلى هناك، ينظر بعيني رأسه ما يصنعه الزملاء والزميلات في مثل هذه الآونة ؟! فيغضب من نفسه: أأضحى عاطلاً من النفع، لا جدوى له إلا في لزوم تلك الإدارة؟! وبقيت زوجته تشتكي مُرَّ الشكوى؛ أن حاله بعد المعاش، وفي الوظيفة لم يتغيرا، ولا تجده إلا مشغولاً عنها؟! وكان قد عمل معهم في الحضانة كمدرس فصل، فلم يتفقا، وصاحت:
- إن كنت جئت لتغيّر لي أسلوب عملي الذي أرسيته عبر سنوات، وطريقة التدريس، ونختلف كل يوم أمام الناس، فأحسن أن لا تأت؟. قال:

- أرحتِ، واسترحت. أراك مقلدة، كالآنسة نادية تسيرين كقطار على قضيب، سير مبارك على درب السادات، وسير السادات على منهاج عبد الناصر يَمحه!!. وقال:
- لا أترك القراءة والبحث. وترك العمل في الحضانة بعد شهر..

وطوال فترة عامين لم تتصل مدام أمنية، وظل الليل والنهار يشتاق لها، وكلما فاض الشوق، فَهَمَّ بالاتصال رجع يقول لنفسه: دعها، لعلها نسيت، فتتصل فتقلقها من جديد؟؛ فظل له هاتف مُلِحٌ: نفسي أعلم أنّها بخير، وأنها سعيدة، وأني لم أتسبب لها في تعاسة؟. نفسي أطمأن عليها قبل أن يعاجلني القدر أو يعاجلها، وأكلمها في أمر الآخرة، فلا تؤخذ بغتة؟!.. وكان الإرهاب قد ضرب الدول؛ ضرب ليبيا فأصبحت لا دولة، واليمن فتقطعت خراباً بين الحيثيين أتباع إيران، والسنّة أتباع السعودية، وقُتل "عبد الله صالح" بعد أن لعب على الحبال، قتله الحيثيون لما انقلب عنهم إلى السعودية. ودُمّرت سوريا تدميراً، وبقي بشَّارُ، ونزح الملايين يهيمون على وجوههم إلى الدول المجاورة، فتقبلهم دولة في مخيمات بالعراء، وترفضهم دولة. ومن قبل ضاعت دولة العراق، فتفرقت شيعة، وسنّة وأكراد. وقام في مصر إرهاباً محموماً، ينال عناصر من الجيش والشرطة، والقضاء، وبعض المواطنين؛ وكانت أخس عملية إرهابية على مسجد الروضة بسيناء حين تأدية شعيرة الجمعة. قتلت فئة خسيسة جميع من بالمسجد إلا النذر، وتُركت النساء ثكلى تنوح، وأضحت القرية، تقريباً، خلواً من الرجال!؟.. ولمَّا ذهب إلى المديرية بقرار المحكمة لصرف مقابل رصيد أجازاته، بعد أكثر من عام من خروجه معاشاً، وجد المديرية خاوية من العنصر البشري!؟. فلما دخل على وكيل المديرية، فعرَّفة بنفسه، وسلمه الحكم القاضي بالصرف. قال: لقد سمعنا عنك خيراً؛ وقال: إدارة الاستخدام الخارجي لم تعد تنهض بمهامها، وكثرت منها الشكوى، فظننتك جئت مدافعاً عن فلان، وأخذ يشكو محمد عبد

الفتاح: الأستاذ عنده بالإدارة ثلاثة باحثين، جاءني منذ قليل بخط سير لخمسة أيام لخاصة نفسه، فرددته ولم أعتمده له، وطالبته أن يجلس لإدارته، ويترك الخروج للمفتشين؟. فهمَّ أن يُحدثه أن عدد المفتشين زمانه كان ضعف هذا العدد، فجاءه تليفون من بيته، وأذن الظهر، فتعجل طالباً توقيعه على طلب، بخصوص صرف بدل الإجازة، وذهب ليصلي، فقدمه الزملاء إماماً، واحتفوا له، وكان فيهم سكرتير مكتب وكيل الوزارة السابق الذي معروف يأمره متى لحظه بالمديرية، أن يستبق الإمامة، ولا يجعله يصل بالناس؛ إلا أنه تأخر، وقدموه هو. فلمَّا ورد حجرة شئون العاملين، أكثف حجرة بالمديرية من قبل موظفيناً، وجد فيها رجل، وامرأتان أو ثلاثة، في مكان كان يَشْغلهُ من قبل خمسة عشر موظفاً؟؛ فبان المكان أشبه بسكنى قوم رحلوا عنه فجأة، فسقط منهم شيءٌ هنا، ونسوا في زاوية شيئاً هناك. وجعلت امرأة تشتكي عملاً كان يقوم له خمسة، كلهم خرجوا معاشاً، فصارت تقومه بمفردها!؟. وتسامع بوجوده ..مخيول، فهرول مرحباً، فصاح في الشاكية:

دعوه؟ هو سيساوي؟؛ فسأله كيف الحال؟ فتابع يجأر: إلى الأسوأ طبعاً. فقال يحرض للحديث عمَّا آل له الحال، يستنطقهم:

- تعني؛ كما كنت؟.فضج مخيول:
- يا ليت شعري؟ بل نعود للوراء!! وضج البعض: صلانا الغلاء؟. فصمت لينهضوا في إنجازه؛ فلا يشغلهم بحديث معروف سلفاً؛ فنهض جميعاً في انجازه، وكان يحذر مدير شئون العاملين، أحد أذرع معروف، لما ناله من جزاءات من النيابة الإدارية بسببه، فسأله:
- كم بقى على خروجك معاشاً يا أستاذ سيد؟. وكان يعتمد له تمام إجراء الصرف.قال:

- فقط، أربعون يوماً.. وذهب إلي القائم بعمل مدير الشئون القانونية، أحد أذرع معروف، التي عملت ضده، وأقيم مقام مدير الشئون القانونية؛ وطرده معروف بمكتبه، أمام المديرية، إلى إحدى المناطق، بدعوى التآمر مع الأطراف التي تعمل ضده. فقام القائم بعمل مدير الشئون القانونية بإنجازه، وهو هنا التوقيع على إقرار بعدم مطالبة المديرية بأي رصيد آخر، واعتبار الثلاثمائة واثنين وثلاثين يوماً الواردة في حكم المحكمة هي الرصيد النهائي الذي لا يحق له مطالبة المديرية بشيء غيره، فتحدث الأخ في نبرة خجل:
- أرجو أن تسامحني لأي شيء بدر مني؟. قال:
- أعلمكم كنتم مضطرين؛ فلعل الله أن يسامحنا جميعاً؟ فعمد الأخ إلى براءته:
- لم أشارك في الحفل الذي أقيم لوكيل الوزارة، ونحن الإدارة الوحيدة التي لم تدفع له مليماً. فتبسم؛ وشكره على اعتماد الإقرار، وانصرف في هيبته، ولم يدقق لخبر الأخ. وكان مدير المديرية قد طلبه بخصوص تكريم المديرية له، وقال: أنت من عنيت الاتصال به بنفسي. فسأله: متى الحفل سيادتك؟. الخميس القادم في قاعة الاحتفالات بنادي المعلمين في طلخا. وقام بأمره؛ أبلغ عن رقم بطاقة الرقم القومي لمن يريد أن يأتي مرافقاً لك، لنفي بها الأمن؟. قبل حلول الحفل- ويوم الأربعاء- عاود الاتصال به القائم على الشأن فأبلغ؛ أن الحفل أجل إلى يوم الاثنين لظروف تواجد معالي المحافظ، وشهوده الحفل. وكان قد مرَّ على خروجه من العمل تسعة أشهر، فارتاب!!. فاتصل بالزميل رئيس اللجنة النقابية، ومدير مكتب تفتيش عمل ثاني سابقا، إذ نفاه معروف إلى طلخا، ليشغل الآن مدير مكتب تفتيش العمل بها، فأفاد: هو يجمع الناس لحضور حفل تكريمه هو؛ أرسل خطابات لكل من خرج معاشاً منذ عام، حتى تاريخ خروجه؛ ليكثِّر حضوراً، لأمر لم يكن يحضره أحد، لو دعا لتكريم نفسه. وصاح الأخ:

- يستمر يُخادع ويكذب حتى آخر يوم له. قال: اعتقد ذلك، ولن أحضر؛ كيف يعتقد أني أقبل منه تكريماً!؟. قال:
- هو فرعون طاغي!!. قال: تخاذُلكم من جعله ذلك؟ وأخيرا أقرّ؛، فشدد عليه:
- لا تحدث عن عدم حضوري حتى يفاجأ؟؟. قال وهو يعلم أن الأخ مع أول رنة موبايل سيذيع النبأ؛ إلا أنه أراد أن يُعْلَمَ أن تخلفه عن الحضور كان مُتَعَمَّداً؛ ويبطل زعم من زعم أنَّ تخلفه اضطرارياً، أو أنه لم يدع للحفل؛ أصلاً؟!..وكان "السيد" بن أميرة مصدر بهجة له بما يحدث، وكانت جدته لأمة غضبى على ولديها جميعاً، فصاحت فيهما كذلك:
- أنتم الاثنين عاو زين الوِلْعة !؟ فنهض الصبي للدفاع عن أمّه التي يحبها حباً:
- ولعي في ابنك بس يا أمينة، ما لك دعوة بأميرة ؟. فاضطرت بعد الغمِّ أن تضحك، أضحى كعهد التميمي، ابنة الأربعة عشر ربيعاً، وقد نهضت لتصفع الجندي الإسرائيلي المدجج بالسلاح، ولم تخشه، دفاعاً عن الأرض، وأصبح هذا الصبي ابن الأربع سنوات قوّام لراعية أمّه من الأعداء، كان يسير إلى جوارها عائدين من الحضانة، فعاكسها جندي شرطة عسكرية، فنهض لإخافته: اسكت، بدل ما أجيب لك الحكومة؟. فعاكسها بعض الشباب، وهما يسيران، فقام أيضاً يشتمهم:
- يا أولاد الكلب؛ ذا أمّي!!؟.. وبقي الجدل بينه وبين أميرة الكبيرة، زوجته لا ينتهي أبداً؛ دخل المطبخ فوجد صينية بسبوسة، سهت عنها، فاحترقت، فقال يذكرها بما دأبت على تذكيره به:
- من الذنوب؟!. فقالت كذلك:
- أطعم غير محروق، واترك المحروق لي؟. قال:
- ما هذا الذي عنيت، أذكر.. وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.. قالت:

- بل بما كسبت يدك أنت. فدُهِشَ:
- ولِمَ؟!. قالت:
- لأنك من تأكل منها؛ فانفجر ضاحكًا من فرط المفارقة؛ وكان أمر إقناعها، أنه بلا ذنوب خافية مستحيلاً؟! فجعل يروض نفسه على الابتسام المُرِّ. إلا قذفه بالأطفال، ظل الإدُّ الذي لا يطيقه منها!!. بيد أن أمرهما بلا أبناء، بات لا يعكر صفوهما، خاصة في ظل جحود أبناء، زمانه وعدم برهم آباءهم، فيعتبرا من هذه الناحية محظوظين، وأن الله خفف عنهما. وكان إذا خرج إلى الصلاة فلمحه أطفال الحضانة جدُّوا، يرمون بأنفسهم حول ساقيه، فيأخذهم إلى جناحه، ويمسح رؤوسهم في ودٍّ. فأخذ يقلدهم متى رأوهم من ليسوا من أطفال الحضانة، فشاهدهم جار له فغبطه فصاح:
- عيال الشارع كلهم عيالك. فمر وهو خارج إلى الصلاة ببائع فاكهة بالشارع أعجبته، فنادى ابنته أخته، وكانت تجلس أمام الدكان مع الوالدة، فأعطاها النقود لتشتري له، وحسبها تجعل الشراء معها حتى يرجع. فلما رجع إلى البيت، وجد الفاكهة طاحت في وسط المطبخ، ووجدها تجلس منكدة. فقال وقد حزر الداء:
- ما لك؟! مررت بفاكهة أعجبتني، فاشتريت، وتركتها عند أم إسراء حتى أرجع؟!. قالت:
- ألمْ أنبه عليك ألا تنتدب من يشتري لنا؟ وألا ترسل مع أحد شيئاً يخصنا؟. صاحت كذلك.
- يا مُصيبة؟! قلت لك أني الذي اشتريت، وأني تركت الفاكهة عند أم إسراء لحين عودتي من المسجد، وكانت الصلاة أقيمت، ولم أرد أن آخذها معي إلى المسجد، فتطوعت هي فأرسلتها إليك، وكانت تجلس أمام الدكان إلى جوار الحاجة، أرسلتها مع من؟. فانفك عنها شيطانها، فقالت آسفة:

- بعثتها مع أدهم، وأرسلت باقي النقود، وكان فيها جنيهٌ فَكّه؛ فحزنت أني لم أعطه له. قال:
- هو يأتي مع الصبيان درس الجمعة، فأعطي كل غلام جنيهاً إذا حفظ؛ ومر الأمر بسلام، وبقي من سوء ظنها في نفسه الكراهية؛ وبقي الاتصال بمدام أمنية يؤرّقه أرقاً شديداً، فعزم الأمر، قطعاً لهذا الحث المتواصل:
- وعليكم السلام؟!؟. قابلته النبرة جافّة متربصة، رغم أن الإجابة كانت سريعة، بعد رنة واحدة لتليفونها الجوال. وكان قد حافظ على عهد نفسه، فاتصل على الهاتف الأرضي، فردَّ عليه صوت غريب، فاعتذر له، وكانت أرقام التليفونات قد تغيرت في المحافظات، فارتاح من معاودة المحاولة، ظناً أن الرقم تغيَّر، فاتصل على الموبايل، وأردف وقد بدأ قلبه يهدأ من الاضطراب، ولم تزد هي شيئاً، وبدا أنها تنتظر الحديث، فسألها عن الرقم الأرضي، هل تغيير!؟ قالت:
- لا. قال:
- طلبتكم عليه، فرد عليّ صوت غريب، فاعتذرت له. قالت:
- أذكر الرقم الذي طلبت؟. فراجعها به، فقالت كذلك:
- هو ذا؛ لم يتغير!. قال:
- يبدو أني أخطأت في طلبه؛ وكان قد عزم أن يعطيها الرقم الجديد لهاتفه الأرضي فأنسته النبرة الصارمة وصمتُها. فسألت عن رقم الموبايل الذي يحدثها منه:
- هل هذا الرقم هو رقمك؟. قال:
- نعم. الموبايل القديم سرق من داخل السيارة رغم كونها سيارة جديدة، وباشرها الود، وبث النجوى:

- الجو العام أضحى كئيباً، وسئمت الوجوه هنا، فأردت أن أسألكم عن تجربتكم في الانتقال إلى القاهرة؛ فإني عازم على الانتقال إلى أي مكان آخر؛ ويعلن التليفزيون أن لديكم، في مدينة نصر عن معْمار كذا؟ ولا أدري عن مدى الجودة، ولا عن حقيقة صدقهم؟.

فسألته بنبرة خليط من التأنيب والعتاب:

- مالك!؟.
- مُرْهق؛ قالت:
- يظهر في صوتك. وقالت، أنا لم أذهب إلى هذا المكان، لكن هذه الشركة شركة جادة، وعلمي أنهم صادقون. قال:
- لي صديق يريد الانتقال أيضاً، ذهب إلي مدينة٦ أكتوبر، وبحث هناك، لكن السفر لم يمهله، فأجل البحث لحين العودة في العام القادم، وأخبر أن المكان منظم، وهادئ، والشوارع رحبة، وأن البنايات لا تتجاوز الطوابق الأربع، وأنا أريد مكان هادئ؟ قالت:
- الأفضل أن تذهب بنفسك لتر؟. فعن نفسي؛ أحب الونس؛ ولا أميل للأماكن الساكنة، والمنصورة أصبحت زحمةً. كنت عندكم في أغسطس في عزاء زوج أختي، فوجدناها ازدحمت بشدة. القاهرة ليست زحاماً هكذا!!.
- البقاء لله، ولو علمت لجئت فعزيت؟.قالت:
- الله يبقى حياتك؟. فابتسم مصححاً:
- لا بقاء إلا لله؟. خرجت معاشاً منذ أكثر من عام، فأردت أن أستشيركم الفرق بين القاهرة وهنا؟.
- الذي عندكم تستطيع أن تقول أنه يعيش، أمّا القاهرة فحياة؛ قالت بملء فِيها، معتدّة! فنحا الحديث، منحا الإزلاق. قال:
- لا شيء يتغير!؟ فنهضت تعارض في حده:

- بالعكس؛ البلد تسير نحو الاستقرار والنمو. فضحك:
- رجعنا لدولة الفرد الذي لا يتحرك شيء فيها إلا بإذن؟ يقول الرئيس، فيسرع الكل في مرضاته؟ ولا يمكن أن يقوم على الشأن الجامع رجل فرد؛ ورجعنا لتقفيل القنوات!؟ وللرأي الواحد، وهذه خيبة كبرى!؟؛ فغضبت:
- هذا الرجل خسارة في الناس. فصاح:
- خسارة في منْ؟!. فأردفت تنتقضه:
- أين القنوات التي أغلقت؟!. قال:
- مُنع برنامج إبراهيم عيسى؛ صحفي شهير ينتقد السياسة ورئيس الوزراء والوزراء ودولة السعودية. قالت:
- هذا الذي لا يكف عن الشتم، وليس لديه غير السواد؟!.
- أنا أتابعه؛ هو لا يشتم، بل يقول الرأي الآخر.
- راجع مصادرك التي تأخذ عنها؟. لم تغلق قنوات؛ عندكم قناة مكملين، وتقولون فيها كل شيء؟! فدهش وقد راحت تتحدث عنه بلغة الجمع، وعن قناة لا يشاهدها، كأنها لم تعرفه، وأنه كصاحب لحية، ليس إلا إخوانٍ!؟. فضحك يستوقفها:
- عِنْدَ من؟!!. قالت:
- عندكم. فسألها:
- أيعجبك أداء مجلس الشعب، الذي من مهامه مراقبة الحكومة، فجلس يصفق لها؟؟.
- أنتم من جئتم بهم.
- نحن مَنْ؟!؟ وضحك؛ وهل يعجبك رئيس الوزارة، ووزير كذا، وكذا؟؟ . قالت:
- ماله رئيس الوزراء؟! الرجل يعمل في صمت.

- بل خيال مآتة، لا يختلف عنه في زمن الإخوان، ينتظر توجيهات الرئيس، سكرتارية يعني. فأنبأت:
- إن كان هذا رأيك، فأنصح أن لا تنتقل، فهنا يكفيها من فيها؟. فقهقه أَلِماً من فَرْطِ المفاجأة!. وأراد يختم؛ فاستشعر تعلقها بطرف الحديث، تعلق الطفل بأمه!. وذكر، من فترة، أن الظهر قد أذن؛ فخاف فوات جماعة المسجد. وبدت تشتم، كأنّه العدو، وكأنها ليست هي!! فقال يداورها بحكمة شيخ كبير:
- قد اطمأننتُ عليكم، وعلمت أنَّكم بخيــر..

* * *

تم بحمد الله

دار الفراعنة للنشر والتوزيع والترجمة